

ذكريات سفير

يرويهها

السفير فتحى الجويلى



بطاقة الشهرة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

الجويلى ، فتحى .

تكريت مطبوع .

فتحى الجويلى .

القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٨ .

٣٥٢ ص ٢١٤ سم .

تمك ٦ - ٧١٥٥ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١- للجويلى ، فتحى - المتكرات

(١) العنوان

ديوى ٩٢٠

١/٢٠٠٧/١٩

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٧١٣٥

تصميم الغلاف : الفنان شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهداء

إلى أهلى بمدينة دمنهور مسقط
رأسى أهدى كتابى هذا وأعبر عن
خالص تقديرى للمسئولين بمحافظة
البحيرة بمناسبة إطلاق اسمى على
أحد شوارع مدينتى الجميلة دمنهور..
كما أهدى كتابى إلى دار المعارف
منارة الفكر والتنوير فى الوطن العربى.

فتحى الجوىلى

شكر للمؤلف

لقد سعدت دار المعارف بقبول نشر كتاب
”ذكريات سفير“ الذي قدمه هدية
لدار المعارف.

وإذ تنشر دار المعارف هذه الذكريات تأمل
أن يجد فيها القارئ العزيز ما يفيد.

دارالمعارف

مقدمة

لماذا هذا الكتاب؟

هذا السؤال كان لابد أن أبدأ به مقدمة كتابي هذا، فالحقيقة التي تفرض نفسها هي أنني قد تجاوزت ثلاثة أرباع القرن من الزمن شغلت فيينا بقضايا وأفكار وأحداث وآراء وتاريخ ولغات ومواقف تتناسب في تلك الرحلة الطويلة والمثيرة. وهنا يثار سؤال: ما علاقة الدبلوماسية بالكتابة...؟ والإجابة هي أنه من المهم معرفة أن الدبلوماسية الناجح عند ممارسته العمل لابد وأن يكون كاتباً ناجحاً ولابد وأن يجيد الاطلاع ويكثر من القراءة ويحسن التعبير بدقة عن أفكاره وآرائه واقتراحاته، مما يستلزم كونه كاتباً مميزاً كي يكون دبلوماسياً ناجحاً. وكما هو معروف فإن اللغة الدبلوماسية - أي كانت اللغة المستخدمة - تستدعي دقة اختيار للألفاظ والتعبيرات المستخدمة في كتابة نصوص الاتفاقيات والمعاهدات والتقارير والبرقيات والمفاوضات فضلاً عن مهارة استخدام دقائق اللغة وأسرارها فسي كتابة كل هذه الأوراق، وأبلغ مثل على خطورة دقة اختيار الألفاظ في اللغة الدبلوماسية ما حدث من جدل حول ما ذكر في القرار ٢٤٢ عام ١٩٦٧ (وهو أحدث الأمثلة للشعوب العربية) من نص حول انسحاب من (الأراضي المحتلة) أو (أراضٍ محتلة) وما في التعريف والتنكير من تأثير على المعنى والدلالة والنتائج المترتبة، كل هذا بسبب (ال).

كل هذه الاعتبارات كانت محل اهتمامي حين أقدمت على كتابة كتابي لأتناول فيه ذكريات ٧٧ عاماً شملت ٣٤ عاماً في العمل الدبلوماسي، فضلاً عن ١٧ عاماً في المعاش تركز اهتمامي فيها على متابعة العلاقات الدولية والمشكلات العالمية خاصة ما يخص منطقة العالم العربي بصفتي مصرياً مسلماً عربياً دبلوماسياً.

ويتناول كتابي هذا ذكريات الطفولة والصبا والدراسة الجامعية والعمل بالصحافة وشركة شل وأخيراً العمل الدبلوماسي الذي بدأ منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٩٠ سن

التقاعد، أما الفصل الأخير فقد انصبَّ على فترة المعاش وهي موضوعات متنوعة تعبر عن آراء مختلفة تخص السياسة والعلاقات الدولية ولهذا كان موضوع الكتاب.

ذكريات ٧٧ عاماً (١٩٣٠ - ٢٠٠٧)

وقد عاونني في كتابة هذا الكتاب واعداده للنشر الدكتور محمود حمزة مدرس الأدب العربي بجامعة الإسكندرية وكان من أروع مناقشاتنا في أثناء العمل في الكتاب فكرة دمج السياسة بالأدب وكيف تصير السياسة أدباً ويكون الأدب سياسة.

وأخيراً إذا كان كاتب هذا الكتاب سفيراً سابقاً فإن من وزراء الخارجية والسفراء في بلدنا مصر وكذا دول العالم كثيرون صدرت لهم مؤلفاتهم عن تجربتهم الدبلوماسية.

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أود أن أذكر أنه استكمالاً لذكرياتي هناك موضوعان سيكون لكل منهما كتاب وهما: «كامب ديفيد» و«أم رشراش» إن كان في العمر بقية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فتحي الجويلي

دمنهور

طفولتى وصباى

شاءت إرادة الله أن أولد فى ٥ مارس ١٩٣٠ لأكون الطفل الثانى حيث سبق أن رزق الله والدى بطفلة قبل أن أولد بسنة ، وفى هذه الأيام كانت هناك فرحة للزوجين أن يرزقهما الله بصبى ، وهكذا كان مولدى مثار فرح لوالدى وعائلتيهما ، عائلة الجويلى وعائلة الزواوى ، وعائلة الجويلى فى ذلك الوقت كانت فرعا من أسرة الجويلى المقيمين فى ريف البحيرة ، ولكن جدى وأخاه انتقلا إلى دمنهور عاصمة البحيرة ، وامتلك الاثنان مشاركة ١٢٠ فدانا من أراضي قرية الزاوية المجاورة لدمنهور وكانت ثروتهما من زراعة الأرض وتجارة محاصيلها ، وكان والدى هو آخر أولاد جدى الذى توفى إلى رحمة الله قبل أشهر من تاريخ ميلادى ، وقد جاء ذكر عائلة الجويلى فى كتاب «وصف مصر» ضمن القبائل العربية بالبحيرة تحت بند العرب فى ريف مصر وصحراواتها. تأليف/ علماء الحملة الفرنسية - ترجمة/ زهير الشايب الجزء الثانى صفحة رقم ٣٩٦: عرب الجويلى : ولاية البحيرة ولديهم ٥٠٠ - ٦٠٠ فارس.

وأما والدتى فكانت من عائلة الزواوى وهى عائلة مشهورة وترمز إلى ظاهرة الزوايا الدينية التى كانت منتشرة فى مراكش ثم انتقلت عبر مصر إلى الجزيرة العربية (وعلى الأخص فيما يعرف الآن سلطنة عمان) ، وكان جدى الشيخ عبد العزيز الزواوى هو حفيد الشيخ أحمد الزواوى المشهور فى مدينة دمنهور وله مقام فى جامع الزواوى بحى الصاغة ، وجدى الزواوى كان يمتهن التجارة فقط وعلى وجه التحديد بذور النباتات التى يبيعها للفلاحين ومللاك الأراضى الزراعية ، وكانت والدتى ثالثة كريمات جدى ولها أخ وحيد درس فى الأزهر وكان يساعد والده فى التجارة ، وهكذا انتسب إلى عائلتين تتسم بالبعد عن العمل الحكومى (الميرى) ، وكان معظم أبنائها من دارسى الأزهر ويتخذون الزراعة والتجارة مهنة لهم ، فيما

عدا والذى الذى أتيحت له فرصة كون خاله من عائلة الجوينى وكان على رأس هذه العائلة الشيخ الجوينى الذى كان إماماً للحرم المكى وله مقام فى مسجد بسوق الرخام المتفرع من ميدان باب الخلق بالقاهرة.

ومقر هذه العائلة قرية العطف إحدى قرى محافظة البحيرة القريبة من مركز المحمودية على مقربة من دمنهور، فجدتى لأبى شجعت وتحمست أن تلحق ابنها محمد (والدى المولود ١٩٠٤) بأبناء أخيها فى مشاركتهم فى التعليم الدنى (وليس الأزهرى) حتى حصوله على شهادة البكالوريا وهى شهادة تمنح فرصة التعيين فى وظيفة حكومية مرموقة كما تؤهل إلى دخول المدارس العليا بالقاهرة فى تخصصات الطب - الهندسة - الحقوق - المعلمين المتاحة آنذاك، الأمر الذى لم يتمكن والذى الاستمرار فيه لعدم موافقة جدى على سفره إلى القاهرة (المدينة الوحيدة التى كانت بها تلك المدارس العليا المتخصصة فى ذلك الزمان).

وهكذا تمكن والذى بشهادة البكالوريا من أن يخرج من العمل الزراعى والتجارى ليلتحق بوظيفة معاون إدارة البريد بدمنهور وهى ثالث مرتبة فى وظائف هذه الإدارة الهامة التى كانت على الترتيب، مدير - وكيل - معاون، وهذا الكادر الإدارى يحكم عمل مجموعة من الموظفين يقال لهم «كاتب - موزع»، ومهمة هذه المجموعة من الموظفين هى تسليم وتسلم البريد عن طريق القطارات التى يوجد بها عربة مخصصة للبريد ويقوم بهذه المهمة مكاتب فى مبنى كل محطة، وفى عام ١٩٥٠ انتقل والذى إلى وظيفة «باش كاتب» رى البحيرة بدمنهور حتى عام ١٩٦٤ تاريخ بلوغه المعاش وكانت وظيفة «باش كاتب» آنذاك تعادل وظيفة مدير عام الآن.

فى جو هذه العائلة نشأت حتى وصلت إلى سن التعليم (السابعة من عمرى) فالتحقت بمدرسة التعاون الإنسانى الابتدائية وهى مدرسة خاصة أسسها شخصيات عامة فى دمنهور عام ١٩٠٢م - ١٣٢٠هـ، كان شعارها التعاون الإنسانى لخير الإنسان، وقد قامت جمعية التعاون الإنسانى بعمل لوحة تذكارية عام ١٩٤٢م - ١٣٦١هـ سجل عليها أسماء من أسسوا هذه المدرسة وهم (سيف الدين الكاتب

بك - محمود الحبشى بك - عيسى بك نوار - الحاج أحمد غزال - الحاج محمد
نجاتي - الشيخ حسن الحدينى - الشيخ عبد الوهاب القاضى - الشيخ شحاته
أبو حسن).

وقد سجلت على هذه اللوحة أبيات شعرية للشاعر أحمد محرم (ابن محافظة
البحيرة) تبيين دور هؤلاء الرجال العظام فى تأسيس هذه المدرسة حيث يقول
أولئك هم أس هذا البناء فنعم الرجال رجال الهمم
وما العلم إلا حياة البلاد ومجد الشعوب وفخر الأمم

وقد كان ناظر لهذه المدرسة الأستاذ/ أحمد عبد النبى ثم جاء بعده عمر الوكيل
ناظرا لهذه المدرسة العريقة التى كانت مصاريف التلميذ فيها أعلى من مصاريف
المدرسة الابتدائية الحكومية الوحيدة فى محافظة البحيرة، وذلك بهدف زيادة
قبول الطلاب الدارسين حيث لم يكن هناك إلا مدرسة ابتدائية حكومية واحدة
لا تستوعب عدد الراغبين فى التعلم آنذاك فى بداية الثلاثينات وبعد أربع سنوات
(١٩٣٧ - ١٩٤١) فى هذه المدرسة حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية
عام ١٩٤١، وقد كان الزى الرسمى لطلاب المدارس البدلة الكاملة والطربوش الأحمر
بالزر الأسود، وكان سننى آنذاك ١١ سنة وثلاثة شهور وفى هذا العمر أجريت لى
عملية جراحية فى عيادة خاصة فى دمنهور يملكها طبيب جراح ماهر ويعمل
بمستشفى دمنهور الأميرى الحكومى والتسى كان يقال عنه (الداخل فيه مفقود
والخارج منه مولود) واستغرقت هذه العملية ما يقرب من شهر فى إجازة الصيف
سنة ١٩٤١ وأثناء المدة التى قضيتها فى هذه العيادة الخاصة كان والدى يرسل
شاباً ضريرا ليقراً القرآن كل يوم كما تصادف وجود أحد عمد ريف البحيرة فى
هذه العيادة الخاصة وكان من أثرياء القوم وكان من زواره قراء القرآن الكريم فكان
صوت القرآن لا ينقطع فى هذه العيادة صباحاً ومساءً وقد شد انتباهى هذا الصوت
القرآنى الدائم فى وقت مبكر من عمرى فكننت طريح الفراش لا يشغلنى إلا سماع
القرآن فى غرفتى وغرفة العمدة فساعدت كل هذه الظروف على أن تحتفظ ذاكرتى

بالآيات القرآنية التي كانت تتلى في وقت لم يكن هناك أية وسيلة أخرى لسماع القرآن فلم يكن هناك راديو ولا إذاعات ولا تسجيلات في ذلك الوقت.

وبعد العملية الجراحية التحقت في شهر سبتمبر ١٩٤١ بمدرسة دمنهور الثانوية وكانت هي المدرسة الثانوية الوحيدة في دمنهور لأبناء البحيرة وأمضيت خمس سنوات دراسية من ٤١ - ١٩٤٦ للحصول على شهادة إتمام الدراسة الثانوية وكانت المناهج الدراسية الثانوية في ذلك الوقت تهتم اهتماماً بالغاً لتدريس علوم اللغة العربية والدين الإسلامي والقرآن الكريم إلى جانب بقية العلوم العلمية والرياضية والأدبية وأذكر أنني حصلت على الشهادة الثانوية وعمري ١٦ عاماً وثلاثة شهور على وجه التحديد، وكان ذلك بعد اجتياز امتحان الدور الثاني للثانوية العامة من مدرسة العباسية بالإسكندرية، لأن عدد الطلاب الراغبين في مدرسة دمنهور لم يسمح بعقد امتحان الدور الثاني في مدينة دمنهور، ورب ضارة نافعة فقد قضيت بذلك شهر رمضان بأكمله في «حى المرسى أبو العباس» بما فيه من أحاسيس وطقوس دينية لم تكن نعيشها بهذا الشكل في مدينة دمنهور لاسيما بمسجد الإمام «البوصيرى» والذي كان واحداً من أئمة الدين وكان قعيداً لا يتحرك، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه وطلب منه الدعاء بالقوة الجسمانية والشفاء والحركة فألقى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم برده التي كان يرتديها (البردة هي العباءة) فقام البوصيرى من نومه شافياً بأذن الله وكتب بعدها قصيدة البردة في مدح الرسول والقصيدة مكتوبة على جدران مسجد الإمام البوصيرى من الداخل حتى اليوم، وقد أعجب أمير الشعراء أحمد شوقي بهذه القصيدة فكتب قصيدة (نهج البردة) على نفس الوزن وعلى نفس القافية والتي تغنت بها أم كلثوم.

وقد كان لشهر رمضان هذا الذى قضيته في هذا الجو الدينى تأثير كبير على معالم شخصيتى فى ذلك الوقت وفى تلك السن المبكرة حين حصلت على الشهادة الثانوية.

وبجانب هذا التعليم المدنى (ابتدائى - ثانوى لمدة ٩ سنوات) الذى حرص والدى على أن يلحقنى به لاعتقاده أن هذا النوع من التعليم يختلف عن التعلم الدينى فى

الأزهر الذى كان سائداً بين العائلات الدمشورية آنذاك وحرص على يُحَصِّرَ إلى منزلنا فى عصر كل يوم شيخاً من قارئى القرآن الكريم وكان شابا من عائلة كريمة بدمنهور ضريرا حلوا الصوت يتلو آيات الله البيّنات بعد أن درس فى مدارس خاصة يقال لها مدرسة تحفيظ القرآن (وكان منهج هذه المدرسة يتضمن أيضاً دراسة تفسير الآيات) وكنت حريصاً على سماع الآيات القرآنية فى المنزل عصر كل يوم مع أفراد العائلة ما عدا يوم الجمعة حيث كنت استمع إلى قرآن الجمعة فى المسجد.

وقد شد انتباهى فى هذه السن المبكرة من عمرى (من ٧ - ١٦ عاماً) آيات القرآن الكريم وما جاء بها من معانٍ مقدسة وأسماء الأنبياء والرسل وأسماء الأماكن المختلفة خاصةً بلدى مصر الذى تكرر ذكره فى أكثر من موضع لاسيما فى قصة النبي يوسف - عليه السلام - مع ملك مصر والنبي موسى - عليه السلام - مع فرعون مصر، كما تركز فى ذهنى الآيات التى أظهرت مواقف اليهود من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء فى القرآن عن المسيح عليه السلام - كل ذلك وغيره من الآيات القرآنية فهمه عقلى فى هذه السن المبكرة على أنه تاريخ أنزله الله فى كتابه المقدس القرآن الكريم.

هذا الاهتمام بالقصص القرآنى لم يكن موجهاً إلى ما يوحى بكره اليهود، والدليل على ذلك أن ثمة تعاوناً تجارياً ومالياً كان يحدث فى ذلك الوقت بين كبار تجار دمنهور وأصحاب محالج القطن الكبيرة - وعائلتى إحداهم -، وبين التجار اليهود فى الإسكندرية فدمنهور فى ذلك الوقت لم تكن تظهر عليها مظاهر المدنية الحديثة وإن كانت تتميز بحى قديم (حى أبو عبيد الله، صلاح الدين، أبو الريش ومنطقة القلعة والصاغة) ومنطقة حديثة امتداداً لهذه المنطقة القديمة (شملت ما يعرف بميدان الساعة والمباني الحكومية الممتدة فى طريق دمنهور إسكندرية الزراعى حتى مدرسة دمنهور الثانوية للبنين).

وكانت الميزة الوحيدة لهذه القرية الكبيرة وأقصد دمنهور أنها مقر لعائلات تشتغل بالزراعة والتجارة خاصةً تجارة القطن وما يستتبعها من وجود محالج

ومعاصر لزيوت بذرة القطن والسمسم وبذرة الكتان وهكذا كانت دمنهور مصدراً لنشاط زراعى وتجارى له قيمته فى الاقتصاد المصرى ، إلا أنه لم يكن بها سوى مدرستين للتعليم الابتدائى ومدرسة واحدة للتعليم الثانوى للبنين ، وبالنسبة للبنات فكانت هناك مدرسة ابتدائية واحدة تنتقل خريجاتها إلى مدرسة الفنون التطريزية لتؤهل البنات فى أعمال إدارة المنزل وتطريز الملابس النسائية وذلك بديلاً عن الدراسة الثانوية للبنين.

وكانت مظاهر الحياة الثقافية تركز على الأفلام السينمائية وأهمها دار السينما البلدية وهو مبنى فخم على طراز مصغر لمبنى الأوبرا، وقد تم تجديده فى أوائل الألفية الثالثة ليكون مركزاً للفنون فى دمنهور.

ومن العجائب فى مدينة دمنهور منذ ذلك الحين وحتى الآن أن محطة السكة الحديد التى يقف عندها القطار السريع القاهرة - الإسكندرية كانت أسفل الهضبة التى تقع عليها مدينة دمنهور بعمق حوالى ١٠ أمتار وهى المدينة الوحيدة التى تتميز بهذه المحطة التى تقع أسفل المدينة ، إلى جوار ذلك كان بها حدائق فى القسم الجديد الذى تم وضع أساسه ما قبل الثلاثينات والذى أوجد نادى البلدية على مستوى عالٍ للنوادى وكان مصدراً لتجمع ونزهة شباب العائلات حتى يغادروا دمنهور لتكملة تعليمهم بعد الثانوية العامة ، وكان معلماً حضارياً اجتماعياً ورياضياً على مستوى النوادى الأوروبية ومع الأسف تم إزالته بأمر أحد المحافظين لتفقد مدينة دمنهور أحد أهم معالمها الحضارية الحديثة.

ومن أهم ميزات مدينة دمنهور أنها على بعد ستين كيلو متراً من الإسكندرية وكانت هذه فرصة لأهل دمنهور أن يتمتعوا بالحياة و المصايف فى الإسكندرية ويعودوا للمبيت فى ديارهم ومنازلهم بدمنهور كل يوم حسب عاداتهم.

ونتيجة ذلك كان هناك مفهوم عام فى دمنهور يؤكد أن أحسن معاملة مالية وتجارية وأفضل خبرات اقتصادية هم اليهود، وكان يقال دائماً: إن اليهودى لا يستطيع أن يعيش فى دمنهور لأن الداهرة لا يقبلون عنهم شطارة ولا مهارة،

ولذلك السبب وجدت بعض الشخصيات دمنهورية الأصل في دمنهور قد مارست الريا خوفاً من دخول الريا اليهودى لمدينة دمنهور.

فى الوقت نفسه كانت المرحلة الثانوية تتسم بإهمال السياسة العالمية، وعدم الاهتمام بها، وأقصد بالسياسة العالمية الأحداث الجارية خارج مصر، فوسائل الإعلام كانت شبه معدومة فى قرية كبيرة مثل دمنهور، فضلاً عن الانشغال بالأحداث الداخلية فى مصر آنذاك، مثل قضية الجلاء والمفاوضات مع بريطانيا ومظاهرات الطلبة، والتي امتدت إلى اتهام الملكية كنظام بالتعاون مع الإنجليز وبفساد الحكم فى مصر، فهذه الأمور طغت على فكر الطلبة فى فترة الدراسة الثانوية فضلاً عن طلبة مدرستى الصناعة والزراعة المتوسطة، حتى وصل الأمر فى مدرسة دمنهور الثانوية إلى تحوير الهتاف لملك مصر فى طابور الصباح من «يعيش فاروق ملك مصر» إلى «معييش فلوس أروح مصر»!، (ويقصد بمصر هنا القاهرة) والإيقاع الموسيقى واحد.

وربما الحدث العالمى الوحيد الذى اهتم به طلبة دمنهور هو وصول قوات هتلر بقيادة روميل إلى العلمين بهدف هزيمة الجيش البريطانى الذى كان يحتل مصر، ما بين عامى ١٩٤٢ - ١٩٤٣ وضرب الإسكندرية، وهاجر بعض أهالى الإسكندرية إلى دمنهور ونقل طلبة جامعة الإسكندرية إلى دمنهور، مما زاد الاهتمام بأحداث الحرب وتفصيلها وما برز خلالها من أحداث الحرب العالمية الثانية، وارتباط كل ذلك بانشاعر الوطنية السائدة فى مصر فى ذلك الوقت ضد المحتل البريطانى، مما تبلور فى هتافات تقول (إلى الأمام يا روميل) لتحرير مصر من الإنجليز.

لقد تجمع كل ذلك فى شبابى المبكر (من سن ١١ - ١٦ سنة) تمهيداً لانتقال إلى القاهرة للالتحاق بالمرحلة الجامعية.

فقد انصبت طموحاتى فى تلك الفترة على الالتحاق بالجامعة، والانتقال إلى القاهرة، فالطريق الوحيد للوصول إلى المكانة الاجتماعية المرموقة هو الجامعة، فضلاً عن الحياة فى القاهرة، وما أدراك ما القاهرة؟!.

وأذكر أنه حتى عام ١٩٤٦ كان البعد عن الأحداث السياسية الخارجية في مصر قد خلق نوعاً من الجهل لدى شاب مثلي في هذه السن وفي دمنهور. فلقد أدركت بعد ذلك أنه كانت هناك أحداث تجرى في العالم لا نعلم عنها شيئاً. من تلك الأحداث انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥)، وإنشاء منظمة دولية (الأمم المتحدة) على غرار عصابة الأمم، وفي أروقة هذه المنظمة ظهرت خطوات عملية لتحقيق ما كان يدور على الساحة الدولية من فكرة إنشاء دولة يهودية ظهرت بالفعل دولة باسم إسرائيل في فلسطين بعد سنتين فقط من هذا التاريخ (١٩٤٦ - ١٩٤٨) هذا بالإضافة أنه على مستوى الدول العربية تم إنشاء جامعة الدول العربية عام (١٩٤٥) ومقرها القاهرة.

وفي ظل هذا الجهل بالسياسة العالمية كان كل ما ترسب في عقلي هو ما لصق في ذهني من آيات قرآنية عن بنى إسرائيل واليهود.

وهكذا عشت صباى في مجتمع مغلق تربطه مبادئ وقواعد صارمة تجعله خالياً من نزق الشباب غير المحسوب وكشباب المدن الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية. ومن أخطر الأحداث التي أثرت في نفسى في مرحلة صباى إلى جانب الآيات القرآنية عن بنى إسرائيل واليهود والمعاملات المالية والتجارية بين تجار دمنهور وتجار اليهود في الإسكندرية - الاهتمام كشباب بمظاهر احتفال اليهود السنوى بمولد سيدى (أبو حصيرة) الذى يقال: إنه بدأ الاحتفال به منذ عام (١٩٣٢)، الأمر الذى لغت نظر شاب مثلي، حيث تاتى في هذا المولد فى الوقت نفسه من كل عام النساء اليهوديات ضمن أفواج الحجاج اليهود كى يحتفلوا بمولد الولي اليهودى (أبو حصيرة)، ويتميز هذا المولد بالرقص والخمر والنساء الجميلات الأجنبية، مما كان يثير شباب دمنهور، حيث كان يسمح لهم بالدخول والمشاركة فى المولد آنذاك، وسيكون لموضوع مولد أبو حصيرة ملف خاص فى فترة المعاش.

دمنهورى فى القاهرة (الدراسة الجامعية)

التحقت بالدراسة الجامعية بالقاهرة فى عام ١٩٤٦ حيث غادرت «دمنهور»، وكانت نقطة تحول خطيرة لشاب مراهق لم يكمل السابعة عشرة من عمره، ينتقل فجأة من مجتمع ريفى مغلق وهو دمنهور، تلك القرية الكبيرة الخالية من وسائل الإعلام والاتصالات تقريبا إلا فيما ندر، حيث كان أهلها مشغولين بالنواحي الدينية ثم التجارة والزراعة والوظائف الحكومية المحصورة فى خدمات التعليم والرى والصحة والبريد والشرطة، ينتقل هذا الشاب إلى مجتمع القاهرة بكل ما فيه من انفتاح فكرى وثقافى وسياسى ودينى واقتصادى وتواجد جنسيات وديانات مختلفة، كما أن الطلبة الجامعيين فى ذلك الزمان كان لهم دور سياسى واضح، يقابله سلطة حكومية عنيفة، مع وجود قوات بريطانية مازالت تحتل أجزاء مهمة من القاهرة العاصمة، كما أن الانتقال للقاهرة كان فى فترة ما بعد الانتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، حيث ظهرت الشيوعية ذات الجذور الصهيونية، وكان الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى فى ذلك الوقت من المنتصرين فى الحرب، كانت الشيوعية السوفيتية التى ظهرت عام ١٩١٧ بهدف القضاء على القيصرية المسيحية الأرثوذكسية الروسية قد وصلت إلى مداها فى التأثير العالمى، وهو ما تجلى فى مجتمع الطلبة الجامعيين فى مصر، فى الوقت الذى كان يقابله نشاط إسلامى خطير هو نشاط جماعة الإخوان المسلمين، امتد تأثيره إلى طبقات الشعب المختلفة.

وبالنسبة لى كان أحد زملائى فى بداية دراستى الجامعية (١٩٤٦) شاباً يهودياً ابن أحد كبار تجار القماش فى الحمزاوى (أشهر سوق تجارة فى حى الأزهر بالقاهرة فى ذلك الوقت)، فضلاً عن شاب مسيحي من حدائق شبرا التى كان إخواننا المسيحيون يتركزون بها آنذاك، وأصبحت العلاقة الثلاثية بين مسلم ريفى

ومسيحي ويهودى من القاهرة ترجمة واقعية لمسرحية كانت تعرض فى ذلك الزمان على مسرح نجيب الريحانى وهى مسرحية (حسن ومرقص وكوهين)، وكانت هذه الصداقة متعددة الديانات تتناول نقاشاً عن أهم القضايا فى مصر فى ذلك الوقت مثل قضية الشيوعية والإخوان المسلمين ومهاجمة الملكية والاهتمام الوطنى بجلاء القوات البريطانية عن مصر، خاصة وأنه كان بالقاهرة معسكرات بريطانية مركزة فى عمارات سيف الدين بجاردن سيتى وصحراء العباسية والثكنات العسكرية البريطانية على كورنيش النيل بجوار كوبرى قصر النيل وتم إجلاء هذه القوات فى أوائل عام ١٩٤٧ بعد أن انتهت ظروف الحرب العالمية الثانية ٣٩ - ١٩٤٥ وذلك طبقاً لما ورد بشأنها فى الاتفاقية المصرية البريطانية عام ١٩٣٦ والتي تم إلغاؤها عام ١٩٥٠ بقرار من حكومة مصر، وتم ترحيل هذه القوات البريطانية إلى القاعدة البريطانية الرئيسية للشرق الأوسط والتي كانت متمركزة فى منطقة قناة السويس وقيادتها فى مدينة فايد وظلوا بها حتى عام ١٩٥٤ حيث تم توقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية.

وكان نقاشاً هادئاً غير متعصب يسعى لفهم الحقائق السياسية الداخلية دون الدخول فى الأيدولوجيات الدينية والمذهبية بيننا نحن الثلاثة، ولم يكن أحد منا عضواً فى أى تنظيم يشمل النواحي السياسية، إلا زميلنا المسيحي الذى كان عضواً فى جمعية الشبان المسيحيين، وكانت جمعية ثقافية نذهب إليها نحن الثلاثة لقضاء وقت فراغنا، وهى مثل جمعية الشبان المسلمين التى لا علاقة لها بجماعة الإخوان المسلمين.

وأؤكد أن هذا الحديث عن القضايا الداخلية التى كانت تحدث فى مصر، والتى كانت تشغل عقول الشباب المصرى فى الجامعة آنذاك، أوجدت حاجزاً كبيراً تجاه ما يدور على الصعيدين العربى والعالمى فى تلك الفترة، فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفى قلب الانشغال بالأحداث الداخلية لمصر فى الجامعة عام ١٩٤٧ حدثت مفاجأة كبرى، فأول مرة تنشغل وسائل الإعلام والصحف المصرية بحدث خطير

على الساحة العربية، ذلك الحدث هو قرار الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ برقم ١٨١ بتقسيم فلسطين.

هذا القرار الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية والصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧ والذي حدد حدود كل دولة منهما. ونص على جعل مدينة القدس كياناً منفصلاً خاضعاً لنظام دولى خاص، وتتولى الأمم المتحدة إدارتها، ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة.

المؤيدون:

الولايات المتحدة الأمريكية، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، اتحاد جنوب أفريقيا، أستراليا، إكوادور، أوروغواى، أيسلندا، باراغواى، البرازيل، بلجيكا، بنما، بولندا، بوليفيا، بيرو، تشيكوسلوفاكيا، جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية، جمهورية بيلوروسيا الاشتراكية السوفيتية، الجمهورية الدومينيكية، الدنمارك، السويد، غواتيمالا، فرنسا، القلبيين، فنزويلا، كندا، كوستاريكا لكسمبرج، ليبيريا، النرويج، نيكاراغوا، نيوزيلندا، هايتى، هولندا.

المعارضون:

أفغانستان، إيران، باكستان، تركيا، سوريا، العراق، كوبا، لبنان، مصر، المملكة العربية السعودية، الهند، اليمن، اليونان.

المتنعون:

أثيوبيا، الأرجنتين، السلفادور، شيلي، الصين الوطنية، كولومبيا، المكسيك، المملكة المتحدة، هندوراس، يوغوسلافيا.

فيهذا - ومن وجهة نظرى - قد تم تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة عبرية وتقرر أن تكون مدينة القدس كيانا مستقلا يخضع لنظام دولى خاص، وتقرر أن يتولى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة إدارة القدس.

وكان هذا القرار صدمة لى ولجلى من الشباب، فلم يكن لدينا أية خلفية عن إرهابات هذا القرار، وقد اتضح لى مع تقدم السن والاهتمام بهذه القضية وزيادة

القراءات والاطلاعات التاريخية أن الأمر يعود إلى جذور تاريخية تبدأ بنابليون ١٧٨٩م وحملته العسكرية على مصر والشام (وفلسطين جزء منها)، حيث جاءت أول دعوه لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود على لسان بونابرت أثناء دعوته لليهود العالم للتجمع من أجل تحقيق الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين، فحملة بونابرت ١٧٩٨ بدأت كمشروع يهودى من أجل السيطرة على فلسطين حين وجه نابليون نداءه إلى يهود العالم من فرنسا، خاصة يهود (الخزر) وهم قبيلة أوروبية كانت وثنية، اكتسبوا الديانة اليهودية فى منتصف القرن الثامن عشر، ويقال لهم الاشكنازى، وعاشوا كقبائل فى ألمانيا، ولكن الثابت أن هؤلاء اليهود لا تربطهم أية علاقة بالعبرانيين أو بنسل بنى إسرائيل، وكان نداء بونابرت لهؤلاء اليهود أن يشاركو فى حملته على أرض فلسطين، ليسيظروا ويقيموا دولة إسرائيل، حيث قال بونابرت فى ندائه لليهود العالم:

كما جاء فى نص خطاب نابليون بونابرت الذى نشر فى «كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية». تأليف د/ أحمد حجازي السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور/ على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر (ومفتى مصر الحالى).

الناشر/ مكتبة الناقد

ما يلى:

«من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا: إلى ورثة فلسطين الشرعيين!!».

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومى، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدون - وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعيا ويونيل - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من أن عبود الله سيسعون إلى صهيون وهم ينددون، وسوف تعهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه. إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبيكم، بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم، لا بد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألف سنة. إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات وبالرغم من شواهد اليأس والعجز.

إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به ويمشى بالنصر أمامه وبالعدل قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها.

يا ورثة فلسطين الشرعيين إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضماتها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفاً لاسيطرة وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألف سنة لم تنفخ في قتل هذه الشجاعة: سارعوا! إن هذه هي اللحظة المناسبة - التي قد لا تتكرر لآلاف السنين - للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة إلهكم يهوه طبقاً لعقيدتكم، وافعلوا ذلك في العلن وافعلوه إلى الأبد»

(نابليون بونابرت)

ومن مصر توجه نابليون بونابرت إلى عكا ففشل وانهزم وانسحب إلى مصر، ثم انسحب من مصر بعد أربع سنوات من الغزو وفي خلال هذه السنوات الأربع التي احتلت فيها القوات الفرنسية مصر بقيادة نابليون ومن بعده (كليين) كبير جنرالاته. وليست أحداث الثورة الفرنسية موضوع كتابي، إلا أنني أسجل ما انطبع في ذهني

واستقر في عقلي عن هذه الحملة وهي أمور تتعلق باعتدائه على قدسية الجامع الأزهر الشريف بخيوله و تقتيل المسلمين فيه وفرض غطاء رأس على مشايخ الأزهر يمثل علم فرنسا ذى الألوان الثلاثة (الأحمر والأزرق والأبيض) وهي كما يفسرها عامة الناس هي نفس ألوان عمامة رجل الأزهر في زيه الخاص، ومن ناحية أخرى محاولته هدم تمثال أبى الهول بمدافعه القوية التى لم تتل إلا أنف التمثال.

والحسنة الوحيدة للحملة الفرنسية التى يمكن تسجيلها فى كتابى هذا هو بعثة العلماء الفرنسيين التى سجلت أحوال مصر آنذاك فى كتاب عنوانه «وصف مصر» وكذا فضل أحد علماء البعثة الفرنسية العلمية فى فك رموز اللغة الهيروغليفية عن طريق اكتشاف حجر رشيد ذى اللغات الثلاث الهيروغليفية - اليونانية - الهيروغليفية حيث تمكن العالم الفرنسى شامبليون عن طريق هذه اللغات الثلاثة فك رموز اللغة الهيروغليفية، والغريب أن حجر رشيد هذا استولت عليه القوات البريطانية، ولازال محفوظاً فى متحف لندن التاريخى، وقد دعوت شخصياً مدير مكتبة الإسكندرية لاتخاذ الوسائل لاسترداد حجر رشيد من لندن ووضع فى مكتبة الإسكندرية بمناسبة افتتاحها عالمياً، ولكن للأسف لم يتم هذا وقد احتقلت محافظة البحيرة عام ١٩٩٩ بذكرى مرور ٢٠٠ عام على حجر رشيد (الميناء المشهور بمحافظة البحيرة) ولقد ناديت بتآخي ميناء رشيد بمدينة فيجاك الفرنسية حيث ولد فيها المكتشف شامبليون، وللأسف لم يتم هذا.

وأحب أن أسجل أن فكرة نابليون بعودة اليهود إلى فلسطين عن طريق حملته على مصر والشام تعود فى جذورها إلى الثورة الفرنسية نفسها.

فالتأمل للمبادئ التى قامت عليها الثورة الفرنسية (الحرية والمساواة والإخاء)، يجدها فى نص البروتوكول (الأول) من بروتوكولات حكماء صهيون، والذى جاء فيه بالنص «كذلك كنا قديماً أول من صاح فى الناس الحرية والمساواة والإخاء (نقلاً عن كتاب الخطر اليهودى - من بروتوكولات حكماء صهيون - الناشر دار الكتاب العربى بيروت - لبنان).

وفى رأىى أن هذا النداء الفرنسى عن طريق بونابرت ليهود العالم من أجل إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، متضامناً مع أفكار الثورة الفرنسية قائم على مخطط صهيونى والذى أوجد لدى يهود أوروبا الحماس للتخلص من الاضطهاد الكاثولىكى فى ذلك الوقت ضد اليهود فى مختلف البلاد الأوروبية الكبرى (أسبانيا - بريطانيا - إيطاليا - ألمانيا - النمسا)، فقد أدى هذا الحماس اليهودى فى داخل هذه البلاد الأوروبية إلى بروز فكرة إنشاء منظمة صهيونية عالمية وصل الأمر بها إلى دعوة هرتزل (الأب الروحى للحركة الصهيونية)، لقيام المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ فى مدينة بازل السويسرية أى بعد ٩٩ عاماً من حملة بونابرت على مصر والشام.

وهرتزل هو أول من فكر فى جمع شتات اليهود الاشكنازى من أصل أوربى فى (دولة)، وفى عام ١٨٩٦ نشر كتابه (الدولة اليهودية)، ليدلل فيه على أن المسألة اليهودية ليست مسألة فرد، بل مسألة شعب، وأن رد الاعتبار لليهود ورفع الاضطهاد الأوروبى عنهم لن يكون إلا بالاعتراف بهم كشعب متميز له خصائصه المتفردة، وأن هذا لن يتم إلا بطرح القضية على المستوى الدولى، وقد التقى هذا الفكر مع يهود بريطانيا القوه العظمى بما لديها من رءوس أموال يهودية، وقد تمثل ذلك فى محاولة استقطاب البارون اليهودى البريطانى روتشيلد لمساندة المشروع، حيث كانت أسرة روتشيلد اليهودية شديدة الثراء وشديدة النفوذ فى الوقت نفسه، كما فكر هرتزل فى أن تكون الدولة اليهودية دولة قومية علمانية تقوم على أساس جمع اليهود كقومية، وقد كانت نقطة الانطلاق بمؤتمر (بازل) بسويسرا، وفى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ اجتمع (٢٠٤) شخصيات يهودية بقيادة هرتزل، حيث انتخب هرتزل كأول رئيس للمنظمات الصهيونية العالمية، وأنشئ أول صندوق قومى لليهود، وكذلك أول صحيفة يهودية (دى فيليت) أى (العالم) والتي لاتزال تصدر حتى الآن فى ألمانيا، كما تم الاتفاق على إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين يضمن القانون العام تأكيداً لحق الشعب اليهودى فى بعثه قومياً فى بلده، أرض الميعاد، لشعب الله المختار.

ولقد أرخت جريدة الأهرام لهذا الحدث في عددها الصادر في ١٧ ديسمبر ١٨٩٧ ،
أى بعد انعقاد المؤتمر بعدة أشهر حذرت فيه من الاستيطان الصهيونى فى مدينة
القدس ، وقد حذرت من الاجتماع الصهيونى فى سويسرا الذى دعا أعضاؤه إلى جمع
المال من أغنياء اليهود فى الأرض كلها لشراء أرض فلسطين بهدف العودة إليها
وإعادة التوطن اليهودى فيها ، كما طالبت جريدة الأهرام الدولة العثمانية ألا تدع
رعيتهما فى فلسطين بلا سند يستندون إليه إزاء الأجانب المهاجمين لاحتلال قطعة
من الخلافة الإسلامية (تدر لبناء وعسلاً) كما قيل عنها فى التاريخ القديم (فلسطين) ،
وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإمبراطورية العثمانية كانت من أحرص الكيانات
الإسلامية للحفاظ على كيان فلسطين ، لاسيما السلطان عبد الحميد الثانى الذى
حارب فكرة وجود اليهود فى فلسطين ، كما رفض بيع الأرض لهم ، وعندما عرضت
الحكومة البريطانية على السلطان عبد الحميد الثانى فكرة شراء أراضٍ لليهود
فى فلسطين ، كان رده موجهاً لسفير بريطانيا فى استانبول : «إنى لا أستطيع أن
أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك الأمة
الإسلامية ، وقد جاهد شعبي فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمائه ، فليحتفظ
اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك بأن
يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حى ، فإن عمل المبضع «المشرط» فى بدنى لأهون
على من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة ، وهذا أمر لا يكون ، إنى
لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

السلطان/ عبد الحميد الثانى

استانبول ١٩٠١

بل إن السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى أصدر فرماناً ينص على عدم السماح
لليهود بالإقامة فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وهنا نذكر أن هرتزل عندما عرض
على السلطان عبد الحميد الثانى عن طريق بريطانيا شراء فلسطين كان يريد أن
يستغل فرصة الديون التى غرقت فيها الخلافة العثمانية بسبب حروبها الطويلة ،

وقد رأى هرتزل بعد ذلك أن حلم تحقيق الوطن القومي لليهود يعتمد على أمرين هما: جمع اليهود، وقد تحقق ذلك في مؤتمر بازل ١٨٩٧، أما الثاني فهو (شركة اليهودى) ويقصد بذلك وجود بنك يهودى تخصص أمواله لتمويل فكرة الاستيطان اليهودى فى فلسطين، ولذا دعا هرتزل إلى إنشاء البنك وقد تم ذلك بالفعل حين أسس هرتزل (البنك الاستعماري اليهودى) عام ١٩٠٢، والذى ظل يحمل هذا الاسم حتى تغير إلى (البنك الوطنى الإسرائيلى) ١٩٥٠.

لقد كان هرتزل مدركاً حالة الإفلاس المالى التى كانت تعانىها الخلافة العثمانية والديون التى تراكمت عليها لمعظم دول أوروبا، وكان هرتزل على علم أيضاً أن السلطان قام بتأجير جزيرة قبرص للملكة فكتوريا ملكة الإمبراطورية البريطانية مقابل ٩٢ ألف جنيه إسترليني وكميات كبيرة من الملح كل عام، وتزامن ذلك مع ظهور اتفاقيه (سايكس - بيكو)، وقد جرى الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا حول مستقبل المنطقة العربية فى حالة انتهاء الحرب العالمية بانتصار الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) على الخلافة العثمانية التى كانت حليفة ألمانيا، وكانت الولايات العربية آنذاك تابعة للخلافة العثمانية، وافتقت بريطانيا وفرنسا آنذاك أن يقوم (سايكس) مندوباً عن بريطانيا و (بيكو) مندوباً عن فرنسا بوضع تصور لتقسيم المنطقة فى حالة فوز الحلفاء فى الحرب ضد الخلافة العثمانية ووضع (سايكس - بيكو) وزيراً خارجياً بريطانيا وفرنسا تصوراً سرياً لتقسيم الغنيمة العثمانية بعد الحرب، وسافر المندوبان البريطاني والفرنسى سراً إلى (روسيا) فى مارس ١٩١٦ وعقدا اجتماعاً سرياً مع وزير خارجية القيصر الروسى، وتم الاتفاق بين الثلاثة (البريطانى والفرنسى والروسى) على أن يكون من نصيب روسيا «البحر الأسود» وبعض الأجزاء من آسيا الصغرى، وعلى أن تكون منطقة الشام (سوريا ولبنان) من نصيب فرنسا، وأن تكون منطقته العراق وشرق نهر الأردن وفلسطين من نصيب بريطانيا، وزيادة فى التعمية والتضليل تم التوقيع على الاتفاقية التى عرفت باتفاقية (سايكس - بيكو) فى القنصلية الروسية فى مدينة الإسكندرية بمصر التى كانت تحت احتلال بريطانيا

منذ عام ١٨٨٢ ، ولم تشترك أمريكا في الاتفاقية تطبيقاً للمبدأ الأمريكي (مونرو) وهو عدم التدخل في شؤون أوروبا، ولم يحدث التدخل الأمريكي إلا عام ١٩١٧ عن طريق الضغط من اللوبي في أمريكا اليهودى لاستكمال حلقة الوعد البريطاني بإنشاء وطن قومى لليهود.

ففى العام نفسه (١٩١٧) الذى قد تم الكشف عن هذه الاتفاقية السرية فى أكتوبر ١٩١٧ ، وكان رد فعل بريطانيا لإحداث الارتباك فى المنطقة أن أعلن آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ تصريحه «وعده» لليهود وللحركة الصهيونية العالمية بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين هذا نصه :

وزارة الخارجية البريطانية

فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧

عزيزى اللورد روتشلد

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته :
إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى»
وسأكون ممتناً إذا أحطتم الاتحاد الصهيونى علماً بهذا التصريح.

المخلص / آرثر بلفور

وهنا تلاقت صراحة أهداف بريطانيا كقوة عظمى لإيجاد دوله لليهود فى فلسطين لتحمى مصالحها فى قناة السويس طريقها إلى الهند، وفى الوقت نفسه تتخلص بريطانيا وأوروبا من مشكلة اليهود بإيجاد ما يشغلهم فى دولتهم الجديدة.

ولعل من أشهر الشخصيات التى كان لها دور أساسى فى صدور تصريح «وعد» بلفور وإنشاء وطن قومى لليهود شخصية حاييم وايزمان، حيث حصل على تصريح «وعد» بلفور الشهير مكافأه له على مساعدة بريطانيا فى صناعه البارود والأسيتون

اللازمين للصناعات الحربية في أيام الحرب العالمية الأولى، والتي كان لها الفضل في انتصار بريطانيا والحلفاء على ألمانيا والخلافة العثمانية.

هكذا كان تصريح «وعد» بلفور الصادر من وزير خارجية بريطانيا، أكبر قوة في العالم آنذاك أو (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس)، أصبح هذا التصريح السند الرسمي والدولى للمؤتمر الصهيونى الأول بعد مرور عشرين عاماً على عقده في بازل، وهذا الحدث يفسر أن خلق وطن قومى لليهود فى فلسطين ليصبح فيما بعد دولة إسرائيل كان بفعل القوى الإمبريالية العالمية وعلى رأسها بريطانيا للتخلص من اليهود بصفتهم مثار قلق لأوروبا، وفى الوقت نفسه يكون خلق دولة يهودية فى قلب العالم العربى والإسلامى تهديداً لأى صحوة إسلامية عربية.

وقد بدأ التطبيق العملى للدور البريطانى فى خلق دولة إسرائيل بدخول الجنرال (النبسى) قائد الجيش البريطانى القدس فى ٩ ديسمبر عام ١٩١٧، وعند دخول للنبي القدس قال جملة الشهيرة «ها قد عدنا يا صلاح الدين، فانتقلت القدس وفلسطين منذ ذلك التاريخ إلى يد البريطانيين، واستمر الاحتلال البريطانى فى فلسطين حتى انتهت الحرب بهزيمة الخلافة العثمانية (رجل أوروبا المريض).

كما كان من نتائج انتهاء الحرب العالمية الأولى أن ظهر للوجود هيئة دولية تحت اسم (عصبة الأمم) نتيجة لعقد مؤتمر الصلح، وكان من أوائل القرارات التى اتخذتها عصبة الأمم جعل فلسطين تحت الانتداب البريطانى بضغط من اليهود، هكذا أخذ الاحتلال البريطانى لفلسطين الشرعية الدولية بعد صدور قرار عصبة الأمم لجعل فلسطين تحت الانتداب، تغيير الوضع القانونى للقوات البريطانية فى فلسطين من دولة محتلة إلى دولة لها حق الانتداب فى الأراضى الفلسطينية، وبدأت بريطانيا الدولة المنتدبة فى تنفيذ تصريح «وعد» بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وذلك عن طريق تشجيع واستقبال الهجرات اليهودية من أوروبا، لتقييم وطناً قومياً لليهود أوروبا فى فلسطين، حتى سلمتها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ للعصابات الصهيونية التى أعلنت دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨.

وعلى الجانب الفلسطيني كان طبيعياً أن يقابل هذا الاستيطان اليهودى بأيدٍ بريطانية ، رد فعل فلسطينى أمام هذا التطور المذهل المفاجئ ، فكلما شعر الفلسطينيون بزيادة تدفق اليهود ، فقدوا الأمل فى نيل استقلالهم الوطنى .
ووصلت المقاومة نروتها عام ١٩٣٦ فيما عرف بالثورة الفلسطينية الكبرى ، ولذلك ازدادت المقاومة الفلسطينية نتيجة زيادة أعداد هجرة اليهود من أوروبا .
وأوقد شرارة هذه المقاومة نزاع على حائط بين اليهود والفلسطينيين ، فيما عرف بانتفاضة البراق ، حيث حاولت الصهيونية سرقة حائط البراق بالمسجد الأقصى بدعوى أنه حائط المبكى أو جزء من هيكل سليمان إلا أن اللجنة الدولية فى القدس بعد أن استمعت لممثلى العرب واليهود ، واطلعت على الوثائق ، قررت فى ١ ديسمبر عام ١٩٣٠ بالإجماع أن الحائط الغربى للمسجد الأقصى هو حائط البراق وليس حائط المبكى كما يدعى اليهود ، وأن هذا الحائط ملك المسلمين .

وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين فى نوفمبر عام ١٩٤٧ هبت الشعوب العربية باندفاع - كعادتها - للاحتجاج على هذا التقسيم وأعرب الشعب المصرى عن رفضه فى شكل مظاهرات اجتاحت شوارع القاهرة ، وطافت بمقار السفارات والمؤسسات الغربية ورجمتها بالحجارة ، واحتشد رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى الأزهر على غرار ثورة ١٩١٩ ، ووصف المصريون هذا القرار بأنه قرار جائر وظالم ، وأن قيام دولة يهودية يهدد مصر بالذات ، وطالب الشعب المصرى الحكومة ورئيس الوزراء بمعالجة الموقف بالبت السريع وليس بالحيرة والارتجال ، على اعتبار أن إسرائيل مسدس مصوب إلى قلب مصر ، وفتحت بعض الجامعات والأحزاب معسكرات لتدريب المتطوعين على حرب العصابات ، واعترضت الحكومة على تسليح الجامعات والأحزاب حتى لا يتحول التدريب إلى تشكيل ميليشيات تشكل خطراً على الأمن السياسى المصرى الداخلى ، مما جعل الجميع يتساءل عن حالة الجيش المصرى وما يعانى به آنذاك من نقص فادح .

كل هذا يحدث ومجتمع الجامعة فى مصر مشغول بمشكلة الجلاء البريطانى والحكم والملكية ، وزاد عليه حدث تقسيم فلسطين والانتداب البريطانى والهجرة

اليهودية، مما خلق رد فعل شعبي وصل لدرجة عمل المتطوعين أو الفدائيين، حيث إن الحكومة المصرية عجزت عن اتخاذ قرار بدخول الجيش المصرى لوجود الجيش البريطاني فى مصر وفلسطين، ولم يتحقق دخول الجيش المصرى إلا بعد إعلان قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وانتهاء الانتداب البريطانى وانسحاب الجيش البريطانى من فلسطين مما دفع الحكومة المصرية والحكومات العربية الأخرى لدخول جيوشها النظامية فيما عرف بحرب فلسطين، وهنا بدأت المواجهة بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى، ولا أود أن أدخل فى تفاصيل هذه الحرب والهدنة التى تم الاتفاق عليها والأراضى التى اكتسبتها إسرائيل زيادة عن قرار التقسيم، الأمر الذى أدى إلى احتلال مثلث أم رشاش المصرية على خليج العقبة وإنشاء ميناء إيلات الإسرائيلى ولهذا الموضوع كتاب خاص به.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن تنضم إسرائيل لعضوية الأمم المتحدة فى ١١ مايو عام ١٩٤٩.

وقد أشارت ديباجة قرار قبول إسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة بشكل محدد إلى تعهدات إسرائيل بتنفيذ القرارين ١٨١ و ١٩٤، وهما القراران اللذان شكلا صلب قضية فلسطين فى الأمم المتحدة.

ثم كانت ثلاثة الأثافي عندما هزمت الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨، ووقعت اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل عام ١٩٤٩ وكافة الدول العربية المجاورة لها، وكان هذا الحدث أكبر دليل على ضعف الدول العربية، وأبرز قوة إسرائيل آنذاك دون الدخول فى تفاصيل كيف هزمت الجيوش العربية وتدايعيات الهزيمة، ودون الدخول فى قانونية اتفاقيات الهدنة باعتبارها أول خطوة للاعتراف بإسرائيل كدولة، الأمر الذى تم بعد ذلك رسمياً فى سنوات لاحقة بدأت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ كما سيأتى ذكره فى كتاب خاص به مستقبلاً.

فكل هذه المواقف ليست موضوع كتابى هذا، وتحتاج إلى كتب منفردة تكون قادرة على تأريخ هذه الفترة الخطيرة فى تاريخ القضية الفلسطينية، كل هذا كان

يدور في نقاشنا نحن الأصدقاء الثلاثة (المسلم - اليهودى - المسيحى) وكنا لازلنا فى المرحلة الدراسية، ولم يرد على خاطرى ولا على خاطر صديقى المسيحى وجود أى تعاطف أو رفض من صديقنا اليهودى لما يحدث فى فلسطين، حيث كان يشاركنا فى خطورة هذه الأحداث، وأمله فى نجاح القوات العربية فى مهمة تحرير فلسطين.

لكن الأحداث قد تطورت حتى وصلت كما ذكرنا إلى إعلان دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية، لكن ذلك أيضاً لم يغير فى علاقتنا ولم يظهر صديقنا اليهودى أى موقف خاص. حتى انتهت المرحلة الجامعية (١٩٤٦ - ١٩٥٠) حيث كانت الأمور استقرت بوجود دوله إسرائيل وبقاء الجزء الفلسطينى (الضفة الغربية) التى انضمت إلى مملكة الأردن والجزء الفلسطينى الثانى (غزة) تحت حكم مصر. وفى يونيو ١٩٥٠ ظهرت نتيجة التخرج ونجحنا نحن الثلاثة، وقررنا الاحتفال بالنجاح، كان احتفالى احتفال المسلم الأعزب المقيم وحده فى القاهرة، احتفالاً بسيطاً فى إحدى المطاعم المشهورة بالعاصمة، أما فى بيت صديقى المسيحى فكان احتفالاً عائلياً يتسم بالروح المصرية الصميمة ضم الأهل والأصدقاء، أما صديقنا اليهودى فكانت حفلة ضمت الكثير من أقاربه بشكل مبالغ فيه بالنسبة لاحتفال الأصدقاء بالنجاح، وقبل انتهاء الحفل فوجئت بأن الصديق اليهودى يودعنا لأنه سيرحل عن مصر فى اليوم التالى متجهاً إلى فرنسا ومنها إلى إسرائيل فى سفر نهائى، حيث يسبق بقية عائلته حتى ينهوا أعمالهم فى مصر، ثم يسافرون إلى إسرائيل، وهنا أصابتنا الدهشة بهذا الأمر، وشعرت بمدى خطورته، حيث دخلت دولة إسرائيل فى أعماق مصرى يهودى وليس يهودياً يعيش فى مصر، ما كان يخطر على بال أخويه المصريين المسلم والمسيحى أنه سيقادر الوطن الذى ولد فيه من أسرة مصرية تمتد فى جذورها إلى أمد بعيد، وتربى وتعلم فى مدارسها وجامعاتها، مهاجراً إلى بلد تحكمها عصابات صهيونية مسلحة اغتصبت أرض شعب آخر بدون وجه حق.

لقد خدعنا إذن بعد أربع سنوات من الصداقة من شخص يهودى كنت أنظر إليه كمصرى قبل أن أنظر إليه كيهودى، دون النظر إلى عقيدته، وتلك كانت صدمة كبرى لم ولن تنسى أبداً، ودار سؤال فى ذهنى وهو: كيف ينقلب مواطن مصرى يهودى فى لحظه ما إلى مواطن إسرائيلى؟!، وكيف يتنازل هذا الصديق أو الذى كان صديقاً عن مصريته فى لحظة؟، وهل اليهودية دين أو جنسية، ثم من هو اليهودى؟ كل هذه المشاعر انتابتنى وأنا فى دهشتى وانظر إليه بنظرة فيها كل الدهشة والتعجب وأخذت بيد صديقى المسيحى، وغادرنا منزل الصديق الثالث الذى كان يخفى عنا ما صدمنا.

وهنا أقول: إنه منذ وجدت دولة إسرائيل على أرض فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد ولشعب الله المختار، وهناك على الساحة الدينية والسياسية خلاف كبير وصراع وحروب وفتن لا أول لها ولا آخر ومستمرة وتستمر.

وامتد هذا الخلاف إلى تعدد التسميات لأصحاب هذا الوعد الإلهى وعمن هم شعب الله المختار؟ هل هم العبرانيون منذ أيام النبى إبراهيم؟ أو هم بنو إسرائيل؟ أى: أبناء النبى يعقوب الإثنا عشر؟ أو هم اليهود؟ هل هم اتباع النبى موسى بعد نزول التوراة أو هم الصهاينة؟ الذين جعلوا من الديانة اليهودية المعاصرة حركة عنصرية سياسية تطلب الأرض والدولة وذلك عن طريق الحرب واغتصاب أرض وشعب فلسطين.

وهكذا وتحت هذه المظلة متعددة الألوان يثور الجدل فى كل بقاع الأرض فى المحافل الدولية وفى الأروقة السياسية والدبلوماسية وفى المعابد والكنائس والمساجد، كما انشغلت بهذا الجدل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية واصطبغت هذه الألوان باللون الأحمر القاتل لئون الدماء.

يعود إلى ذاكرتى دائماً هذا الجدل الذى استقر فى وجدانى، بل ينتابنى الفرع من جراء هذا الجدل فى مستقبل السنين القليلة القادمة أن يتعمق وأن ينتشر بحيث يمكن أن يؤدى إلى صراع دينى يشمل البشر جميعاً فى كافة أنحاء المعمورة، ولا يعلم إلا الله وحده ما ستكون عليه الحياة!!.

وتعود بى الذاكرة إلى يوم الجمعة ، وأثناء الصلاة فى مسجد بالإسكندرية بنادى سبورتنج ، فوجئت بإمام المسجد يتناول فى خطبة الجمعة قصة ثلاثة من أولياء الله الصالحين من بنى إسرائيل راويًا قصة «الذين دخلوا مغارة فانغلقت عليهم بحجارة كبيرة لم يستطيعوا أن يزحزحوها بقوتهم الجسمانية فبدأوا يدعون الله أن يفتح عليهم باب المغارة وتوسل كل منهم فى دعائه بعمل صالح له ابتغاء وجه الله ، وبعد أن انتهى الثلاثة من دعائهم كانت الحجارة قد تحركت على مراحل لتسمح بالفتحة يخرج منها الأربعة الواحد تلو الآخر» وبعد نهاية هذه القصة طالب أمام المسجد المصلين أن يقتدوا بهؤلاء الصالحين من بنى إسرائيل.

بعد انتهاء الصلاة سألت الكثير من المصلين عنم هم بنو إسرائيل؟ فكانت إجابتهم ومعظمهم من الشباب أن بنى إسرائيل من دولة إسرائيل.

وبهذا المعنى يكون الإسرائيليون وهم رعايا دولة إسرائيل من أولياء الله الصالحين وفى هذا ما فيه من خلط وعدم فهم وإدراك لحقيقة العلاقة بين بنى إسرائيل «وهم أولاد النبى يعقوب» وبين الإسرائيليين وهم مجموعة متفرقة من اليهود من مختلف الجنسيات فى العالم، سواء من أوربا بأجناسها المختلفة أو من البلاد العربية، أو من البلاد الإفريقية كالحبشة، جمعتهم الديانة اليهودية، أى إن الإسرائيليين «شعب دولة إسرائيل» هم خليط من الأجناس والشعوب المختلفة اجتمعوا فى شكل دولة أنشئت بقرار من الأمم المتحدة نتيجة ظروف سياسية عالمية، وتحت ادعاء ديني تعصبى، وأطلق على هذه الدولة اسم إسرائيل وهذا لفظ صفة وليس اسم علم ولفظ الصفة (إسرائيل) أطلقه الله على النبى يعقوب كما هو معلوم من آيات القرآن، وكما جاء فى سفر التكوين من العهد القديم الفصل ٣٧ الفقرة ٢٨ ونصها «قال أى الرب: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل».

وعلى هذا فإن قصة إمام المسجد عن الثلاثة من بنى إسرائيل من أولياء الله الصالحين لا علاقة لها إطلاقًا بشعب دولة إسرائيل ويطلق عليهم حسب القانون الدولى الإسرائيليون، وهم أبعد ما يكونون عن أولياء الله الصالحين.

وهذا يعود بذاكرتى إلى مشكلة خطيرة تؤرق العالم كله ، وهذه المشكلة هي : هل دولة إسرائيل التى أوجدتها الأمم المتحدة بقرار اتخذته عشرات الدول بأغلبية بسيطة من مجموع دول العالم آنذاك أى عام ١٩٤٨ - هل هذه الدولة هي فقط لليهود؟ أو أن سكان هذه الدولة يمكن أن يكونوا من ديانات أخرى؟ وهنا تبرز خطورة ما تطالب به الصهيونية العالمية حتى الآن والتي تستند إلى دعوام الدينية (الباطلة!!!) على أن اليهود هم شعب الله المختار، وإن إسرائيل دولة يهودية يعيش فيها كل يهود العالم، وبناء على هذا المنطق تقوم إسرائيل بطرد وإبعاد كل من ليس يهودياً من الأرض التى حصلت عليها بقرار التقسيم عام ١٩٤٧، ومن الأرض التى حصلت عليها باحتلال بقية فلسطين عام ١٩٦٧، والصهيونية العالمية بذلك تعيد للحياة نظرية عدم اعترافهم بـ «عيسى ابن مريم عليه السلام» وبـ «محمد (صلى الله عليه وسلم)» وهذا فى حد ذاته أمر له خطورته على مستقبل العلاقات الدولية التى تتأثر ولا شك بالأديان.

فضلاً عن أن الفرق ما بين بنى إسرائيل منذ عهد النبى يعقوب منذ أوف السنين، وبين الإسرائيليين الذين هم رعايا دولة إسرائيل التى أنشئت عام ١٩٤٨، ويطلق على بقايا العرب الذين استمروا ولم يغادروا أرضهم فى حرب ٤٨ بعد إنشاء دولة إسرائيل إسرائيليون من أصل عربى، سواء أن كانوا مسلمين أو مسيحيين من أبناء فلسطين المحتلة.

وهنا يطرح سؤال شديد الخطورة: من هو مواطن دولة إسرائيل؟ هل هو من العبرانيين الذين عبروا نهري دجلة والفرات إلى أرض فلسطين العربية مع النبى إبراهيم؟ هل هو من أبناء النبى يعقوب حفيد إبراهيم ابن اسحق الذى يوصف بإسرائيل (أى نبى الله باللغة العبرية) ويطلق على أولاده الاثني عشر «بنو إسرائيل» ومن بعدهم أحفاد اتخذوا نفس الاسم!!!

هل هو من بنى إسرائيل الذين عاشوا فى مصر بعد النبى يوسف بعد أن نزلت التوراة على النبى موسى على أرض سيناء المصرية، وأصبحوا يهوداً؟

ثم هل هو كيهودى - يعتقد أن اليهودية دين أو جنسية وعرق RACE؟ بمعنى هل هو كيهودى أبيض اللون ويهودى آخر اسمر اللون جنسية واحدة وعرق واحد؟ أو إنهما يتحدان فى الدين فقط؟! ولكل جنسيته ونسبتهم ضعيفة بالقياس ليهود العالم الذين لم يتركوا أوطانهم لاسيما فى نيويورك.

هل هو يهودى من المؤمنين بالصهيونية العالمية ومن اتباع هرتزل - الذى لا علاقة له بالساميين - والذى نادى بإنشاء وطن لكل يهود العالم أيا كان جنسياتهم وألوانهم على أرض فلسطين العربية - وإذا كان ذلك فهل هو صهيونى؟؟ هل هو يهودى سيفارديم أو يهودى اشكنازى والفرق بينهم كالفرق بين الشرق والغرب؟ ولا يتحدان إلا فى الديانة فقط وليس الجنسية.

أخيرا وفى سؤال واحد هل هو .. عبرانى - من بنى إسرائيل - يهودى صهيونى إسرائيلى؟! أو جاء بإيعاز غربى لغرض فى نفس الغرب.

لم تكن قصتى مع صديقى اليهودى الذى كان مصريا هى تجربتى الوحيدة أثناء دراستى الجامعية، بل إن هناك الإجابة التى تنتظرها عن هذه الأسئلة توضح لنا - وللعالم كله- لغز إنشاء دولة باسم إسرائيل على خريطة العالم فى فلسطين.

مفاجأة أخرى فى تجربتى مع اليهود حدثت لى أثناء الدراسة الجامعية، حيث جرت العادة فى الكليات والمعاهد التجارية أنه ابتداء مع إجازة صيف السنة الثانية من التعليم التجارى وكانت الكليات والمعاهد توجه الطلبة للتدريب خلال الصيف فى الشركات والبنوك الخاصة فى ذلك الوقت، وساقنتنى الأقدار إلى مكتب محاسب ومصفاً قانونى تعهد إليه المحاكم بالإشراف على الشركات التى أعلنت إفلاسها التجارى، حيث يقوم المكتب بعملية التصفية القانونية .

وبالصدفة كان مدير هذا المكتب يهودياً، والشركة التى يقوم بتصفيتها شركة تجمع رأس مال يهودى مسيحي مسلم، وازداد اختلاطى بالشخصيات اليهودية فى تلك الفترة، حيث كان بداية التدريب فى صيف ٤٨، قيل أحداث إعلان وقيام دولة إسرائيل فضلاً عن تقسيم فلسطين، وأذكر أنه فى صيف ٤٨ وبعد أن قامت

دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ وأثناء الحرب بين الجيش المصري والإسرائيلي، ونحن جالسون نهائياً في مكاتب الشركة التي كانت تصفى، دوت صفارات الإنذار لأن طائرات يهودية جاءت لتغير على القاهرة، والجالسون ما بين مسلم ومسيحي ويهودى، مما أثار الصمت وحالة من الذهول لما وصلت إليه قوة اليهود بمساعدة دول الغرب وعلى رأسها بريطانيا امتد فيما بعد إلى عدوان إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا على مصر عام ١٩٥٦ وعدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٦٧ فى حرب الأيام الستة التى استولت فيها إسرائيل على شبة جزيرة سيناء بالكامل والتي لم يتم استعادتها إلا عام ١٩٧٣، كما احتلت الجولان السورية التى لازالت تحت الاحتلال الإسرائيلى وعلى بقية فلسطين (الضفة وغزة) حتى الآن ثم احتلت جنوب لبنان عام ١٩٨٢ وانسحبت تحت ضغط مقاومى حزب الله عام ١٩٩٥.

فى الصحافة

تخرجت عام ١٩٥٠ بعد حصولى على بكالوريوس العلوم التجارية وعمرى عشرون عاماً، وبدافع الطموح سعيت إلى العمل، فعملت فى القسم الإدارى وبالتحديد مجال الحسابات فى الصحافة وإن كان هذا لم يحجم اهتمامى بالكتابة الصحفية، أما المؤسسة التى عملت بها فكانت مؤسسة جريدة المصرى والتى كان يملكها أفراد عائلة واحدة لم تكن هى الوحيدة التى تمتلك صحفاً، حيث كان هناك عائلات مصرية وشامية تمتلك صحفاً ومجلات مثل الأهرام وأخبار اليوم والهلال وروز اليوسف، والمصور، وامتازت جريدة المصرى بأنها كانت المتحدث باسم حزب الوفد السياسى وحزب الأغلبية فى ذلك الوقت، كل هذا كان قائماً فى مصر قبل ثورة الجيش ١٩٥٢.

وإلى جانب هذه المؤسسات الصحفية المصرية الخاصة كان هناك مؤسسة يهودية تحت اسم شركة الإعلانات الشرقية وكانت صاحبتهأ هى مدام فىنى اليهودية التى مازال اسمها يطلق حتى الآن على أحد الميادين فى حى الدقى، كانت هذه المؤسسة تتولى نشر الصحف والمجلات باللغات الأجنبية (الفرنسية، الإنجليزية، اليونانية، والإيطالية)، كما كانت هذه المؤسسة هى الوحيدة التى تشغل أيضاً بالإعلانات والدعاية التى تخدم الشركات الاقتصادية فى مصر من خلال الإعلان بالجرائد والملصقات الإعلانية، وكان معظم العاملين بهذه الشركة شخصيات غير مصرية، أغلبهم من اليهود غير المصريين ويحملون جوازات سفر غير مصرية، كما كانت اللغة الفرنسية هى لغة الإدارة.

وكان من نتائج وجود دولة إسرائيل أن أعلنت هذه المؤسسة اليهودية نفسها للبيع، وقد اشترت عائلة المصرى تلك المؤسسة وتم تصديرها عن طريق اختيار شخصيات مصرية شابة متخصصة فى إدارة شركات الصحافة والإعلانات كنت أحدهم، وبذلك امتد نشاطى من جريدة المصرى فقط إلى الشركة التى تصدر الصحف

باللغات الأجنبية، فضلاً عن النشاط الإعلاني، وقد أتاح لي العمل بهذه المؤسسة كشف مدى التدخل اليهودي في الصحافة والنشاط الاقتصادي المصري، بل أكثر من ذلك أدركت أن هذه المؤسسة الصحفية كانت بمثابة وكر لنشاط شيوعي صهيوني، وقد أتاحت لي معرفتي باللغة الفرنسية كشف كثير من الأمور في هذه المؤسسة ما كنت أدركها من قبل، واتضح لي العلاقة الوثيقة التي كانت تربط نشاط هذه المؤسسة باليهود خارج مصر.

وبعد قيام ثورة الجيش في يوليو عام ١٩٥٢ وما تبعها من قرارات تأميم وتمصير الصحافة المصرية كان من نتائجها أن استولت على جريدة المصري وتغير اسمها إلى جريدة الشعب كما استولت أيضاً على مؤسسة شركة الإعلانات الشرقية التي كانت تابعة لمؤسسة جريدة المصري، وحولتها إلى مؤسسة الجمهورية للصحافة والنشر. واستمرت في إصدار الجرائد باللغات الأجنبية، وأضافت جريدة مصرية تحت اسم الجمهورية، وقد رأس محمد أنور السادات هذه المؤسسة (بصفته عضو مجلس قيادة ثورة الجيش)، وكان رئيساً للمؤسسة الجمهورية قبل أن يكون رئيساً لجمهورية مصر العربية، ومن اللافت للنظر أن استيلاء حكومة الثورة على هاتين المؤسستين قد امتد إلى الجذور وتغيير الاتجاهات والأهداف، وكانت هذه الخبرة بالنسبة لي عنصراً مهماً في إدراكي خطورة ليس على الإعلام المصري فقط بل على الإعلام العالمي بأسره فيما بعد. وكان نتيجة هذه التغيرات الجذرية في ميدان الصحافة، والإعلام التي تولاها وأشرف عليها أنور السادات كما ذكرنا وكذا صلاح سالم (وكان أيضاً عضو مجلس قيادة ثورة الجيش)، والذي شغل منصب وزير للإرشاد القومي، وهي أول وزارة بهذا الهدف في مصر بعد ثورة الجيش، كانت نتيجة كل هذه التغيرات المفاجئة أن سعييت للعمل في مجال آخر.

فى شركة شل

وشاءت بى الأقدار أن أعمل فى شركة شل للبترول، والتي كانت من أكبر شركات البترول الأجنبية التي يطمح الشباب المصرى للعمل بها آنذاك، كما كانت تحتل المرتبة الثانية فى الأهمية فى ذلك الوقت بعد شركة قناة السويس العالمية. وكانت تجربتي مع شركة شل بعيداً عن الصحافة تجربة شديدة الخصوصية والخطورة، فهى شركة عالمية يغلب عليها الطابع البريطانى (هولندا - بريطانيا)، وكانت - ولا زالت - من أكبر شركات تسويق وتوزيع البترول فى العالم، وكان لها فى مصر توأم، وأقصد بها شركة آبار الزيوت البريطانية المصرية، وهى التي تختص بعملية البحث عن البترول فى خليج السويس وإنتاجه وتكريره، أما التوزيع فتتولى مسؤوليته شركة شل.

بدأت بالعمل فى قسم الحسابات، وبعد سنة تمت ترقيتي إلى وظيفة مراجع داخلى لحسابات الشركة، امتدت إلى منتصف عام ١٩٥٤، ثم بعد فترة وجيزة تم ترشيحي أمام لجنة اختبار للعمل بإدارة المبيعات فكانت هذه اللجنة مكونة من مدير الإدارة العامة البريطانى ومدير إدارة المبيعات البريطانى، ومدير المستخدمين البريطانى ومساعدته المصرى.

وأمام اللجنة سُئِلت أسئلة فنية تبيّن مدى ثقافتى وإلمامى بمنتجات الشركة وحسابات وتسويق منتجاتها بعد أن قضيت ما يقرب من عامين فى العمل الحسابى والمراجعة، ثم فوجئت بسؤال من أحد الأعضاء البريطانيين عن رأيت فى فيما أذيع من أنباء عن وجود صفقة لاستيراد الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا، وهى صفقة استيراد أسلحة من المعسكر الشرقى مقابل القطن المصرى، فأجبت بلباقة: هذه الصفقة ضرورية، والضرورة فيها أن مصر فى حاجة لأسلحة لتدافع عن نفسها، خاصة وأنه تم توقيع اتفاقية لجلاء القوات البريطانية عن مصر، فكان رد (المدير البريطانى): كيف يكون المحصول الرئيسى لمصر مقابل أسلحة غير منتجة،

فأكدت أن الهدف هو وجود قوة دفاعية لدى مصر ضد الأعداء، وهو من الأهمية مثل أية سلعة رئيسية يحتاجها الشعب المصري، فسأل: ومن عدو مصر؟ وهنا كانت إجابتي موجّهة إلى كل أعضاء اللجنة: أنا أمامكم لاختياري لوظيفة رجل مبيعات وتسويق، ولست أمام لجنة أو مجلس اختيار رجل دبلوماسي فشكروني على لباقتي، وقالوا إن نتيجة هذا الاختبار لن يؤثر على مستقبلتي في قسم المراجعة الحسابية، وانصرفت.

لقد أثارت تلك اللجنة انتباهي، جعلتني أعيد التفكير في بريطانيا من جديد، ليس فقط باعتبارها البلد التي احتلت مصر ما يزيد عن سبعين عاماً، وإنما باعتبارها الدولة التي منحت إسرائيل حق الوجود في الوطن العربي، فهي صاحبة وعد بلفور، ذلك الوعد الذي انطبقت عليها الحكمة (وعد من لا يملك لمن لا يستحق)، كما أن بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين من عصبة الأمم قد سلمت فلسطين لليهود لإنشاء دولة إسرائيل.

كما أن المفاوضات بين بريطانيا وحكومة ثورة الجيش كانت ولا زالت ملء الأسماع والأبصار في مصر، والتي انتهت بعقد اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ كل ذلك بمثابة هزة جعلتني أعيد التفكير في أشياء كثيرة، لعل أهمها هو ذلك التهديد غير المباشر من اللجنة حينما أكدوا أن هذا الامتحان لن يؤثر على عملي في قسم المراجعة الحسابية، فما زال شاخصاً في ذهني المبدأ البريطاني الشهير (Hire and fire) أي (عين وارقد)، إلا أنني فوجئت بعد ذلك أن استدعاني مدير عام المراجعة الحسابية وكان بريطانياً، طمأنني أن عملي كمراجع لن يتأثر نتيجة لجنة المبيعات.

وقد كانت خطورة قسم المراجعة الحسابية تكمن في رئيسه، ذلك الشاب البريطاني في أفكاره وحماسه وتشجيعه لي، والذي عرض عليّ منحة دراسية للندن للحصول على درجة علمية يقال لها (محاسب قانوني دولي)، وهي تعادل دكتوراه في المحاسبة، أنتقل عن طريقها من عملي كموظف محلي في شركة شل في مصر إلى موظف دولي في شركة شل في أي فرع من فروع العالم.

وتزامنت هذه الأحداث الشخصية مع توقيع (اتفاقية الجلاء) ١٨ يونيو ١٩٥٤ بعد أن انتهت المفاوضات الشاقة بين رجال الثورة والمسؤولين البريطانيين. وكان من دواعي تطبيق بنود هذه الاتفاقية هو تفويض الشركة فى الإدارة لمدة سبع سنوات تقوم خلالها باستلام أنابيب البترول ومحطات التقوية من السويس إلى غمرة، والتي يملكها الجيش البريطانى فى ذلك الوقت، لتسليمها للسلطات المصرية المختصة بعد انتهاء سبع السنوات.

ولذلك تكوّن وفد من موظفى الشركة وأنا منهم بمقابلة المسؤولين فى القيادة العامة للجيش البريطانى فى (فايد) من أجل توقيع اتفاق حول الممتلكات وعدد الموظفين والخبراء من أجل استلام هذه الممتلكات، تمهيداً لإدارتها خلال سبع السنوات، وقد تم اختيارى لأكون عضواً فى هذا الوفد، وكنت المصرى الوحيد فى اللجنة، والتي كانت تضم اثنين من اليهود من حاملى جوازات سفر أوروبية، وأقمنا فى الإسماعيلية، وكنا نتحرك كل صباح للقيادة العامة للجيش البريطانى فى فايد، وظهر لى أن وجود العنصر اليهودى فى اللجنة كان بدافع التجسس ومحاولة جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات ليس لنقلها لشركة شل، وإنما لنقلها إلى إسرائيل، فرأيت من واجبى أن أنقل ما حصلت عليه من معلومات عن (القاعدة البريطانية وعن وفد الشركة) للمسؤولين المصريين المختصين، وهو ما حدث بالفعل.

وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حدثت هزة عنيفة غطت على الأحداث، لى لى، وإنما لمصر والعالم كله، حيث قام عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس، وكان نتيجة ذلك أن قام العدوان الثلاثى على مصر من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، حيث احتلت إسرائيل سيناء حتى شرق القناة وتعطلت الملاحة فيها، كما قامت إسرائيل بأسر جنود مصريين وقتلتهم، والقوات البريطانية تمركزت فى مدن القناة.

وتم وضع شركة شل كمؤسسة بريطانية مثل باقى الشركات البريطانية والفرنسية تحت حراسة الحاكم العسكرى المصرى، وتم إيقاف كافة العاملين فى الشركة غير المصريين، والإبعاد الفورى لبعض كبار الشخصيات البريطانية فى الشركة، وتم

وضع شركة شل في مصر تحت إدارة مصرية صميعة، كما تم إلغاء اتفاقية الجلاء الموقعة مع بريطانيا عام ١٩٥٤ (التي هي حتى الآن من ضمن الأعياد الرسمية التي يحتفل بها في مصر) مع أن الأولى الاحتفال بإعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ وإلغاء الملكية، وتم فيما بعد انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية والإسرائيلية عن طريق الضغط الأمريكي والسوفيتي.

وكان أخطر ما في العدوان الثلاثي - من وجهة نظري - وجود إسرائيل كقوة معتدية، قادرة على أخذ قرار بالقيام بالعدوان على مصر، على رغم أن وجودها غير المشروع على الصعيد الدولي لم يتجاوز ثماني السنوات (من ١٩٤٨ - حتى ١٩٥٦)، مما أدى إلى إحساسى بمدى خطورة إنشاء إسرائيل ليس على فلسطين فحسب، ولا على مصر فقط، وإنما يمتد الأمر لباقي العالم العربي والإسلامي في المستقبل. كما أنه برغم ما يبدو في ظاهر الأمر من أن أمريكا ضد إسرائيل في قرارها بانسحاب قواتها ووقف عدوانها على مصر عام ١٩٥٦، إلا أن الأيام أثبتت أن أمريكا تريد أن تستأثر بسيطرتها على إسرائيل، وبالتالي السيطرة على المنطقة العربية، و إبعاد كل من بريطانيا وفرنسا عن هذا الميدان.

وتعود بي الذاكرة إلى العدوان الثلاثي لأتأمل غرابة السياسة العالمية، فقد استجابات (بريطانيا - فرنسا - إسرائيل) لأمر أمريكا بالانسحاب من مصر، وبالنسبة لإسرائيل كان قبولها للأمر راجع إلى النفوذ الأمريكي المسيطر على اليهود آنذاك، تنفيذًا لما ورثوه عن الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين الذي قال للشعب الأمريكي عام ١٧٨٩ عند وضع الدستور الأمريكي أى منذ ١٦٧ عاماً:

أيها السادة في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى، وافسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزلوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، إنى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم، إن اليهود لن يصبحوا مثلنا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقم».

وهنا المفارقة، فهل يستطيع الرئيس الأمريكى الحالى أن يقول ذلك الآن، أو هل يستطيع على أضعف الإيمان أن يأمر إسرائيل بوقف العدوان على فلسطين، أو على أى بلد عربية أو غير عربية، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن نفوذ اليهود الآن هو السلطة العليا على الرئيس الأمريكى وحكومته، فضلاً عن أن النظرية الصهيونية تقول: إن أى يهودى من أى جنسية فى العالم ولاؤه الأول لإسرائيل، كما إن أى يهودى فى العالم هو إسرائيلى قبل أن يكون تابعاً لجنسيته من الدولة التى يعيش فيها.

إن أمريكا وإن كانت فى الظاهر - حالياً - هى المحرك لمجلس الأمن، فإن إسرائيل من وراء الستار الأمريكى تمارس فترة تدريب إلى أن يأتى اليوم الذى تكشف فيها إسرائيل عن نفسها، وهى التى ترأس وتتحكم فى مجلس الأمن، وفى هذا تحقيق لما تنادى به بروتوكولات حكما صهيون من إيجاد حكومة عالمية يهودية واحدة تحكم العالم كله:

«بكل الوسائل سنضغط المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً، وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا وسينقلب مجلس الأمن إلى هذه الحكومة»!! .

وليس كتابى مجالاً لسرد الأحداث والآثار المترتبة على العدوان الثلاثى على مصر إلا أن العدوان عام ١٩٥٦ أول دليل على قوة وجود إسرائيل على العالم العربى والساحة العالمية فيما بعد وهنا يثار سؤال:

هل هناك خطأ فى فكرة أن أمريكا والغرب هم وراء خلق إسرائيل وإلا فكيف تنقلب الآية إلى أن إسرائيل الآن هى المتحكمة فى الغرب وعلى رأسه أمريكا؟

أربعة وثلاثون عاماً دبلوماسياً

البداية

أثناء عملي بشركة شل نشرت الصحف المصرية أوائل ١٩٥٥ خبر تعيين ٤٢ ملحقاً دبلوماسياً بوزارة الخارجية المصرية كثاني دفعة بعد تعيين ١٤ ملحقاً كدفعة أولى أوائل عام ١٩٥٤.

أثار هذا الخبر انتباهي ورغبتى فى أن أكون واحداً من هؤلاء لأن مهنة الدبلوماسية سوف تحقق لى حلمى بالسفر والاحتكاك والانتقال والتعرف على العالم الخارجى لاسيما وأن هذا الاحتكاك كان قد بدأ بالفعل من خلال عملى بشركة شل البريطانية الهولندية، فضلاً عما قدمته لى شركة شل من عرض لدراسة الشهادة العليا للمحاسبة فى لندن كى أصبح محاسباً قانونياً وهى تعادل درجة الدكتوراه، الأمر الذى يؤهلنى لأن أكون محاسباً قانونياً دولياً يحق لى العمل فى أى فرع من فروع شركة شل ليس فى مصر فقط بل فى العواصم العالمية، وبذلك أنتقل من كونى موظفاً محلياً فى شركة شل إلى موظف دولى فى شركة شل.

وتشياء إرادة الله أن تعلن وزارة الخارجية فى أوائل عام ١٩٥٥ عن امتحان مسابقة تعيين فى وظيفة ملحق دبلوماسى للدفعة الثالثة بعد ثورة الجيش وكان سبب تكرار الاعلان عن دفعات تعيين ملحق دبلوماسى فى خلال ثلاث سنوات على التوالى (٥٣، ٥٤، ١٩٥٥) هو احتياج المسؤولين فى وزارة الخارجية بعد الثورة إلى إيجاد كم من الملحقين الدبلوماسيين المصريين لسد الفراغ الموجود بالوزارة بعد ثورة الجيش وكذا لإعداد الكادر الكافى من الدبلوماسيين لمجابهة التوسع فى العلاقات الدبلوماسية المصرية مع العالم بعد ثورة الجيش خاصة وأن التمثيل الدبلوماسى المصرى الملكى كان محدوداً ويحقق أهداف الملكية ومصالحها.

فى هذه الظروف بدأت رحلة استعدادى لخوض امتحان وزارة الخارجية، فى الوقت الذى كنت أعمل فيه فى شركة شل من السابعة والنصف صباحاً وحتى

السابعة والنصف مساءً كل يوم عدا يوم الأحد وكان عليّ أن أستعد لخوض امتحان فى مواد القانون الدولى وتاريخ العلاقات الدولية والاقتصاد السياسى والجغرافيا الاقتصادية وتاريخ العالم العربى مع التركيز على تاريخ مصر، فضلاً عن إجادة لغتى الدبلوماسية الإنجليزية والفرنسية، أو إحداهما مع إجادة لغة أخرى. وكانت إقامتى آنذاك مع عائلة أجنبية تتكون من سيدة روسية بيضاء متزوجة من رجل سويسرى عاشت فى مصر ما قبل قيام الثورة الشيوعية الحمراء فى روسيا عام ١٩١٧.

أقول: كانت إقامتى مع هذه الأسرة التى كانت تقطن بشقة فى شارع سليمان باشا سبباً مباشراً فى إيجاد الظروف التى سحنت لى أن أوصل استعدادى للامتحان لفترة ثلاثة شهور متصلة حددتها وزارة الخارجية.

وعقد الامتحان التحريرى فى مقر وزارة الخارجية بإشراف أساتذة من جامعة القاهرة، وظهرت نتيجة الامتحان التحريرى الذى تقدم إليه ٤٥٠ شخصاً نجح منهم عشرون كنت ثانى الناجحين ثم بقى الامتحان الشفوى الذى تحدد موعده بعد ظهور النتيجة بستة أشهر.

كان الامتحان الشفوى يعقد فى السابعة مساءً بديوان عام وزارة الخارجية لأربعة ناجحين كل يوم بنفس الترتيب، كنا نمتحن أمام لجنة مشكلة من أربعة سفراء من وزارة الخارجية ورئيس العلوم السياسية بكلية التجارة جامعة القاهرة.

وعندما دخلت على هذه اللجنة فى أحد الصالونات الفاخرة بمبنى الوزارة القديم بميدان التحرير، دخلت بعد أن طرقت الباب وقلبى يبيض وجدت تلك اللجنة المهيبة فى أحد أركان هذا الصالون وكان عليّ أن أمشى عدة خطوات حتى أصل إليهم، وهنا احترت متى أحيى اللجنة؟ هل منذ دخولى أو عندما أصل إليهم فقررت أن أحييهم عند وصولي إليهم وعندما وصلت سحبت الكرسي المخصص للممتحن وجلست، فبادرنى أحدهم قائلاً: من أذن لك بالجلوس، فقممت وأعدت الكرسي إلى مكانه ثم استأذنت فى طلب الجلوس فسمحوا لى دون أن أفقد توازنى

وتوالت الأسئلة لمدة نصف ساعة بسؤالى عن حياتى الخاصة وعملى بشركة شل وراتبى بها، وأتذكر أننى عندما قلت لهم: إن راتبى ٨٥ جنيهاً بشركة شل، فأجابنى أحدهم بقوله: هل تعرف أن مرتب الملحق الدبلوماسى ١٢,٥ جنيهاً فكيف تفسر لنا ذلك.

فقلت: لأننى أحلم بالعمل الدبلوماسى دون النظر إلى النواحي المادية. وأتذكر أن سؤال الأستاذ الجامعى للعلوم السياسية كان اختياريًا عن طريق سحب سؤال من الأوراق الموجودة أمامى، والغريب أن السؤال كان ما هى أحقية مصر فى تأميم قناة السويس؟

فحمدت الله على هذا السؤال الذى كنت مستعداً له من ترددى على مكتب بجاردن سيتى ينشر مجلة دورية عن قناة السويس وكنت أحد المهتمين بالمشاركة فى هذا المكتب وبقراءة هذه المطبوعة وكانت تعرض مدى أحقية مصر فى تأميم قناة السويس أحسست برضا اللجنة لاسيما من خلال طريقة توديعى بعد انتهاء المقابلة. بعد مرور شهر تقريباً وبالتحديد أواخر عام ١٩٥٥ أعلن بالجرائد المصرية نتيجة الامتحان وكنت الخامس على العشرين.

وكانت المفاجأة كبيرة لوالدى الذى جاءه المهنتون من كل مكان فى مدينة دمنهور كى يهنئوه على كون ابنه دبلوماسياً فى الوقت الذى لم يكن والدى يعرف أى شىء عن خوض هذه التجربة، ففاجأنى بالزيارة إلى مدينة القاهرة، معبراً عن دهشته وعدم رضاه عن موقفى، لرفض العمل فى دمنهور بعد تخرجى ثم رفض العمل فى مصر كلها بعد دخول وزارة الخارجية دون أن اهتم بعلاقتى وحرصى على أسرتى الخاصة التى تضم والدى وأمى وإخوتى فقلت له إن هذه إرادة الله وطلبت منه أن يسامحنى ويدعو الله لى بالتوفيق، فدعا لى بالتوفيق ثم عاد إلى دمنهور وظل هذا الشعور ملازماً لى حتى أقمت فى دمنهور بعد سن التقاعد فى صحبة والدتى وكان والدى قد توفى إلى رحمة الله، وسألت أمى ألم يشتك إليك والدى منى بسبب ابتعادى المستمر عنه وعملى فى الخارجية وتواجدى المستمر فى بعثات دبلوماسية

خارج مصر، فأكدت لى أنه كان راضياً عنى تمام الرضا بدليل دعائه المستمر أن يوفقنى الله فى الخارج وعلى رغم تأكدى من حديثى مع أمى عن والدى إلا أن هذا الشعور ظل ملازماً لى حتى الآن.

لم يبق على صدور قرار التعيين سوى الكشف الطبى الدقيق للتأكد من قوة تحمل الشخص للتعرض لأجواء مختلفة وأنحاء مختلفة فى العالم كله، وقد اجتازه العشرون بنجاح ثم جاء دور ديوان عام الموظفين الذى له مكتب باسم إدارة المستخدمين فى قلب وزارة الخارجية وهى إدارة مستقلة تشرف آنذاك على كل تعيينات موظفى الدولة أيا كانت الوزارة التى يلتحقون بها فيما عدا ضباط الجيش وضباط الشرطة توجهنا نحن العشرين إلى هذه الإدارة بأصول المستندات من شهادات دراسية ومؤهلات علمية وتقرير طبى وموقف من التجنيد وهنا فوجئت بالسيد مدير عام إدارة المستخدمين يرفض إدراج اسمى ضمن قرار التعيين الصادر من وزارة الخارجية بتعيين الدفعة الثالثة يناير ١٩٥٦ وذلك بحجة أن مؤهلى الدراسى لا يعترف به للاتحاق بوظيفة ملحق دبلوماسى بوزارة الخارجية حيث كان مؤهلى هو درجة بكالوريوس علوم مالية وتجارية من المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية، أحد المعاهد العالية التى أوجدتها الدولة بالقاهرة مثل المعهد الزراعى والصناعى عندما ضاقت جامعة فؤاد (القاهرة) بخريجي الثانوية العامة، واستمرت هذه المعاهد تعمل منذ أوائل الأربعينات حتى منتصف عام ١٩٥٠ حيث أنشئت جامعة إبراهيم لتكون ثالث جامعة فى المملكة المصرية بعد جامعة فؤاد (القاهرة) أوائل العشرينات. والثانية جامعة فاروق (الإسكندرية) أوائل الأربعينات وأصبحت هذه المعاهد هى نواة كلية التجارة وكلية الهندسة وكلية الزراعة بحكم المرسوم الملكى الصادر.

وهنا قررت أن أتقدم بمذكرة لوزارة الخارجية بتاريخ ١٥ يناير عام ١٩٥٦ أعترض فيها على منعى من التعيين وأطالب بحقى فى هذه الوظيفة، وقد بنيت مذكرتى على أسس قانونية كانت كالتالى:

القاهرة فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٦ .
السيد الدكتور مستشار الرأى لوزارة الخارجية
بعد التحية

بالإشارة إلى خطاب الوزارة رقم ٣٠٦ بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٥٦ للسيد رئيس قسم
الفتوى والتشريع بمجلس الدولة .
أتشرف بعرض الآتى :

إن كلية التجارة بجامعة عين شمس استمرار للمعهد العالى للعلوم المالية والتجارية
من كافة النواحي سواء فى المنهج الدراسى أو العميد أو الأساتذة أو الطلبة ، كل
ما هنالك أن الاسم تغير نتيجة لإنشاء جامعة جديدة والحقائق الآتية تؤيد هذا
الاستمرار بصورة عملية .

بعد صدور المرسوم بإنشاء الجامعة لم تمنح درجة بكالوريوس علوم مالية وتجارية
لأى خريج بمعنى أن الطالب الذى كان بالسنة النهائية بالمعهد سنة ١٩٥٠
ورسب وأعاد السنة فى العام الدراسى سنة ١٩٥١ فإنه حصل على بكالوريوس
تجارة بالرغم من أنه أمضى أربع سنوات بالمعهد ولو كان النظامان منفصلين
والدراسة تختلف فى المعهد عنها فى الكلية لاستمرت درجة بكالوريوس علوم
مالية وتجارية تمنح لجميع الطلبة الموجودين بالمعهد وقت صدور المرسوم مهما كان
تاريخ تخرجهم ولمنحت درجة بكالوريوس تجارة للذين التحقوا بعد صدور المرسوم
فقط أى خريجى ١٩٥٥ وهذا لم يحدث فمنذ ١٩٥١ حصل جميع الخريجين على
درجة بكالوريوس تجارة باعتبار أن المعهد والكلية مدة واحدة متصلة .

عند إنشاء الدراسات العليا لكلية التجارة نص فى لائحتها على أن درجة
بكالوريوس علوم مالية وتجارية معادلة تماماً لبكالوريوس تجارة الكلية وسارت
الكلية على تفضيل الخريجين الحاصلين على هذين المؤهلين عند قبولهم بهذه
الدراسات على خريجي كليات التجارة بالجامعات الأخرى .

هيئة التدريس بالكلية تشمل أساتذة المعهد وخريجي المعهد الحاصلين على
بكالوريوس علوم مالية وتجارية سواء منهم الذين أرسلوا إلى بعثة علمية بالخارج
فعادوا فى وظيفة مدرسين بالكلية أم الذين بقوا بمصر وعملوا كعميدين بالكلية

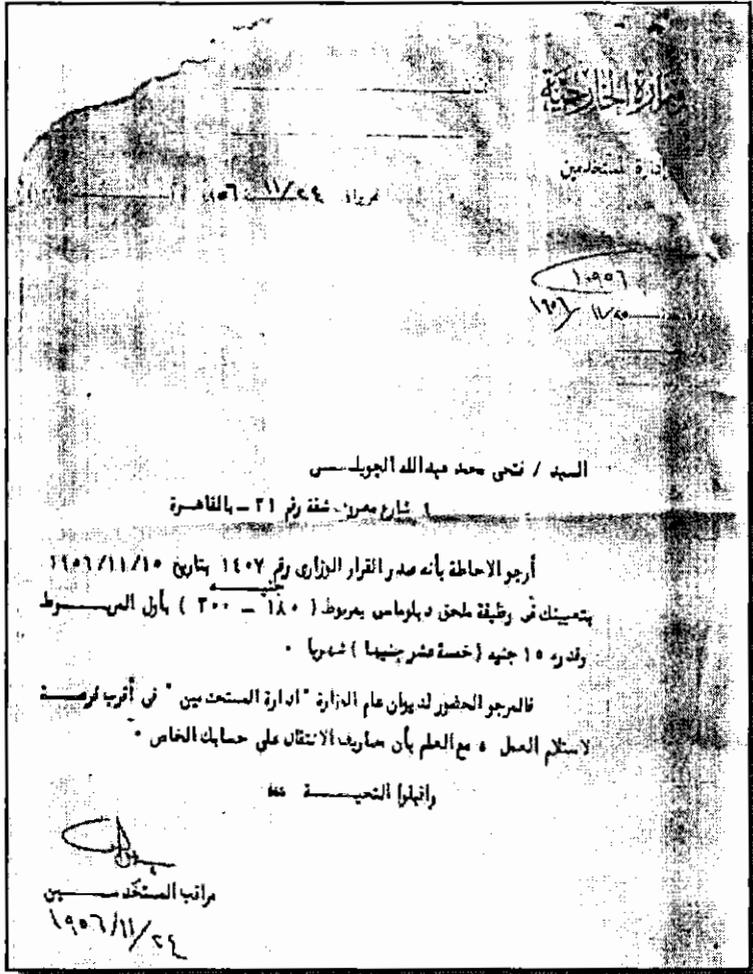
والتحقوا بالدراسات العليا بها.

لم يكن المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية هو الوحيد الذى انضم إلى جامعة عين شمس وأصبح كلية التجارة بل كان هناك عدة معاهد عليا أخرى مثل «المعهد العالى للزراعة»، «المعهد العالى للهندسة» وخلافه كلها اتحدت وكونت جامعة عين شمس بنفس منهج الدراسة ومدتها «أربع سنين» وأسأتذتها وعمداؤها ولم يفرق بين الخريجين فى ظل الاسمين بمقتضى التأشيرة رقم ٩٣ لسنة ١٩٥٥.

انفرد المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية بظاهرة عدم التخصص وظلت هذه الظاهرة سارية بعد تغيير الاسم وإنشاء الجامعة الأمر الذى يخالف بقية كليات التجارة بالجامعات الأخرى وذلك تأييداً لعدم تغيير برنامج ولا منهاج الدراسة. هذه هى بعض الحقائق التى رجعت فيها إلى كلية التجارة بجامعة عين شمس وإلى إدارة البعثات بوزارة التربية والتعليم التى رأيت من واجبى أن أعرضها على سيادتكم.

وإنى على أتم الاستعداد لتقديم شهادة من الكلية تثبت أنى مقيد بالدراسات العليا بها كمستند يضاف إلى مسوغات تعيينى التى بالوزارة (وقد أرسلت فعلاً شهادة بهذا المعنى وتأييداً من الكلية بأنى مقيد بالدراسات العليا ثم الماجستير مما يدل على أن بكالوريوس المعهد يعادل الكلية تماماً وذلك مرفقاً بشكواى لوكيل الوزارة. وكان الصمت هو رد وزارة الخارجية على مذكرتى هذه حتى شاءت الأقدار أن أرافق والدى أثناء زيارته لأحد الأطباء المشهورين فى القاهرة للمسالك البولوية الدكتور/ محمد صفوت، وكان عائداً من بعثته فى لندن، وأثناء حديثنا معه بعد أن كشف على والدى سألتنى عن عملى، فقلت له أنى أعمل حتى الآن بشركة شل وفى انتظار استلام عملى بوزارة الخارجية كملحق دبلوماسى فى حالة حل مشكلتى مع إدارة المستخدمين التابعة لديوان عام الموظفين، فسألنى عن المشكلة فقصصتها عليه، ففوجئت بقوله: أبشر إن عمى اللواء محمد صفوت أصبح مدير إدارة شئون السلكين الدبلوماسى والقنصلى بوزارة الخارجية منذ شهر فقط بعد إلغاء مكتب ديوان الموظفين، وإنه سوف يقوم بعرض الأمر على عمه، وطلب منى التوجه إليه بعد يومين فى وزارة الخارجية.

وبالفعل ذهبت إلى اللواء محمد صفوت الذي استمع إلى قصتي وأحضر كافة الأوراق التي تتعلق ببي ووعدني بدراسة الموضوع وإفادتي بما سيتم، وبعد شهرين تقريبا في أواخر أكتوبر ١٩٥٦ وصلني خطاب من وزارة الخارجية يرحب بي ويرجو قدومي لاستلام عملي كملحق دبلوماسي بوزارة الخارجية.



وهذه لم تكن المرة الأولى التي جاهدت فيها من أجل الحصول على حق من أجهزة الدولة، فقد سبق لي في سن العشرين (١٩٥٠) أن قامت إدارة التجنيد بالبحيرة بطلبي للجيش وأن أسلم نفسي في ١/٧/١٩٥٠ بصفتي خاضعاً لقانون التجنيد العام الذى صدر مؤخراً بإلزام خريجي الجامعات المصرية بأداء الخدمة العسكرية لمدة عام ونصف، فى الوقت الذى كان قانون التجنيد الذى كان مطبقاً زمن دخول الجامعة عام ١٩٤٦ يعطى الطالب الجامعى حق الإعفاء المؤقت يصير نهائياً بحصوله على الشهادة الجامعية بحكم القانون، مما يجعل قرار استدعائى للتجنيد عام ١٩٥٠ بعد تخرجى غير قانونى، الأمر الذى دفعنى إلى رفع الأمر إلى القضاء من أجل إثبات حقى فى الإعفاء النهائى طبقاً للقانون وذلك تم بالفعل، وهذا يفسر كيف كان لأفراد الشعب آنذاك حرية الدفاع عن حقوقهم والحصول عليها حتى ولو كان الأمر يتعلق بالتجنيد العسكرى وهو حق سيادة للدولة على كل مواطن فيها.

وهنا كانت هناك مشكلة أخرى، وهى كيفية الاستقالة من شركة شل التى كانت قد وضعت تحت الحراسة المصرية نتيجة العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، حيث استدعى الأمر وساطات ضخمة من أجل قبول استقالتي بعد صدور قرار بعدم قبول استقالة أى موظف بالشركة بعد وضعها تحت الحراسة، وأخيراً قبلت استقالتي وبدأت رحلة عملى بوزارة الخارجية.

و شاءت إرادة الله أن استلم مهام عملى فى وزارة الخارجية فى نوفمبر ١٩٥٦، عقب العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، فبعد أن أعطت بريطانيا لليهود حق إنشاء الوطن القومى فى فلسطين عن طريق وعد بلفور ١٩١٧، ثم قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، ثم إعلان قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ وغيرها من الأحداث المتلاحقة التى كانت كل واحدة فيها بمثابة هزة كبيرة للكيان العربى والإسلامى، ها هى ذى إسرائيل بعد ثمانية أعوام من قرار إنشائها صارت دولة تشارك فرنسا وبريطانيا (صاحبتى التاريخ الطويل فى احتلال البلاد العربية والإسلامية منذ القرن التاسع عشر) فى العدوان على مصر كنوع من الاعتراض على

تأميم القناة التي حفرها أبناء مصر بدمائهم الغالية، لقد أصبحت دولة إسرائيل تهدد أمن المنطقة وتشارك الدول الأوروبية الكبرى، التي كانت تقسم احتلال البلاد العربية، بحجة أن فلسطين أرض الميعاد وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن من حقها تأمين أراضيها وحدودها التي لم تعترف إسرائيل بتحديداتها حتى الآن برغم تحديد القرارات الدولية؟، وليس غريباً أن تشارك إسرائيل بريطانيا وفرنسا فهي من صنعتهما من أيام نابليون وحتى تصريح «وعد بلفور»

وتشاء الأقدار أن يبدأ عملي الدبلوماسية في وزارة الخارجية بإلحاقى بمكتب الوكيل الدائم لوزارة الخارجية، والذي أنشئت به لجنة تسمى لجنة شئون الأعداء، كانت تختص بالانشغال لما ترتب على وقوع العدوان الثلاثي على أرض مصر، وتعجبت كثيراً من أن المقصود بالأعداء في تلك اللجنة هما (بريطانيا - فرنسا)، ولم يكن لإسرائيل أى ذكر في أعمال تلك اللجنة، بالرغم من كونها العدو الأول لمصر، كما احتلت أرضاً مصرية هي سيناء أثناء العدوان الثلاثي بدون وجه حق، وقد سبب لى هذا الموقف الكثير من التعجب، وانشغلت هذه اللجنة أيضاً بشئون استراليا بسبب تدخل رئيس وزرائها من أجل إقناع عبد الناصر بإعادة النظر فى مسألة تأميم القناة أثناء حضوره للقاهرة من أجل هذا الموضوع، حيث كانت استراليا عضواً فى الكومنولث البريطانى تحت التاج الملكى، لكن عبد الناصر لم يقبل هذا التدخل وقام بطرد رئيس الوزراء الأسترالى من مقر الرئاسة، وكعادتها شنت الصحافة المصرية حملة عنيفة ضد استراليا ورئيس وزرائها.

هذه اللجنة كان من مهام عملها الاهتمام بنتائج قيام فرنسا وبريطانيا بالاعتداء على أرض مصر واحتلال جزء من أراضيها، وما استتبع ذلك من قطع للعلاقات مع هاتين الدولتين المعتديتين، وإنهاء التواجد الدبلوماسى لهاتين الدولتين فى مصر، مع إغلاق سفارات مصر فيهما، ووضع المصالح البريطانية والفرنسية تحت حراسة السلطات المصرية المختصة من منشآت سياحية واقتصادية وثقافية وغيرها، خاصة المدارس التي كانت تتبع هاتين الدولتين، كذلك متابعة نشاط هاتين الدولتين الدبلوماسى فى الأمم المتحدة ضد مصر فى هذا الوقت.

وكنت أنا أصغر عضو فى هذه اللجنة برتبة ملحق دبلوماسى، والأغرب
مما ذكرت أن اللجنة لم تتناول فى مناقشاتها واجتماعاتها طوال مدة عضويتى بها
أى شىء عن خطورة إسرائيل، لكن العمل لم يمتد بى فى هذه اللجنة إلا عدة
أشهر، نقلت بعدها للعمل الدبلوماسى بالسفارة المصرية لدى المملكة الليبية المتحدة
كما كان يطلق عليها آنذاك على غير ما جرى العمل به ألا ينقل الدبلوماسى للعمل
فى السفارة قبل مرور عامين على العمل فى ديوان عام الوزارة.

المملكة الليبية أولى خطواتى الدبلوماسية

نقلت للعمل الدبلوماسى فى سفارة مصر لدى المملكة الليبية المتحدة آنذاك وعاصمتها طرابلس الغرب فى مارس ١٩٥٧ ، وكان ملكها الملك إدريس السنوسى ، وكان لا يزال بها - بالرغم من حادثة استقلالها عن الاحتلال الإيطالى - قاعدة بريطانية ضخمة فى طبرق بولاية برقة ، أما طرابلس الغرب فكان بها قاعدة أمريكية جوية خطيرة من أهم وأخطر القواعد الأمريكية الجوية ، تسمى قاعدة (هويلس). وجدت فى العمل الدبلوماسى بليبيا اهتماماً بعيداً عن إسرائيل ، ذلك أن اهتمام السفارة المصرية فى ليبيا آنذاك كان يهدف إلى تتبع التواجد البريطانى والأمريكى فى ليبيا ، كما كان يهدف إلى المساهمة فى تقديم المساعدة للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسى ، والتى اشتعلت فى نوفمبر ١٩٥٤ ووصلت ذروتها فى أوائل ، ١٩٥٧ وهو مطابق تماماً لتاريخ وصولى لليبيا ، حيث ساعدت مصر الثورة الجزائرية عن طريق ولاية فزان جنوب المملكة الليبية والتي تلاصق صحراء الجزائر. ومن المعروف أن ليبيا فى ذلك الوقت كانت مقسمة إلى ثلاث ولايات ، الشرقية برقة وعاصمتها بنغازى ، والغربية طرابلس وعاصمتها طرابلس الغرب ، والجنوبية فى صحراء فزان وعاصمتها سبتا.

ومن الأمانة أن أقول: إنه كان هناك أمر آخر يشغل بال العاملين بالسفارة المصرية فى ليبيا ، وهو وجود انبهار لدى الجيل الجديد فى مملكة ليبيا المتحدة آنذاك بثورة الجيش المصرى عام ١٩٥٢ وإلغاء الملكية وإعلان مصر جمهورية ، وكان هذا الانبهار مسار أحاديث وتساؤلات واستفسارات ومناقشات من الجانب الليبى مع أعضاء السفارة ، خاصة مع الملحق العسكرى بها ، الأمر الذى يمكن اعتباره - من وجهة نظرى - أن ذلك كان تمهيداً لما كان يجرى بين طوائف الشعب الليبى من تمهيد لثورة الفاتح (الأول) سبتمبر ١٩٧٠ لإلغاء الملكية الليبية وإعلان الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية بقيادة معمر القذافى.

هكذا كان كل نشاط العمل الدبلوماسي المصري في ليبيا بكافة فروعها السياسية والثقافية والاقتصادية بعيداً تماماً عن موضوع إسرائيل وذلك من عام (١٩٥٧ - ١٩٥٩) فترة تواجدى بها، أما بالنسبة لى فإن العدوان الثلاثى كان بمثابة ناقوس خطر يدق دائماً فى رأسى، ويكشف خطر الوجود الإسرائيلى منذ مرحلتى الجامعية، ولذلك وفى حدود نشاطى واتصالاتى الدبلوماسية المحدودة فى ليبيا مع الدبلوماسيين العرب ومع الشخصيات الليبية البارزة كنت أسعى دائماً لتوضيح خطورة الوجود الإسرائيلى، خاصة بعد ما شعرت به من شعور لىبى مؤازر، كان قد غمر الشعب الليبى أثناء العدوان الثلاثى على مصر، فأهل ولاية طبرق وقفوا ضد أن تقوم القوات البريطانية الموجودة فى قاعدة طبرق بالهجوم على مصر من الغرب أثناء العدوان الثلاثى، كما أن بعض البدو من ولاية فزان الجنوبية عبروا عن مشاعرهم المؤازرة عن طريق الصيام والدعاء لله أن ينقذ مصر، وهذا ما كان يملكونه فى ذلك الوقت، لكن كل هذه المشاعر كانت مركزة على بريطانيا وفرنسا، لاسيما بريطانيا التى ورثت الاحتلال الإيطالى لليبيا، والذى انتهى بهزيمة دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) فى نهاية الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥)، حيث طردت القوات البريطانية الجيش الإيطالى من ليبيا، وأقامت قاعدة حربية بريطانية ضخمة فى طبرق فى شرق ليبيا المجاورة لمصر، أما فرنسا فمازال الاحتلال الفرنسى للجزائر ملء السمع والبصر فى ذلك الوقت، وكان رئيس وزراء فرنسا أثناء العدوان الثلاثى على مصر يقول: إنى أهزم الجزائر فى بورسعيد المصرية.

وأقول بصدق: إننى لم أسمع كلمة واحدة عن خطورة إسرائيل فى المجتمع الليبى آنذاك، بل إن بعض الآراء كانت تذهب إلى أن المسئول عن وقف الخطر الإسرائيلى هى دول الطوق ويقصد بها (مصر - سوريا - لبنان - الأردن - فلسطين) ولا شأن لدول المغرب العربى بهذا الخطر الإسرائيلى.

كما لاحظت أن تواجد اليهود الليبيين فى التجارة كان لا يزال قائماً ونشطاً حتى ذلك الوقت، خاصة فى طرابلس الغرب دون أن يتأثر بما يحدث فى مصر

وفلسطين، فوجود ليبين يهود كان أمراً طبيعياً لا ينظر إليه بدهشة ولا يتعامل معه بشك أو حذر، واكتشفت أن من طرابلس الغرب فى ليبيا حتى طنجة فى المملكة المغربية أقصى غرب العالم العربى فى شمال أفريقيا هناك مواطنون يهود لهم منزلتهم واحترامهم ونشاطهم التجارى والسياسى وتواجدهم الاجتماعى الذى لا يعامل بأى شكل من أشكال الحذر أو الشك، ولم يتأثر هذا التواجد اليهودى مطلقاً بما يحدث بالشرق العربى فى فلسطين ودول الطوق، وأعتقد أن هذا التواجد اليهودى فى المغرب العربى يرجع إلى الفترة التى استقبل فيه المغرب العربى مسلمى و يهودى الأندلس بعد سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس فى القرن السادس عشر الميلادى.

كما شعرت أن خطورة تواجد إسرائيل فى أرض فلسطين (٤٨ - ١٩٥٦) لم يكن بعد قد ظهرت آثاره على شعوب الدول العربية فى غرب العالم العربى (ليبيا، تونس، الجزائر، المملكة المغربية، موريتانيا)، خاصة وأن هذه الدول فى ذلك الوقت كانت ما بين حديثة العهد بالاستقلال أو مازالت تكافح من أجل استقلالها وخروج المحتل الأوروبى من أراضيها وأعتقد أن ذلك كان عاملاً مهماً فى ذلك الوقت فى عدم مشاركة غرب العالم العربى شرق العالم العربى فى خطورة خلق أوروبا وأمريكا لدولة إسرائيل وهذا الاعتقاد يفسر قبول الرئيس التونسى بورقيبه لقرار التقسيم بارتياح ورضا وهو القائد العربى الوحيد الذى لم يعارض قرار التقسيم.

والشئ الذى حيرنى وجود القاعدة الجوية الأمريكية فى طرابلس الغرب، فمنذ قدومى على طائرة مصر للطيران إلى مطار (طرابلس الغرب) بعد ٨ ساعات طيران من القاهرة وحتى طرابلس بطائرة (٢ محرك) فى (٢ مارس ١٩٥٧) - ٢ رمضان لفت نظرى فى صالة الاستقبال شاشة ضخمة (٢ × ١,٥ متر) تذيع برنامجاً نظرياً باللغة الإنجليزية وعندما سألت عن هذا قيل لى إن هذا شاشة تليفزيون بيت برامجه من القاعدة الأمريكية، وكان هذا الرد له وقع غامض على أذنى، فما معنى تليفزيون؟، ولم تتضح لى هذه الحقيقة طوال إقامتى فى ليبيا (٥٧/ ٥٩) إلا إننى

اكتشفت بمحض الصدفة الغربية أن هذه القاعدة الجوية الأمريكية في قلب طرابلس الغرب عبارة عن مدينة أمريكية مصغرة يقيم بها العسكريون الأمريكيون وعائلاتهم، وبينها وبين الوطن الأم أمريكا طائرات مدنية فضلاً عن الطائرات الحربية، وقد تم تصفية هاتين القاعدتين فيما بعد مع تطور الأحداث. وبحكم عملي كانت لي صداقات مع الإخوة الليبيين ثم مع الجالية المصرية، ومع الجالية الفلسطينية، وكانوا من الذين لجئوا إلى ليبيا بعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، ولم يكن مضى على لجوئهم إلا سنوات قليلة، ولذلك كانت آثار هروبهم من الوحشية الصهيونية في فلسطين لازالت حية في نفوسهم وإن لم تنتقل إلى الليبيين.

ولقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون هناك صداقة بيني وبين أحد المسئولين الشباب في وزارة الخارجية الليبية ومع شاب مصري يعمل بمنظمة العمل الدولية، ومنتدب للعمل في أحد مراكز التدريب المهني التجاري في طرابلس الغرب، وكذلك مع شاب فلسطيني يعمل كخبير في التعليم - وانضم إلى هذه المجموعة من الصداقة طيار أمريكي يعمل بالقاعدة الجوية (هويلس)، وأتاح الموقف الأمريكي الإيجابي ضد العدوان الثلاثي على مصر فرصة ترحيب هذه المجموعة العربية بالصداقة مع الطيار الأمريكي.

وحدث أن الطيار الأمريكي قام بدعوة هذه المجموعة للعشاء في منزله داخل القاعدة الأمريكية احتفالاً بقدوم (السيدة حماته) ذات الخمسين عاماً، والقادمة من ولاية جورجيا الأمريكية، ولقد أبدت الضيفة دهشتها من أن يكون زوج ابنتها على صداقة بمجموعة عربية من مصر وليبيا وفلسطين، وبعد العشاء الأمريكي - وأعني بذلك أن كل الأطعمة والمشروبات كانت واردة من أمريكا - والأمريكيون بصفة عامة أينما كانوا في أركان العمورة الأربعة يأتيهم طعامهم وشرابهم من أمريكا - تشعب الحديث مع ضيفة الشرف التي كانت شغوفة بالاستزادة من المعلومات عن مصر وليبيا وفلسطين، ولقد حرصت على أن تبدي اعتذارها العميق لسوء الفهم الذي

كان يسيطر على عقلها والشعور بالخوف الذى سيطر على قلبها فى بداية زيارتها لليبيا، وأرجعت دهشتها وسوء فهمها وتخوفها إلى ما حدث لها ليلة مغادرتها ولاية جورجيا، وقصت علينا ما حدث قائلة إن أقاربها دعوا ليلة المغادرة إلى «كنيسة المدينة»، حيث أقيمت صلاة تحفظها من العرب البرابرة، والعودة سالمة من خطر الوجود فى ليبيا، واستمعت أيضاً إلى نصائح تدعوها إلى تجنب الاتصال بأى عربى، وعدم الخروج من القاعدة الأمريكية «هويلس».

عزيزي القارئ: أذكرك أن هذه الذكريات تعود إلى ٥٠ عاماً مضت، ولا تسألنى عن رد فعل ما سمعناه من «الحماة الأمريكية»، فلقد اكتفينا بقبول اعتذارها الذى أبدته وزادت عليه بأن وعدت بأن تلوم أهلها فى أمريكا على جهلهم! ولم نرغب فى إثارة مناقشات سياسية فى هذا الحفل الاجتماعى، خاصة وأن السيدة الأمريكية اعتذرت بما فيه الكفاية، وكان هذا أول إيحاء أحس به بكره الغرب للعالم العربى وتسميتهم البرابرة من امرأة عجوز لا علاقة لها بالسياسة وإن كانت تدل على تغلغل فكرة الكره على المستوى الشعبى لدرجة إقامة صلاة فى الكنيسة الإنجيلية الأمريكية للحماية من العرب البرابرة، ولعل هذه الصدفة - التى أتاحت لى - تفسر حتى الآن عمق كراهية العرب والمسلمين التى تسود ليس أمريكا فحسب بل كل أوروبا.

مهمة دبلوماسية في تركيا بلد الخلافة الإسلامية

قضيت سنتين فى العمل الدبلوماسى بليبيا ثم نقلت فجأة وبدون مقدمات إلى قنصلية الجمهورية العربية المتحدة (وهى دولة الوحدة بين مصر وسوريا فى عام ١٩٥٨) فى ميناء مرسين بتركيا، واستمر عملى بقنصلية الجمهورية العربية المتحدة فى ميناء مرسين التركى حتى نهاية الوحدة المصرية السورية التى كانت قد بدأت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ والتى انتهت فى سبتمبر عام ١٩٦١، وانضمت القنصلية السورية فى مرسين إلى الجهاز الدبلوماسى والقنصرى للدولة الموحدة، ويرجع سبب إنشاء قنصلية سورية بمرسين إلى كونها على حدود لواء الاسكندرون السورى السليب، والذى ذكرنى بفلسطين السلبية، والذى اقتطع من سوريا عندما كانت تحت الاحتلال الفرنسى، وأهدى إلى جمهورية تركيا ثمناً لوقوف تركيا صاحبة ممرى البسفور والدرنديل اللذين يصلان البحر الأسود بالبحر الأبيض على الحياد فى الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥).

وهكذا سمحت تركيا لسوريا بعد استقلالها بإنشاء قنصلية سوريا فى مرسين، مع أن تركيا كانت تسمح للدول الأجنبية بإنشاء قنصليات فى ميناء الاسكندرون، إلا أن سوريا لم توافق على إنشاء قنصليتها فى لواء الاسكندرون السورى عاصمة اللواء، والمهم أنه بعد الوحدة المصرية السورية أصبحت القنصلية محل اهتمام القاهرة وتم تعيين ثلاثة دبلوماسيين مصريين فى هذه القنصلية كنت واحدا منهم. وتركيا والأتراك موضوع مثير وشائق ومهم للمسلمين بصفة عامة وللعرب بصفة خاصة ولمصر على وجه الخصوص، وبهذه الروح كنت سعيداً بوجودى للعمل فى قنصليتنا فى مرسين خاصة فى ظروف تاريخية دقيقة لعل أصدق تعبير عنها ما قاله رئيس وزراء تركيا فى ذلك الوقت حيث قال (إن دولة عظمى قد ظهرت فى جنوب تركيا) يقصد دولة الوحدة (مصر- سوريا).

فكان ولا بد من إقناع الأتراك بأنه لا توجد خطورة على تركيا من الوحدة المصرية السورية، حيث كانوا يعتقدون أنها خطر على تركيا، انطلاقاً من المقولة

البريطانية والتي تأثرت بها القيادات التركية. التي قالها وزير الخارجية البريطانية
(بالمستون) عام ١٨٤٠.

«ستكون فلسطين اليهودية سداً في وجه أية محاولات شريرة لإنشاء دولة
عربية تضم مصر والشام، وتهدد مصالحنا من جديد».

وغير خافٍ على القارئ العزيز أن أول شيء فعله صلاح الدين من أجل تحرير
القدس وفلسطين من أيدي الصليبيين هو توحيد مصر والشام تحت لواء الدولة
الأيوبية، ولعل هذا الإحساس التركي المتوجس من الوحدة المصرية السورية هو
الذي دفع تركيا فور الوحدة إلى الاتجاه نحو إيجاد علاقات دبلوماسية مع إسرائيل
التي أقلقها هي الأخرى الوحدة المصرية السورية.

كما كان لمكانة هذه القنصلية أهمية مؤثرة في العمل الدبلوماسي الجاد،
فبالإضافة إلى كون هذه القنصلية عيناً على لواء الاسكندرون السليبي فإنها كانت
قريبة من مدينة تركية مهمة يقال لها «أضنه» وبها قاعدة جوية أمريكية قاعدة
تسمى (انجيرك) كانت ولا زالت تستخدم في التجسس على الاتحاد السوفيتي
بطائرات tu، الدولة التي كانت تشارك أمريكا في كونهما القوتين العظميين،
وكانت القاعدة الأمريكية بها كثير من الضباط والطيارين من الأمريكان ومن الألمان
الذين كانوا يتقدمون بجوازات سفرهم في قنصليتنا بمرسين للحصول على تأشيرات
زيارة لمصر وسوريا وكانوا يملئون المساحة المخصصة لبيان الديانة في استمارة
طلب التأشيرة بكتابة يهودى بروتستنت - أو يهودى كاثوليك!! وفي هذا الوقت
أى منذ ٥٠ عاماً كنت أسألهم عن تفسير هذه التعبيرات على أساس أن الدين
إما يهودى وإمّا مسيحي، فكان ردهم العجيب والغريب الذى أسمعه لأول مرة: إن
أى مسيحي هو يهودى والمسيح نفسه يهودى وأمه يهودية!!!؟

ومنذ ذلك الزمان لم أرغب أن أناقش هذا الموضوع معتقداً أن هذا النوع من الفكر
نتيجة قوة تأثير وإيحاء الدعاية الصهيونية فى أوروبا وأمريكا لكسب تأييد شعوبها
بهدف خلق دولة يهودية فى فلسطين، واقتصرت مجابتهى آنذاك لهذا النوع من

الدعاية الصهيونية لدى المسيحيين من أوروبا وأمريكا بأن المسيح فى اعتقادهم وكما يقولون هو الإله أو ابن الإله ولا يصح مع هذا الاعتقاد وصف الإله بأنه يهودى ، كما أنه من ناحية أخرى فحسب اعتقادهم أيضاً فإن المسيح جاء بديانة جديدة تنهى وتلغى الديانة اليهودية ، وفى هذا تأكيد بأن المسيح لا يمكن أن يوصف بأنه يهودى.

ومع مرور السنين بعد أن غادرت مرسين عام ١٩٦١ أى ما يقرب من خمسين عاماً بعمق الاتصالات والقراءات والتفسيرات اتضح لى أن هذا الاعتقاد مبنى على أساس نظرية المسيحية اليهودية التى نشأت وترعرعت فى أمريكا، بل وتطورت إلى ما يعرف بالمسيحية الصهيونية وذلك لتأكيد حقيقة وجود اليهود فى دولة فلسطين، بل وزاد الأمر تعقيداً أن وجود دولة إسرائيل اليهودية بفلسطين أرض ميلاد المسيح هو تمهيد لما يؤمن به المسيحيون من عودة المسيح إلى أرض فلسطين ووجود مملكة الله، وبذلك يتم الإيمان الراسخ لدى كل مسيحي فى العالم الغربى بالمشروعية الدينية لدولة إسرائيل، وهنا لابد أن أذكر أن للكنيسة المصرية الأرثوذكسية المسيحية الشرقية رأياً يعارض هذا الفكر اليهودى الصهيونى كما سيأتى ذكره فى كتابنا هذا.

إن من يعيش فى تركيا يجد لغة تركية قديمة ولغة تركية حديثة، وتكتب كلتاهما بالأبجدية اللاتينية، بعد إلغاء الأبجدية العربية منذ عهد مصطفى كمال أتاتورك أى (أبو الأتراك) مؤسس الدولة التركية الحديثة، والذى تخلص من كل الظواهر الإسلامية التى كانت سائدة عندما كانت تركيا هى الإمبراطورية العثمانية أو الخلافة الإسلامية كما يطلق عليها، والتى انتهت بنهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، والقارئ لكتاب الذئب الأغبى (The Grey Wolf) والمنشور فى بريطانيا يستطيع أن يعرف الجذور اليهودية لمصطفى كمال أتاتورك حيث كان من مواليد (سالونيك) المدينة اليونانية على الحدود التركية اليونانية، وكانت هذه المدينة معقل يهود شرق أوروبا، حيث كان أتاتورك يهودياً وأسلم ظاهرياً، وهذه

ظاهره موجودة في تاريخ تركيا، منذ الخلافة الإسلامية، حيث كان هناك الكثير من اليهود الذين أسلموا ظاهرياً واتخذوا أسماء عربية، أطلق عليهم الأتراك يهود (الدونمه) أي المهتدين فييهود الدونمة هم اليهود الذين أسلموا بعد دخول محمد الفاتح القسطنطينية، وكانوا جزءاً ضمن جالية من الروم والأرمن في استانبول، انضم إليهم نوعان من اليهود الهاريين من الاضطهاد الكاثوليكي في روما في القرن الرابع عشر، وبعض اليهود الذين هربوا مع المسلمين عند سقوط الأندلس الإسلامية في القرن الخامس عشر (١٤٩٢)، وتمتعوا بالعيش الآمن زمن الخلافة الإسلامية بوصفهم أهل الكتاب، كما تحولت تركية بعد تسلم هتلر الحكم في ألمانيا وطيلة الحرب العالمية الثانية إلى ملجأ لليهود أوروبا الهاريين من النازية، وأخذوا مناصب مالية وجامعية في تركيا وهم يهود أوروبيون لا علاقة لهم بيهود الشرق.

وجدير بالذكر أن السلطان عبد الحميد الثاني تولى الخلافة الإسلامية في الفترة ما بين (١٨٧٦ - ١٩٠٩)، وهي الفترة التي قررت فيها الصهيونية العالمية الظهور بمملكة بنى إسرائيل من النيل للفرات، ودفعت أحداث ضاغطة بالدولة العثمانية إلى حروب متوالية في روسيا والبلقان، أنهكت الدولة واستنزفت خزانتها وأثقلتها بالديون، فتقدم عملاء اليهود بالصفقة في عام ١٩٠٨، يدفعون إلى الخزانة خمسين مليوناً من الجنيه الإسترليني قرصاً سهلاً مريحاً لسداد ما عليها من ديون، ويقدمون إلى خزانة السلطان خمسة ملايين جنيه هدية للسلطان عبد الحميد الثاني نظير سماحه بوطن لليهود في فلسطين، فكان رده إيذاناً بسقوطه وسقوط الخلافة الإسلامية، حيث تواطأت يهود الدونمة مع الدول الأوروبية على عزل السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٩، والغريب أنه يقال: إن الذي حمل قرار العزل من أوروبا إلى الآستانة هو تيودور هرتزل مؤسس الدولة اليهودية ورئيس المؤتمر الصهيوني الأول في بازل ١٨٩٧، فما ملك السلطان عبد الحميد - رحمه الله - وهو يوقع على القرار إلا أن يقول: «أما وجد القوم غيرك من يحمل هذا القرار لي».

وفى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أتاتورك (أحد يهود الدونمة) قيام جمهورية تركيا العلمانية، وبعد أربعة أشهر أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية فى مارس ١٩٢٤، كما أنشأ عاصمة جديده لتركيا العلمانية (أنقرة) فى وسط هضبة الأناضول، وألغى بذلك الدور التاريخى لعاصمة الخلافة الإسلامية (إسلام بول)، أى مركز الإسلام، والتي صارت (استانبول)، كما ألغى أهمية مدينة (قونية) فى قلب هضبة الأناضول، والتي كانت عاصمة للدولة السلجوقية فى ما قبل الخلافة العثمانية، والتي كانت مقراً للفيلسوف الإسلامى المعروف جلال الدين الرومى ومركزاً لنشاطه الإسلامى، حيث قام أتاتورك بإلغاء النشاط الإسلامى وحصره فى احتفال فلكلورى لل دراويش بسيدى جلال الدين الرومى، كما قضى أتاتورك على (الأبجدية العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية والتي تتكون مفرداتها من كلمات وألفاظ عربية بنسبة ٧٠٪، واستحدث لغة تركية جديدة تكتب بالحروف اللاتينية، وادخل فى اللغة الكثير من المفردات الإنجليزية والفرنسية، إلا أنه لم يستطع القضاء على تأثير اللغة العربية فى مفردات اللغة التركية، لدرجة أنه عندما ظهرت آلات التسجيل الحديثة لم تدخل الكلمة الأوربية (رى كوردن) بل دخلت كلمة (تسجل آلة سى) وهى مكونة من كلمتين عربيتين، ويكفى أن أذكر للقارئ العزيز أن أتاتورك عندما أقام الدولة العلمانية فى تركيا وقف يخطب فى البرلمان عام (١٩٢٣) ساخرا من القرآن حيث قال: «نحن الآن فى القرن العشرين ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون».

كما حول أتاتورك الآذان إلى اللغة التركية (الله بيوك) أى (الله أكبر) وغير زى علماء الدين، وحول الطربوش التركى إلى القبعة، وتم تأليف كتاب باللغة الإنجليزية عنوانه من الطربوش إلى القبعة، كما ألغى المظاهر الإسلامية فى شهر رمضان المعظم، وألغى الحجاب الإسلامى للسيدات، كما أباح المظاهر الأوربية المعارضة للإسلام مثل شرب الخمور والرقص والإباحية، وأعطى للجيش السلطة العليا فى حكم البلاد وحماية المبادئ العلمانية (اللادينية) حتى الآن، وشجع التيار اليهودى

فى تركيا، وقد كان الهدف من نقل مقر الحكم إلى أنقرة إبعاد استانبول كمدينة إسلامية عريقة بمآذنها ومساجدها التى يرتبط تاريخها بتاريخ الدولة الإسلامية فى تركيا، وقد كتب أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدةً طويلة يرثى فيها الخلافة الإسلامية قائلاً:

ضجت عليك مآذن، ومنابر وبيكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينه تبكى عليك بمدمع سواح
الشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ما؟

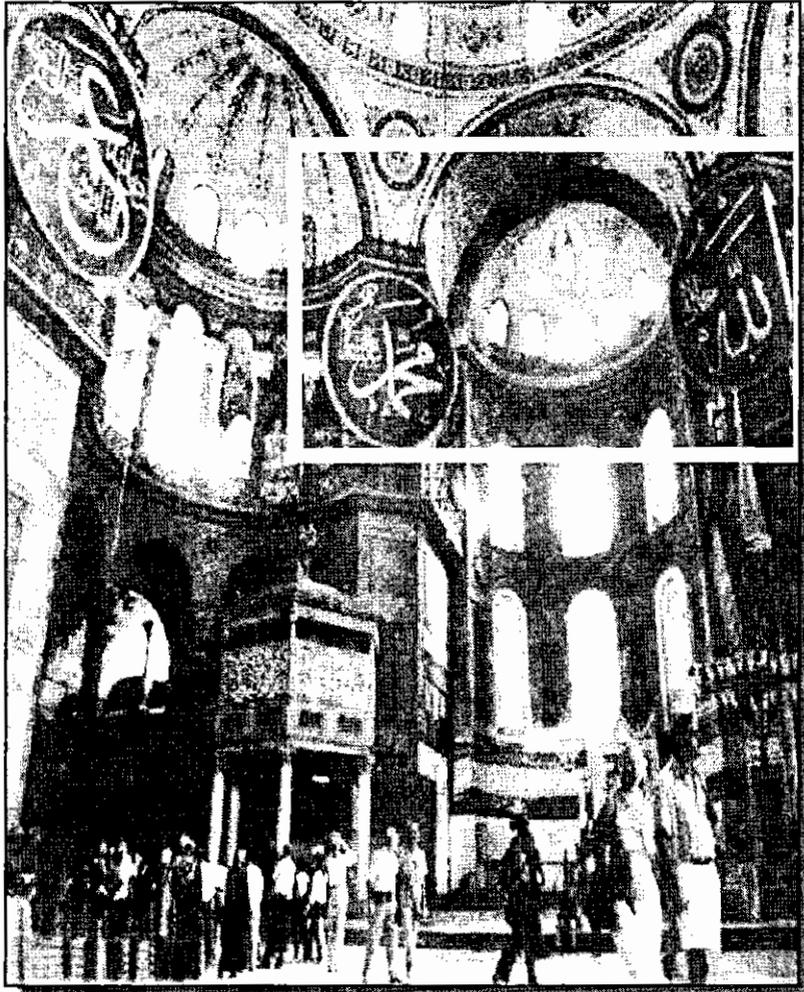
ولا شك أن زيارة استانبول تثير فى الحال ذكرى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المسيحية الشرقية الأرثوذكسية التى فتحت على يد السلطان محمد الذى لقب بالسلطان الفاتح وأصبح يطلق عليها (إسلام بول) أو الأستانة (الباب العالى) بصفتها العاصمة لمختلف عمود سلاطين الخلافة العثمانية التى اشتهرت دولياً بالخلافة الإسلامية، والتى اختفت من الوجود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى. ولست هنا مؤرخاً، ولكن أبرز ما شد انتباهى عند زيارتى لاستانبول شعورى بالتعجب لشاهدة كنيسة أياصوفيا، وقد أضيف إلى مبناها الخارجى من الأركان الأربعة مآذن، كما زينت من الداخل آيات من القرآن الكريم، فأصبحت أول مسجد يرمز إلى هذا الحدث التاريخى.

وكان مصدر تعجبى هو ما تذكرته فجأة من موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عندما زار مدينة القدس بعد أن دعى للصلاة بعد فتحها، ورفض دعوة البطريرك له أن يصلّى فى أى جزء من كنيسة القيامة، خوفاً من أن يتخذها المسلمون مسجداً، وبذلك أصبح هذا الموقف مبدأً إسلامياً لاحترام دور العبادة، وظلت كنيسة القيامة قائمة إلى وقتنا هذا ولا شك أن ما تذكرته عن عمر بن الخطاب قد أثار فى نفسى تعجباً من عمل السلطان محمد الفاتح، ويبدو واضحاً أن هناك اختلافاً كبيراً بين صدق ما قرره عمر بن الخطاب فى السنين الأولى من تاريخ الإسلام وبين ما قرره محمد الفاتح بعد مرور عدة قرون.

وتشاء إرادة الله أن يظهر فى تاريخ تركيا مصطفى كمال أتاتورك ليتزعم حركة القضاء على الخلافة الإسلامية ضمن مخطط، وذلك عن طريق القضاء على الخلافة العثمانية التى كانت يطلق عليها الأوربيون وعلى سلطانها تعبير «رجل أوروبا المريض» ولقد استقر لمصطفى كمال الأمر بأن أصبح أول رئيس لجمهورية تركيا العلمانية. (ما بين ٢٢ - ١٩٣٨) التى اقتصر سلطانها وسيادتها على شبه جزيرة الأناضول.

ولست هنا مؤرخاً لكيفية تحول الخلافة العثمانية الإسلامية إلى جمهورية تركيا العلمانية، ولكن ما يهمنى أن أبرزه أن إرادة الله شاءت بأن يصدر أتاتورك (اليهودى الأصل) أمراً بوقف العبادة فى مسجد أيا صوفيا ليصبح متحفاً وهكذا انتهى الأمر بكنيسة أياصوفيا التى حولت إلى مسجد بأن أصبحت متحفاً، وسوف يكون لقضية كتابة القرآن بحروفه اللاتينية ملف خاص فى فترة المعاش يحمل عنوان (القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم).

والذى يزور المتحف الآن يجد الإرادة الإلهية شاءت أن السلطان محمد الفاتح وهو يحول الكنيسة إلى مسجد قد أبقى على كل صور وزخارف الكنيسة، قام فقط بتغطيتها بطبقة المصيص، وزين هذه الطبقة بآيات من القرآن الكريم وشاءت الإرادة الإلهية مرة أخرى بمرور الزمن أن تسقط بعض أجزاء من هذا الغطاء لتظهر رسوم الكنيسة الأصلية، وظهر ذلك واضحاً فى هيكل الكنيسة، حيث ظهرت صورة القديسة مريم وهى تحتضن الطفل عيسى عليه السلام وبجوار ذلك مباشرة لفظ الجلالة (الله)، وبجواره محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، والغريب أن كل ذلك اجتمع فى هيكل الكنيسة، وهو نفس محراب المسجد، لأن اتجاه هيكل الكنيسة فى اتجاه القدس، واتجاه القبلة فى محراب المسجد متجه إلى مكة، وكلاهما فى اتجاه الجنوب بالنسبة للقسطنطينية التى أصبحت إسلام بول (أستانبول) وتسجيل هذه المعلومات رأيت أن أضع صورة توضح ما ذكرته.



ولقد اهتم الشاعر أحمد شوقي بهذا الحدث بقصيدة جاء فيها:

هدية السيد للسيد	كنيسة صارت إلى مسجد
بنصرة الروح إلى أحمد	كانت ليعسى حرماً، فانتهمت
على مثال الهرم المخلد	شيدها الروم وأقيالهم

وقد كان موقف السلطان عبد الحميد الراض للوجود اليهودى مسيطراً علي فكرى أثناء زيارتى استانبول، مما دعانى أن أتعرف إلى آثار هذا السلطان العظيم بعد مرور عشرات السنين من عزله، فبادرت بزيارة قصر يلدز (أى قصر النجمة) فى استانبول حيث، رافقتنى مرشدة سياحية تركية تتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، وانتهى بنا التجوال إلى قاعة العرش التى كانت مخصصة للمقابلات الرسمية للسلطان.

ووقفت بى المرشدة السياحية على باب الدخول لقاعة العرش هذه، وبدأت تحكى لى عن فخامة وأهمية هذه القاعة، وفى أثناء حديثها دخل إلى القاعة من باب جانبي فى نهايتها رجلان وسيدتان، استقر بهما الوقوف فى وسط القاعة، وعلى أثر ذلك طلبت من المرشدة أن أجول فى القاعة فاعتذرت لى قائلة: ممنوع دخول قاعات وصالونات وغرف قصور استانبول حرصاً وخوفاً على سلامة السجاجيد القيمة والأثرية الموجودة فى هذه القصور منذ عهود العثمانيين، والتى يخشى عليها إذا ما سمح للسياح (وهم ملايين) أن يمشوا عليها.

فأبديت اعتراضى وطلبت معاملتى مثل هذه المجموعة من الأشخاص الذين دخلوا إلى وسط القاعة، فاعتذرت لى قائلة: من بين هذه المجموعة سيده هى المدير العام المسئول عن كافة قصور السلاطين فى استانبول ومعها أيضاً المدير المسئول عن هذا القصر (قصر يلدز)، ومن الطبيعى أن يكون هناك سبب مهم لوجودها وسط القاعة، شكرت المرشدة على هذه المعلومات، ورجوتها أن تبلغ السيدة المدير العام برغبتى فى أن أجول داخل القاعة مثل من معها بصفتى الدبلوماسية.

فقلت المرشدة: استأذنى لحظة، بعدها وجدت السيدة المدير العام تأتى مع المرشدة لتحدثنى قائلة: إنها تأسف لعدم إمكانية تحقيق رغبتى حرصاً على تنفيذ القواعد العامة التى لم تستطع أن تطبقها على الزائرين معها لأنهما حفيد السلطان عبد الحميد والسيدة حرمه.

وتصادف مع انتهاء حديث السيدة المدير العام معى أن اقترب حفيد السلطان والسيدة حرمه، فقامت بالتعريف بينى وبين حفيد السلطان الذى أبدى لى شعوره

بالسعادة أن يعود إلى وطنه تركيا بعد أعوام قضاها في أمريكا منذ خروجه وهو طفل مع بقية أفراد عائلات السلاطين العثمانيين بعد زوال الخلافة العثمانية وإعلان جمهورية تركيا عام ١٩٢٢.

قلقت له إني حرصت على زيارة هذا القصر لموقف جده السلطان عبد الحميد الرافض للوجود اليهودي في أرض فلسطين، وذكرته بنص الرسالة التي رد بها السلطان عبد الحميد على وزير خارجية بريطانيا ليؤكد فيه رفضه التام لهذا الوجود اليهودي، أبديت سعادتى بهذه المصادفة في أن تتلاقى معاً في ظروف متشابهة شكلاً وإن كانت مختلفة موضوعاً.

وأعود مرة ثانية إلى عملي الدبلوماسي كنائب لقنصل الجمهورية المتحدة في مرسين ما بين عامي (١٩٥٨ - ١٩٦١)، حيث أذكر، أنني كنت موجوداً بالقتضلية بمفردي دون زملائي الذين كانوا في إجازة، ففوجئت بحارس الأمن المصري يخبرني بأنه في صالة الانتظار خمسة أشخاص يريدون مقابلتى من عرب إسرائيل، فانتابتنى حيرة، هل أقابلهم أو لا، ثم اتخذت قرار مقابلتهم وسألتهم عن سبب الزيارة لتركيا، فأجابوا: حضرنا لزيارة سياحية لتركيا عن طريق الباخرة لأقرب ميناء تركي من إسرائيل وهو مرسين بعد إنشاء العلاقات بين إسرائيل وتركيا، وعبروا عن سعادتهم بوجود قنصلية للجمهورية العربية المتحدة في أحد أهم شوارع مرسين، وأكدوا رغبتهم في محادثة القنصل المسئول عن القنصلية، فأبديت ترحيبى بهم، وشكرتهم على مشاعرهم، وأبديت لهم بكل لباقة أنه ليس من مهام عملي أن أبادلهم الحوار بصفتهم قادمين من إسرائيل، ففهموا مقصدى واستأذنوا في المغادرة، وبعد رحيلهم تبادر إلى ذهني سؤال: هل أقوم بإبلاغ هذا الحديث لوزارة الخارجية، أو اعتبره حدثاً عابراً ليس له توابع ولا أهمية، وآثرت الصمت.

وبعد مرور الزمن اهتمت وسائل الإعلام المصرية بعرب إسرائيل أو عرب ٤٨، وهم المواطنون الفلسطينيون الذين تشبثوا بأرضهم ولم يهاجروا ولم يتركوا بلادهم

عام ١٩٤٨، وأصبحوا يحملون الجنسية الإسرائيلية ويمثلون - ومعهم الدروز - ما يقرب من ٢٠٪ من سكان إسرائيل (حوالي ٢ مليون شخص)، وإن كانوا مواطنين من الدرجة الرابعة في إسرائيل، إلا أن لهم أعضاء في الكنيست الإسرائيلي يمثلون بعض الكتل السياسية الإسرائيلية.

وتمارس إسرائيل كل أشكال التمييز العنصرى ضدّهم على الرغم من ادعاء الديمقراطية الإسرائيلية، والغريب أن غالبية العرب الإسرائيليين استمر وجودهم في المناطق العربية المحددة وفق قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧. والجالية العربية في إسرائيل حسب إحصائية عام ٢٠٠٤ تشكل ما يقرب من ١٦٪ من عدد السكان في إسرائيل، فإذا أضفنا إليهم الدروز الذين يعيشون في شمال إسرائيل، والذين انضم إليهم دروز سوريا بعد احتلال الجولان عام ١٩٦٧ فإن المجموع الكلي للعرب والدروز في إسرائيل يكون ٢٠٪ من سكان إسرائيل. وتحقيقاً لمبدأ (فرّق تُسد) تسعى إسرائيل بشكل مستمر لإفساد العلاقة بين العرب والدروز، من أجل فصل الدروز عن العرب بهدف دمجهم في المجتمع الإسرائيلي اليهودى وليس العربى، كما تسعى إسرائيل أيضاً بشكل مستمر إلى نشر حالة من الشك بين المسيحيين والمسلمين من عرب إسرائيل.

كل هذا يجب أن يدعو العرب وجامعة الدول العربية للقيام بدور أساسى من أجل دعم عرب إسرائيل أو عرب ٤٨، من أجل القضاء على الدعاوى التى تحاول أن تشير إليهم بأصابع الاتهام بالخيانة، فهؤلاء قوم تمسكوا بأرضهم ولم يتركوها برغم ما تعرض له آباؤهم وأجدادهم من قتل وتشريد من قبل عصابات الصهاينة فهم لم يتركوا أرضهم، ولو أن كل الفلسطينيين اتخذوا نفس الموقف ما كان حال فلسطين على هذا الحال؟! وتشاء المقادير أنه بعد ٤٠ سنة من زيارة وفد صغير من عرب إسرائيل ومقابلتى بهم بناء على طلبهم وأنا أقوم بأداء مهمة نائب قنصل الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)، أن أكتب سطوراً فى جريدة الأهرام أعبر فيها عن سعادتى أن يزور مصر وفد من عرب إسرائيل فى زيارة اتسمت بشبه

رسمية، وأبرزت في سطورى أننى كنت أول مصرى رسمى يقابل وفدا من عرب إسرائيل، الأمر الذى شعرت معه أن ذلك فضل من الله أن يمد عمري لأكتب علناً عن عرب إسرائيل بعد أن كنت قد آثرت الصمت منذ ٤٠ عاماً كما ذكرت.

كما أنه فى إحدى المناقشات السياسية بينى وبين أحد كبار المسئولين الأتراك حول اعتراف تركيا كأول دولة إسلامية أو عربية بإسرائيل أذكر أننى قلت له: احذروا فإنه إذا كان الأتراك يعترفون بدولة إسرائيل على أساس أن فلسطين هى دولة اليهود منذ آلاف السنين، وأن إنشاء دولة إسرائيل فى زعمهم! هو استرداد لأرضهم التى كانت ملكاً لهم منذ آلاف السنين، فإنه بنفس المنطق سيأتى يوم يطالب فيه اليونانيون بهضبة الأناضول (حيث دولة تركيا حالياً)، على أساس أنها أرضهم واحتلها الأتراك القادمون من وسط آسيا، وعندما سمع منى الدبلوماسى التركى هذا المنطق علق على حديثى قائلاً بعصبية: إن هذا لن يحدث ولن يستسلم الأتراك لهذا المنطلق. وكذلك لن يتراجع الأتراك عن الاعتراف بدولة إسرائيل!!

لكن سرعان ما حدث الانفصال بين مصر وسوريا فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١، وكانت تركيا أول دولة تعترف بدولة سوريا المنفصلة. وهنا هاج عبد الناصر (وشاتم) الحكومة التركية الفاشية فى أنقرة وعاد كل التمثيل الدبلوماسى المصرى فى تركيا سواء فى مرسين أم أنقرة أم فى استانبول.

إن خلاصة عملى الدبلوماسى فى تركيا (١٩٥٨ - ١٩٦١) قادتنى إلى الاقتناع بأن من يتابع الفكر السياسى الأوروبى فى السيطرة على بقية قارات العالم، ومن يعود فى قراءة التاريخ الأوروبى إلى الماضى.. إلى الحروب الأوروبية التى أشهرها الحرب العالمية الأولى ١٤ - ١٩١٨، وبعدها الحرب العالمية الثانية التى كانت نهايتها عام ١٩٤٥، وأن من يدرس الآن تاريخ وجود الدولة العظمى الوحيدة فى العالم وهى الولايات المتحدة الأمريكية ذات الجذور الأوروبية.

إن من يتتبع ذلك، ويحاول تفسير ما يعنيه ليتعرف على خيوط نسيج السياسة الأوروبية، ومن بعدها السياسة الأمريكية سيجد أن من بينها خيوطين أساسيين

فى النسيج السياسى الأوروبى الأمريكى هما فى رأى من أبرز الخيوط ذات التأثير الخطير على ما يجرى على ساحة السياسة العالمية الحالية، وهذان الخيطان هما: المسألة اليهودية، والمسألة الإسلامية.

ونبدأ بالمسألة اليهودية فهى بالنسبة لأوروبا أقدم وأوغل فى التاريخ وسأترك القارئ ليعود إلى أمهات الكتب التاريخية ليتعرف بنفسه، ويجد أن اليهودية كدين واليهود كبشر كانوا من ألد أعداء الأوروبيين، وكم عانى اليهود - كبشر - جميع أنواع الاضطهاد والاحتقار فى دول ومقاطعات أوروبا كافة على مر العصور منذ الإمبراطورية الرومانية قبل وبعد اعتناق المسيحية، ويمكن القول: إنه لم تزد أى بقعة فى أوروبا منذ الإمبراطورية الرومانية فى كراهيتها واضطهادها وطردها لليهود، والأمثلة كثيرة وعديدة، نخلص منها إلى أن اليهودية كانت بالنسبة لأوروبا بمثابة عدو لا بد من إيجاد وسيلة للتخلص منه، وأصبحت بذلك المسألة اليهودية الشغل الشاغل لنظم الحكم، وشعوب أوروبا المختلفة سواء لاتينية أو جرمانية أو أنجلو سكسونية.

ونأتى للمسألة الإسلامية التى يمكن للقارئ أن يدرس فى أمهات كتب التاريخ تصميم أوروبا وقواتها المتحالفة على تخليص ما يسمونه أرض المسيح «القدس وبيت لحم» من المسلمين البرابرة عن طريق حروب مقدسة قامت خلالها الجيوش الأوروبية بغزو فلسطين واحتلالها فيما عرف بالحروب الصليبية فى بداية الألف الثانية من التاريخ الميلادى، التى استمرت قرنين من الزمان.

كما يمكن للقارئ أن يعرف كيف عملت أوروبا على التخلص من الخلافة العثمانية الإسلامية التى أوصلت المد الإسلامى إلى شرق أوروبا حتى أبواب فيينا عاصمة النمسا (الحالية)، وهكذا كانت توصف بالإمبراطورية الإسلامية التى أطلقوا عليها وعلى الإمبراطور العثمانى رجل أوروبا المريض الذى يجب القضاء عليه، وتم لهم فى أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى ١٤ - ١٩١٨، حيث تم احتلال الأوروبيين لكل أراضي الخلافة العثمانية، وتم إعلان دولة تركيا العلمانية،

وعلى رأسها مصطفى كمال أتاتورك اليهودى الذى تزعم تنفيذ المخطط الأوروبى فى تحويل الشعب التركى إلى شعب أوروبى فى معتقداته وفى مظاهر حياته !! وهكذا كانت المسألة الإسلامية (ليس فقط فى الخلافة العثمانية ولكن التواجد الإسلامى الذى استمر ٨٠٠ سنة فى الأندلس ووصل إلى أبواب باريس فى شكل عدو لأوروبا تعمل جاهدة على التخلص منه والقضاء عليه، وبذلك نجد أن أوروبا كانت فى حرب مع عدو يهودى، وفى الوقت نفسه فى حرب مع عدو إسلامى.. إذن كيف تتخلص أوروبا من هذين العدوين؟ وكيف تقضى على خطر كل منهما؟ الرد على هذا التساؤل كان فى شكل بسيط وهو «فليحارب العدو اليهودى العدو المسلم» فإذا انشغل العدو اليهودى مع العدو الإسلامى استراحت أوروبا وأمريكا واستقر لهما الأمن والسلام!!.

وفى رأى أن ساسة و مفكرى أوروبا القدامى عملوا وشجعوا على خلق «الصهيونية العالمية» التى تتبنى وتجمع يهود العالم حول فكرة إنشاء وطن قومى فى فلسطين قلب العالم العربى الذى هو قلب العالم الإسلامى، وأنه إن كانت الحروب الصليبية لم توفق ولم تنجح فى خلق مركز أوروبى غربى باسم الصليب، فلتقم «الصهيونية العالمية» ومن ورائها أوروبا بخلق كيان غربى فى فلسطين باسم الوعد الإلهى للشعب المختار، وهكذا تتحقق لأوروبا أهداف أحلامها وهى: انشغال يهود أوروبا وأمريكا وروسيا بالوطن القومى فى فلسطين وفى هذا خلاص لأوروبا وأمريكا من المسألة اليهودية.

خلق حروب ومنازعات بين الصهيونية العالمية وبين الأمة العربية ومن ورائها الأمة الإسلامية، وتضمن أمريكا وأوروبا عن طريق هذه الحروب أن تضعف العرب والمسلمين وتشغلهم عن أية فرصة للتقدم أو الرقى أو النهضة، وبذلك تكسر أوروبا شوكة الإسلام، وتنهى المسألة الإسلامية التى شغلتها من قبل، وتسيطر على مشكلة قلق الوجود اليهودى فى أوروبا فى الوقت نفسه.

وهنا يثار سؤال: هل فعلاً تخلصت أوروبا وأمريكا من المشكلتين اليهودية والإسلامية، وأمنت مستقبل الأمن والطمأنينة فى بلادهم، أو أن الرياح تاتى

بما لا تشتهيه السفن، فالمشكلة اليهودية ستظل شوكة في ظهر أوروبا وأمريكا، بمعنى أنه عندما تقوى الصهيونية العالمية إلى المدى الذى تستطيع فيه أن تقف موقف الانتقام من هذه الحضارة الأوروبية التى سامت اليهود العذاب والاضطهاد، وسيطبق مبدأ (علمته الرماية فلما أشتد ساعده رمانى)، ويتحقق حلم الصهيونية بإنشاء حكومة صهيونية عالمية.

وعلى جانب آخر ما يحدث للمسلمين والعرب نتيجة عدوان إسرائيل والدعم من أوروبا وأمريكا لإعادة السيطرة على مقادير العالم الإسلامى والعربى ومحاولة تفكيكه، سيؤدى إلى قيام صحوة إسلامية تقوم على فكرة العودة للمجد الإسلامى والسيطرة الإسلامية والوقوف ضد العالم الغربى، حتى يمكن القول إن هناك وحدة محتملة ربما تحدث مستقبلاً بين اليهود والمسلمين للانتقام معاً من أوروبا وأمريكا.

ونتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وتركيا على إثر الانفصال السورى رجعت إلى ديوان عام وزارة الخارجية فى أكتوبر ١٩٦١، ولما كانت وزارة الخارجية قد أنشئ بها مؤخراً إدارة لشئون إسرائيل بجانب إدارة شئون فلسطين، حاولت أن ألتحق بالعمل فى هذه الإدارة لكننى لم أنجح، وتم تعيينى فى إدارة العلاقات الثقافية التى ليس لها أية علاقة مباشرة بالصراع العربى الإسرائيلى، إلا أن إدارة الصحافة بوزارة الخارجية أمدتنى بفرصة الإطلاع على الجرائد الأجنبية والعالمية والتى كان ممنوعاً تداولها فى مصر، خاصة وأن عملى كعضو جديد فى إدارة العلاقات الثقافية كان شديد الأهمية بالنسبة لى، إذ لم يسبق لى العمل فى الوزارة داخل مصر إلا ثلاثة أشهر فى لجنة شئون الأعداء كما سبق ذكره، لذا حرصت على الالتقاء بزملائى العاملين فى إدارتى شئون إسرائيل وشئون فلسطين للإطلاع على تقارير سفارتنا فى عواصم العالم عن القضية، ونظراً لغيابى عن مصر ما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٦١، حاولت أن أعرف مدى اهتمام الرأى العام المصرى بالصراع العربى الإسرائيلى وآثار حرب العدوان الثلاثى؟؟ لكننى وجدت الناس فى مصر مشغولة بالنظم والقرارات الاشتراكية التى كانت تسعى حكومة الثورة بكل

ما أوتيت من قوة لدفع البلاد نحوها، فضلاً عن إنشاء السد العالى وصناعة مصرية بخبرات سوفيتية! فالهدف من الشيوعية فى بلادها كان أمرين: الأول سياسى وهو القضاء على القيصرية الروسية كنظام سياسى، والثانى: دينى وهو القضاء على نفوذ الكنيسة الأرثوذكسية التى تقود المسيحية فى البلاد الشرقية وامتدت أيضاً لمحاربة الدين الإسلامى فيما بعد تطبيقاً للمبدأ الشيوعى (الدين أفيون الشعوب)، كما أمد الاتحاد السوفيتى إسرائيل لتقويتها عند إنشائها بالدعم البشرى والسلاح، كما كانت من أوائل الدول التى اعترفت بإسرائيل واتحدت مع السياسة الأمريكية فى مجال مساعدة إسرائيل بالرغم من الاختلاف السياسى والعقائدى بين المعسكر الرأسمالى الغربى والمعسكر الشيوعى الاشتراكى، لكن الساسة المصريين - مع الأسف الشديد - لم يدركوا فى ذلك الوقت أن التدخل السوفيتى فى السياسة والاقتصاد المصرى لم ولن يكون من أجل تقوية مصر والعالم الإسلامى والعربى فى صراعهم مع إسرائيل، وأن الشيوعية تحت قناع الاشتراكية معول هدم فى الكيان المصرى والعربى والإسلامى، وهو ما تأكد فيما بعد فى نكسة ١٩٦٧ بعد ست سنوات من التغلغل الشيوعى السوفيتى فى مصر، ولست هنا مؤرخاً لعلاقة مصر مع السوفيت، ذلك التاريخ الذى أدعو الله أن يوفق الجيل الجديد المشتغل بالدبلوماسية والذين يتحملون وسيتحملون المسئولية لإعادة صياغة العلاقة بين مصر وبين الدول التى ستتمخض عنها الأحداث التى مرت بما كان يسمى رسمياً باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، والذى يشار لها بلفظ (السوفيت).

ولست فى هذه الذكريات أذيع أسرار العمل الدبلوماسى ولكنى أحرص على أن أقول الحقيقة عن نوايا الاتحاد السوفيتى نحو مصر فى تلك الحقبة والتى كان يعبر عنها الدبلوماسيون السوفيت فى علاقتهم مع زملائهم الدبلوماسيين المصريين، ولعل لدى باقى المسئولين المصريين الذين شاء الله أن يكونوا على اتصال بالمسئولين السوفيت خلال الفترة التى ذكرتها أقول: لعل لدى هؤلاء المسئولين ما يؤكد، ويزيد عما لمسته شخصياً من الدبلوماسيين السوفيت.

كانوا لا يتركون فرصة ولا مناسبة إلا ويذكرون أن مصر بنهاية القرن العشرين، أى مع نهاية الألف الثانية من التاريخ الميلادى ستكون دولة شيوعية تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى، وسيكون المصريون كلهم شيوعيين وسيختفى (أفيون الشعب) أى الدين الإسلامى والمسيحى، ولا بد أن تحتل اللغة الروسية المرتبة الأولى فى التعليم الذى لابد وأن يتضمن دراسة نظريات زعمائهم اليهود كارل ماركس اليهودى وأعمال لينين، وسيشرب الدبلوماسيون المصريون الخمر فى الحفلات، وسيأكلون الخنزير فى المآدب، وستتحول المساجد إلى متاحف، وسيعمل الشعب المصرى بدون انقطاع فى مناسبات الصلاة والصوم والأعياد الدينية.

عزيزى القارئ.. أرجو ألا تتعجب من جرأة الدبلوماسيين السوفيت وهم يرددون كل ما سبق أن ذكرته، فلقد كان حجم العلاقات السياسية بين القاهرة وموسكو عميقاً، خاصة من خلال تيتو رئيس تشيكوسلوفاكيا العميل الهادئ للنظام الشيوعى آنذاك يسمح لهؤلاء الدبلوماسيين السوفيت أن يقفوا ويتناولوا بهذا الموقف الجرى، من زملائهم الدبلوماسيين المصريين.

عزيزى القارئ لعلك تتساءل عن موقفى الشخصى أمام هذه التفاهات، لقد كان ردى الوحيد عليها كلمة واحدة، وهذه الكلمة كنت أقولها أولاً باللغة العربية (حتى لو كان من أمامى لا يفهمها) وأترجمها باللغتين الإنجليزية والفرنسية (هما اللغتان الدبلوماسيتان) هذه الكلمة الوحيدة هى (مستحيل) ثم أضيف كلمة أخرى (never) و (Jamais) تعليقاً على هذه التفاهات.

وأخيراً أحمد الله أن أطال عمرى حتى أرى وأسمع ما حدث عام ١٩٩١ من انهيارات للشيوعية، ولما يسمى باتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وإننى وإن كنت لا أمارس العمل الدبلوماسى لبلوغى سن المعاش، إلا أننى كنت أتمنى أن يطول عمرى الدبلوماسى لأقول لزملائى الدبلوماسيين السوفيت: أرايتم كيف أن مصر على دينها كما أراد الله لها أن تكون عليه دائماً؟ أرايتم أن نهاية القرن العشرين قد جاء بنهاية الشيوعية ونهاية نظامكم؟؟!! وخاب ظنكم، وتلاشى

ألمكم، وحفظ الله مصر وأهلها على دين الإسلام، وظهر على ساحة العالم ست جمهوريات إسلامية - كانت تحت احتلالكم أكثر من سبعين عاماً هي: أوزبكستان - قازاغستان - تركمانستان - قيرغزستان - طاجكستان - وأذربيجان - وانضمت كلها إلى منظمة المؤتمر الإسلامي وإن شاء الله ستتمكن الشعوب المسلمة فيما يعرف الآن بروسيا الاتحادية (التي حلت محل الاتحاد السوفيتي) - ستتمكن هذه الشعوب الإسلامية من إعلان استقلالها وتحررها من سيطرة الروس - وليس ذلك على الله ببعيد، ولقد عايشنا كفاح شعب الشيشان كمثل تبدأ به حركات تحرير الشعوب الإسلامية من روسيا الاتحادية.

وجدير بالذكر هنا أن أذكر ما نشرته جريدة الأهرام يوم الجمعة ٨ أغسطس ٢٠٠١ بصفحة الفكر الديني تحت عنوان «الرئيس بوتن يعلن رغبة روسيا في الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب» وذلك خلال زيارته لماليزيا معبراً عن رغبة روسيا في الانضمام للمؤتمر الإسلامي باعتبارها دولة متعددة الأعراق والأقوام، كما أن بها ٢٠ مليوناً من المواطنين المسلمين، ويعتبر الدين الإسلامي الديانة الثانية بعد المسيحية الأرثوذكسية.

وهذا التصريح يستحق الترحيب الكامل من الدول الإسلامية أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي البالغ عددهم ٥٧ عضواً، وفاتحة خير لمسلمي الشيشان وغيرها من المناطق الإسلامية في روسيا الاتحادية مثل تاترستان وداغستان وباش قردستان، كما أن قبول روسيا بصفتها عضواً مراقباً في منظمة المؤتمر الإسلامي يتفق مع ما جرى عليه العمل بالنسبة لعضوية دول أخرى ليست ذات أغلبية إسلامية وترجع خطورة تصريح رئيس روسيا الاتحادية بالنسبة للإسلام أنه أنهى تماماً ما كانت تذيبه أجهزة الاتحاد السوفيتي السابق من أن الدين أفيون الشعوب.

ويعيد ذلك للأذهان فأقول أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الوجه الإسلامي للجمهوريات الست بآسيا الوسطى:

تركمانستان وانضمت إلى المنظمة عام ١٩٩٢ - قرغستان وانضمت عام ١٩٩٢
طاجكستان وانضمت عام ١٩٩٤ - أوزبكستان وانضمت عام ١٩٩٦.

قازخستان وانضمت عام ١٩٩٦ ، فضلاً عن ازبيجان وهي الدولة التي انضمت إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٩٢ .

إن تصريحات بوتن تلزمه باتخاذ موقف حاسم من إسرائيل التي تنتهك حرمة المسجد الأقصى - أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي (ﷺ) علماً بأن منظمة المؤتمر الإسلامي ظهرت إلى الوجود بعد حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ على يد الصهاينة المتعصبين .

والأمل معقود بعضوية روسيا الاتحادية لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن تنتهي النعمة الغربية المغرصة التي تربط بين الإسلام والإرهاب .
كل هذه الأمور وغيرها من الأهمية بمكان أن تعرض في اجتماعات منظمة المؤتمر الإسلامي .

إن روسيا والفكر الشيوعي كانا دائماً موضوع تفكيرى واهتمامى ، فالفكر الشيوعى أخرج يهود روسيا الذين كانوا ضد القيصرية الروسية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، كما أن كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) خرج من روسيا عام ١٩٠٢ بهدف سيطرة اليهود على القيصرية الروسية ونجاح الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ثم على العالم ، كما أن الاتحاد السوفييتى كان يضم دول شرق أوروبا وإحدى دولها بولندا معقل يهود شرق أوروبا ، فعندما يذكر الشيوعية لابد وان نذكر زعماءها اليهود من أمثال (لينين - ماركس - ستالين) وغيرهم الذين أسسوا مبدأ (الدين أفيون الشعوب) فى الوقت الذي كان بعض زعماء مصر السياسيين يدفعون البلاد دفعاً إلى القرارات الاشتراكية ، فضلاً عن تغلغل النفوذ السوفييتى فى الجيش المصرى نتيجة إيفاد ضباط الجيش إلى الاتحاد السوفييتى للتدريب العسكرى والاطلاع على الأسلحة السوفيتية وكان أى ضابط لابد أن يجتاز فى مدة ستة أشهر فى دراسة المذهب الشيوعى ، مما حاول صبغ الجيش المصرى باللون الأحمر الشيوعى فى ذلك الوقت كل هذه الأمور عايشتها أثناء عملى بالإدارة الثقافية لمدة عامين التى بدأت (٦١ - ١٩٦٣) وهو ما ظهر بعد ذلك بصورة واضحة فى نكسة ١٩٦٧ .

مارسوا الدبلوماسية ولو فى الصين

فى منتصف عام ١٩٦٣ فوجئت بأننى نقلت للعمل فى سفارتنا لدى جمهورية الصين الشعبية برئاسة الزعيم الشيوعى ماوتسى تونج بعد معايشة الفكر الشيوعى طيلة عامين فى بلدى ، ولم تكن قضية إسرائيل تشغل سفارتنا فى الصين لسببين الأول: هو موقف حكومة الصين ، الراض لإسرائيل لأنها تدور فى فلك الإمبريالية العالمية بزعامة أمريكا ، والثانى: أن الصين كانت فى ذلك الوقت تؤيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، كما اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية واستقبلت الشقيرى أول زعيم للمنظمة الفلسطينية بعد إنشائها عام (١٩٦٤) ، وكان هدف الصين من وراء ذلك أن تتخذ من هذا الموقف مدخلاً للعالم العربى والإفريقى تقضى به على العزلة التى فرضت عليها منذ أن استولى الحزب الشيوعى على الحكم فى الصين عام ١٩٤٩ ، كما حرصت على الاشتراك فى مؤتمر باندونج لدول العالم الثالث عام ١٩٥٥ .

لقد كانت الصين تريد أن توجد علاقات مع العرب وإفريقيا ، إذ لم يكن للعالم الغربى أى تواجد فى الصين فيما عدا دولة ألبانيا الأوروبية المسلمة ، كما أن أمريكا لم تعترف بها إلا عام ١٩٧٢ ، فاهتمام الصين بالعالم العربى فى ذلك الوقت لم يكن حياً فى الدول العربية بقدر كونه رغبة فى الخروج من العزلة التامة ، حيث بدأت العلاقات الدبلوماسية المصرية الصينية بعد مؤتمر باندونج وتابع مصر بعد ذلك فى تلك العلاقات عدد من الدول العربية مثل العراق وسوريا والجزائر ، ذات الميل الاشتراكى ، أما بقية الدول العربية آنذاك فلم تكن حريصة على إقامة علاقات دبلوماسية مع دولة تحكمها نظم ثورية شيوعية فيما عدا المملكة المغربية التى حرصت على تواجدها الدبلوماسى فى بكين لأسباب غير مفهومة .

ومن أهم الأحداث التى كانت تشغل السفارة المصرية آنذاك الترتيب لزيارة (شوين لاي) رئيس وزراء الصين لمصر ضمن جولة له شملت بعض الدول الأفريقية

والعربية وألبانيا الدولة الأوربية الوحيدة التى لها علاقة بالصين والطريف أن الصين حتى ذلك الوقت لم تكن عضواً فى الأمم المتحدة، وذلك بسبب معارضة أمريكا للنظام الشيوعى الصينى وتأييدها لما كان يسمى بالصين الوطنية (جزيرة تايوان) وما بين عامى (٤٩ - ١٩٧٢) لم يحدث اعتراف دولى كامل من الغرب بزعامة أمريكا بجمهورية الصين الشعبية الشيوعية ولذا كانت محاولة الصين الشعبية الشيوعية للوصول للاعتراف والكيان الدولى الكاملين، ومحو صورة الصين الوطنية (ما قبل ١٩٤٩) من ذاكرة التاريخ السياسى، من ثم كانت جولة (شوين لاي) للبلاد العربية والأفريقية ضمن مخططات الصين للخروج من عزلتها عام ١٩٤٩، ولم تستطع الصين أن تصبح دولة دائمة العضوية ضمن الدول الخمس الكبرى آنذاك (أمريكا - روسيا - بريطانيا - فرنسا - جزيرة تايوان ممثلة للصين) إلا بعد الاعتراف الأمريكى بجمهورية الصين الشعبية عام ١٩٧٢ وظهر أن أمريكا اشترطت اعتراف الصين الشعبية بإسرائيل قبل اعتراف أمريكا بجمهورية الصين الشعبية، وكان أخطر ما فى الفترة لعملى (٦٣ - ١٩٦٥) الدبلوماسى بسفارتنا بالصين أن قامت الصين بتفجير أول قنبلة ذرية صينية عام ١٩٦٤، وبذلك فرضت نفسها على النادى الذرى الدولى، والذى كان مقتصراً على أربع دول هى: (أمريكا - الاتحاد السوفيتى - بريطانيا - فرنسا).

تماماً كما فرضت الصين نفسها على أعضاء مجلس الأمن الدائمين الخمس وأصحاب حق الفيتو بعد طرد جزيرة تايوان من عضوية المجلس فيما بعد. وتعليقى على قيام الصين الشعبية بتفجير قنبلة ذرية كان فى شكل معادلة ذكرتها عام ١٩٦٧ وأنا فى بلدى مصر مقارناً بين الثورة الشيوعية فى الصين واستيلائها على الحكم فى عام ١٩٤٩، وبين ثورة الجيش فى مصر واستيلائه على الحكم فى ١٩٥٢ والمعادلة تقول:-

١٩٤٩ (الثورة الصينية) + ١٥ سنة أى ١٩٦٤ (تفجير القنبلة الذرية).
١٩٥٢ (الثورة المصرية) + ١٥ سنة أى ١٩٦٧ (النكسة العسكرية)

انتهت فترة خدمتى بالصين فى منتصف عام ١٩٦٥، وأرى ألا أختم ذكرياتى عن هاتين السنيتين فى هذه التجربة التى شعرت مدى استفادتى بها بالرغم من أن زملائى أشفقوا على عند صدور قرار نقلى إلى الصين فى ظل الظروف الصعبة التى تعيشها والتى كانت معزولة عن الاتصال بالعالم الخارجى، والتى كانت الطائرة تصل إليها من القاهرة فى ٢٠ ساعة طيران، برغم كل ذلك إلا أن التجربة كانت مثيرة وثرية واعتبرت نفسى محظوظاً أن أمر بها، وأتذكر أن الدبلوماسيين الأجانب وأنا منهم فى الصين كنا نردد ونقول إذا أمضينا شهراً فى الصين نقول يمكننا أن نكتب كتاباً عن الصين، وإذا أمضينا سنةً نقول يمكننا أن نكتب مقالاً عن الصين، أما إذا عشنا أكثر من ذلك نقول نحتاج إلى سنين لنكتب مجلدات عن الصين العظمى (the great china) جغرافياً وإنسانياً وحضارياً وتاريخياً، وهنا أتذكر قول القائل «اطلبوا العلم ولو فى الصين» ولعل من أغرب المواقف التى مرت على خدمتى بسفارتنا فى الصين أن طلبت وزارة الخارجية من السفارة إمكانية استيراد أحذية لرجال الجيش المصرى فى اليمن التى تمكنهم من تسلق جبال اليمن الوعرة وهم يحاربون اليمنيين فى عقر دارهم أثناء ما يعرف فى تاريخ مصر بحرب اليمن فى عهد عبد الناصر بعد انفصال الوحدة السورية المصرية عام ١٩٦١.

وإذا كانت إسرائيل هى محور ذكرياتى عن نشاطى الدبلوماسى فى عواصم العالم فإن قلة المعلومات عن اليهودية والشيعوية الصينية وما بين الصين الشعبية ودولة إسرائيل التى بدت واضحة فى مدة خدمتى سنتي (٦٣ - ١٩٦٥) فى الصين توجب وأنا أكتب كتابى هذا أن الأمور اختلفت تماماً فيما بعد اعتراف أمريكا بالصين الشعبية ودخولها إلى الأمم المتحدة وعضويتها بمجلس الأمن لعضوية دائمة ضمن الدول الخمس الكبرى التى لها حق الفيتو، ووجودها كدولة ذرية قد دفع الصين إلى علاقات مع إسرائيل فى كافة المجالات وتبادل الزيارات والخبرات الأمر الذى قلل إن لم يكن أزال موقف الصين المؤيد للحقوق الفلسطينية الذى تحدثنا عنه فى هذه الذكريات ما بين عامي (٦٣ - ١٩٦٥)، مما جعلنى أتعجب من العلاقات الدولية

بين الأمم، وأن هذه العلاقات تتوقف كثيراً على القوة وتتميز بأن الضعفاء ليس لهم مجال ولا دور على الساحة الدولية، ولعل هذا يفسر و يشرح غموض ما وصل إليه موقف الدول العربية عن الصراع العربي الإسرائيلي.

على غير ما هو منتظر حيث إن هناك مبدأ أن من يخدم في بلد صعبة المعيشة - والصين في ذلك الوقت كانت من ضمن هذا التقييم فيكون المنصب التالي في عاصمة بلد يتسم بالمعيشة فيه تكون مريحة وهذا العرف الدبلوماسي معمول به في كل وزارات خارجية الدول، وتعبير صعب المعيشة أو مريح المعيشة يتعلق أساساً بتواجد وسهولة مطالب الحياة الأساسية سواء كانت اجتماعية أم صحية أم توفر وسائل التعليم وسهولة المواصلات واعتدال المناخ وما إلى ذلك من أمور تمس حياة الدبلوماسي وعائلته ولا ينظر في هذا الشأن إطلاقاً إلى أمور الرفاهية.

من يدخل كابول يبكى ومن يخرج منها يبكى

أقول: إنه على غير المنتظر تم نقلى مباشرة من الصين - صعبة المعيشة - إلى سفارة مصر في كابول عاصمه أفغانستان عام ١٩٦٥ - وهى مدرجة أيضاً فى البلاد صعبة المعيشة ولم أنظر إلى هذا النقل بهذه الطريقة أنه نوع من العقاب الدبلوماسى غير المبرر من قبل القيادات بوزارة الخارجية بالرغم من أن كابول عاصمة لدولة منغلقة تقع على سلسلة من الجبال، وهو ما جعل البعض يطلق المثل الأفغانى الذى يقول نصفه الأول - (من يدخل كابول يبكى).

أما السبب الثانى فكان النظرة العامة لأفغانستان فى الوسط الدبلوماسى أنها منفى وليس لها دور مهم فى السياسة الدولية آنذاك لكنى سعدت بالعمل فى أفغانستان بصفتها دولة إسلامية عريقة، وكنت آمل دائماً أن رحلة عملى الدبلوماسى ستتيح لى أن أعمل فى بلاد إسلامية مختلفة سواء فى آسيا أم إفريقيا، وكانت أفغانستان هى أول محطة إسلامية غير عربية أعمل بها بالإضافة إلى تركيا التى وإن كانت من الدول الإسلامية تاريخياً إلا أنها فقدت تلك الأهمية الإسلامية أثناء حكم أتاتورك كما سبق ذكره، وهذا الفكر الشخصى جعلنى استكشف نظرة مملكة أفغانستان المسلمة لإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، لكن مع الأسف لم أجد أى صدق سواء على الصعيد الرسمى أم الشعبى، بالرغم من مرور ١٧ عاماً على إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

وكان التمثيل الدبلوماسى الأجنبى لدى دولة أفغانستان محصوراً فى أضيق الحدود، حيث كان ينحصر على المستوى العربى فى (مصر والسعودية) وعلى المستوى الإسلامى فى (باكستان)، وعلى المستوى الأجنبى غير العربى والإسلامى فى الدول الكبرى وبالتحديد بريطانيا بصفتها حاولت احتلال أفغانستان أثناء سيطرتها على شبه القارة الهندية، وأمريكا الطامعة فى وضع أقدامها فى وسط آسيا، والاتحاد السوفىيتى الذى يسعى لد سيطرته الشيوعية على بقية دول وسط

آسيا المسلمة والتي كانت تحت الاحتلال السوفييتي ومن ضمنهم بخارى والذى سعى لإنشاء ممر يخرق جبال الهند «كوش» بهدف أن تمر عليه الدبابات السوفيتية لاحتلال أرض أفغانستان وضمها إلى أراضي بخارى فيما بعد نهر (آمو) الذى يفصل بين أفغانستان والدول الإسلامية فى وسط آسيا تحت الاحتلال السوفييتى فيما عرف بممر (سالانج)، وكانت فترة عملى فى أفغانستان (٦٥ - ١٩٦٧) فترة انبهار بهذا البلد، سواء على مستوى الثروات الطبيعية التى حباها الله لما لها من ثروة حيوانية ممثلة فى الأغنام والماعز، أم ثروة نباتية ممثلة فى الفواكه والصنوبر والمكسرات، حيث كانت أفغانستان مشهورة أيضا بقرى (الاستراكان) من صغار الأغنام والذى كانت تصنع منه أفخر أنواع المعاطف النسائية التى تصنعها أوروبا فضلاً عن خصال الشعب الأفغانى الطيبة ومعاملتهم السمحة وتمسكهم القطرى بالدين الإسلامى والقيم الكريمة، وإعجابى الشخصى بدورهم التاريخى فى نشر الإسلام فى شبه القارة الهندية من قديم الزمان كما يتميز جو أفغانستان بالقصول الأربعة (الخریف، الشتاء، الربيع، الصيف)، كل هذه الأشياء جعلتنى لا أعتبر أفغانستان منفى دبلوماسياً كما كان يعتبره الآخرون، وإنما اعتبرتھا فرصة للتعرف إلى هذا العالم الجميل، وكانت أفغانستان أجمل محطات عملى الدبلوماسى من الناحية الإنسانية.

وفجأة وبحلول شهر مايو ١٩٦٧، جاءت فى هذا الشهر أحداث غلق خليج العقبة أمام إسرائيل وطلبت مصر سحب قوات الأمم المتحدة التى كانت متمركزة فى هذه المنطقة منذ عام ١٩٥٦، وأدى ذلك إلى محاولة إبراز القوى العسكرية المصرية، الأمر الذى قوبل من إسرائيل «ومن معها» باعتبار ذلك إعلاناً من مصر للحرب على إسرائيل، وبالتالي بدأت وسائل الإعلام الإسرائيلية «وغيرها» تنشر دقات طبول الحرب على مصر، وفى ظل أحداث مايو هذه تدفقت فجأة على السفارة المصرية فى كابول جموع هائلة من الشباب الأفغانى تيدى رغبتها فى الوقوف مع مصر وتأييد القوات المسلحة المصرية والرغبة فى التطوع للدفاع عن حق مصر فى أية خطوة تتخذها حفاظاً على سيادة مصر ولتحرير فلسطين من العنصرية

الصهيونية، وهنا ظهر لى الانتماء، الدينى للأفغان تجاد قضية فلسطين والذي لم ألاحظه فى بداية وجودى بأفغانستان ولم يظهر على الحياة للشعب الأفغانى أنه يحتفظ بهذا الانتماء واستمر هذا الحماس الأفغانى طوال أيام شهر مايو، وبدأ شهر يونيو، وقد تم إعداد كشوف الشباب الأفغانى المتطوع، وتمت الاتصالات مع القاهرة بهذا الخصوص وفجأة وقع العدوان فى ٥ يونيو وكان له صدى أيضا لدى الأفغان، ولدى الشباب الأفغانى الذى زاد تحمسه مطالبا بسرعة تسفيرهم إلى مصر لمشاركة إخوانهم المصريين فى ربح العدوان الإسرائيلى وتحقيق النصر الذى هو ليس فقط لمصر بل لمسلمى العالم ومنهم الأفغان، وفجأة مرة أخرى وافقت مصر بعد أيام معدودة على وقف إطلاق النار ٩ يونيو بعد أن وضح مدى الهزيمة التى لحقت بالقوات العسكرية المصرية، وهنا تدفقت على مبنى السفارة وعلى مسكن السفير المصرى وسكن أعضاء السفارة الآلاف المؤلفة من الشباب الأفغانى ينادى بعدم وقف إطلاق النار وضرورة استمرار الكفاح المسلح ضد إسرائيل حتى النصر أو الشهادة، وعبور الهزيمة العسكرية بمواصلة الحرب، وأن تقبل مصر قورا المتطوعين المسلمين من الأفغان ومن غيرهم حتى يتحقق النصر أو الشهادة، وكانت هتافات الجماهير من الشباب الأفغانى التى تطالب باستمرار الحرب تختلط بهتافات أخرى تندد بروح الهزيمة والاستسلام الذى ظهرت ظلالها عندما أعلنت الحكومة المصرية قبولها لقرار وقف إطلاق النار، ولما انتهى ما نادى به الشباب الأفغانى بنكسة فى مشاعره، بدأ يرجع السفارة بالهتافات «وغيرها» للإعراب عن غضبه وسخطه وعدم رضائه عن الروح الاستسلامية التى اتسعت بها البيانات والقرارات الرسمية الصادرة من الحكومة المصرية، فضلا عن موقف السفارة السلبى نتيجة لعدم تسلم أى رد فعل من القاهرة مما أثار الشباب على أعضاء السفارة وأنا واحد منهم.

وأعبر عن أسفى لإخوانى الأفغان أننى فى ذلك الوقت منذ أكثر من ٣٠ عاما كنت أشعر بأن هتافتهم وحماسهم لاستمرار القتال المسلح حتى النصر، أو الشهادة هو من قبيل الكلام الحماسى، والهتافات الحماسية التى اعتدنا عليها نحن فى مصر منذ ٤٨ إلى ١٩٦٧، ولكن أثبت الشعب الأفغانى لى ولغيرى أنهم فى سبيل الدفاع عن أنفسهم ووطنهم والإسلام يقاتلون فعلا حتى النصر أو الشهادة، كما حدث

فعلاً خلال الـ ١٤ عاماً التي قضاها الشعب الأفغانى وهو يكافح الغزو السوفييتى الشيوعى الذى بدأ ببناء السوفيت لمر سالانج الذى قلت عنه : إنه سيكون المر الذى تدخل فيه الدبابات السوفيتية لاحتلال أرض أفغانستان ، هذا الكفاح الأفغانى الإسلامى جعل كلمة (المجاهد) مصطلح أمريكى يدل على الشجاعة ، بالرغم من أن أمريكا نفسها هى التى جعلت هذا المصطلح فيما بعد يدل على الإرهاب .

وربما هذه القوة التى أظهرها الشعب الأفغانى فى كفاحه ضد السوفيت هو الذى دفع أمريكا إلى محاولة القضاء علي القوة الأفغانية عن طريق احتلال أفغانستان بعد خديعة أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ اليهودية بمبانى المركز التجارى العالمى فى نيويورك و أسطورة أسامة بن لادن الملققة التى صنعها الأمريكان ومن ورائهم الصهيونية بهدف تصوير الجهاد الإسلامى على أنه إرهاب وهذا العدوان الأمريكى يحتاج إلى كتاب آخر.

عقب هذه الأحداث جاء شهر يوليو الذى كان الشهر الأخير لى فى أفغانستان ولا بد أن أعود إلى الوطن، إلا أن مطار القاهرة الذى كان مغلقاً بسبب النكسة ، الأمر الذى اضطررنى أن انزل إلى بيروت حتى يفتح مطار القاهرة، فوجدت آثار النكسة متجسدة فى المصايف الخاوية على عروشها فى لبنان نتيجة توقف السياحة . وكانت الأيام العشرة التى قضيتها فى لبنان فرصة كى أجلس مع نفسى أتأمل الوجود الإسرائيلى بعد ١٩ سنة من إعلان قيام دولة إسرائيل من (٤٨ : ١٩٦٧).

لقد أصبحت إسرائيل قوة مستقلة لا تنتظر بريطانيا وفرنسا كما حدث فى ٥٦ كى تحتل مصر وتهجم عليها ، ولكنها الآن تستطيع بمفردها فى ٦٧ أن تحتل سيناء فى مصر والجولان فى سوريا وبقية الأراضى الفلسطينية ممثلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وفى ستة أيام فقط هزمت ثلاث دول مصر وسوريا والأردن بما لهم من حضارة وتاريخ ، وفلسطين أرض الأقصى ، لدرجة أن هذه الحرب إن كنا نستطيع أن نطلق عليها حرباً لا يزالون يطلقون عليها حتى الآن حرب الأيام الستة ، وبذلك اتضح أن إسرائيل لم تعد فقط أرض الميعاد لشعب الله المختار ولكنها

قوة هدفها القضاء على العرب والإسلام سواء كان ذلك لصالح أمريكا لمساندتها إسرائيل، أم لإنشاء إسرائيل من النيل للفرات، ووجودى فى أفغانستان أكد لى العداء الغربى للإسلام، وهو عداء كامن يظهر من حين لآخر.

وهكذا انتهى عامان من العمل الدبلوماسى فى كابول، وشعرت بمعنى النصف الثانى من المثل الشعبى الذى ذكرت نصفه الأول والذى كان يقول (من يدخل كابول يبيكى). أما النصف الثانى من المثل فكان خير تجسيد لحالتى النفسية فى ذلك الوقت، حيث كان يقول المثل (ومن يترك كابول يبيكى)!! .

لقد كنت منذ وصولى أفغانستان أعرف أنى سأبقى عامين بها، وخططت أن رحلة العودة ستكون (كابول - طهران - عمان الأردن - القدس) لأصلى فى المسجد الأقصى قبل وصولى للقاهرة، لكن كل هذا ضاع مع ما حدث من عدوان إسرائيلى واحتلالها للقدس فى حرب الأيام الستة أو نكسة ١٩٦٧، وضاع هذا الأمل حتى الآن، ولم يعد لى أدنى آمل أن أحقق هذا الحلم بعد أن بلغت من الكبر عتيا إلا أن الله قادر أن يهيئ لى هذه الصلاة فى المسجد الأقصى قبل موتى.

وعدت إلى القاهرة من بيروت بعد فتح مطار القاهرة واستلمت العمل بإدارة العلاقات الثقافية للمرة الثانية وأصابتنى حالة من الذهول أن أرى الشعب المصرى فى هذه الحالة بعد النكسة خاصة، وأن إسرائيل قد استطاعت أن تصل إلى الضفة الشرقية لقناة السويس للمرة الثانية، وإذا كان المجتمع المصرى الصغير فى كابول قد بكى بسبب النكسة فإن الفاجعة الكبرى كانت شديدة على جميع مستويات الشعب المصرى حتى على مستوى سائقى التاكسى. ولم أتعجب عندما سمعت رأى الشيخ الشعراوى آنذاك بأن نكسة ١٩٦٧ انتصار للإسلام، فما كانت صلاته الشاكرة لله بعد الهزيمة تشفياً أو شماتة، وإنما لإدراكه كرجل دين أن هذه الهزيمة ناقوس خطر يدق بخطورة التواجد الشيوعى الاشتراكى على الدين الإسلامى فى مصر، فبعد الناصر ونظامه منذ ١٩٦١ كانوا يؤسسون فى مصر ذلك النظام الشيوعى على أعلى مستوى، لذا فإن هزيمة ذلك النظام الاشتراكى الشيوعى السوفيتى معناه انتصار الإسلام.

أما على مستوى وزارة الخارجية فقد كانت في حالة من الجمود، وأصيب الدبلوماسيون بصفة عامة بالانهزام النفسى كصدى لحالة الإحباط لدى المصريين، وتقارير الدبلوماسيين فى جميع عواصم العالم كانت تصل للوزارة تعطى صورة قاتمة خاصة على مستوى الأمم المتحدة التى تناقش هذا العدوان، والتى انتهت بصدور القرار الشهير رقم ٢٤٢ الذى اقتضى أمرين:

(أ) انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التى احتلتها (فى النص الإنجليزى: «من أراضٍ احتلتها») فى النزاع الأخير.

(ب) أن تنهى كل دولة حالة الحرب، وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة، وحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود مؤمنة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها.

١ - ويؤكد القرار الحاجة إلى ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة. تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين.

ضمان حدود كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

٢ - يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلاً خاصاً إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة فى الجهود للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ الواردة فى هذا القرار.

٣ - يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص فى أقرب وقت ممكن.

ويمكن القول أن الدبلوماسية المصرية بذلت كل ما فى وسعها لتغطية الهزيمة العسكرية وتقليل آثار الخسائر التى أصابت الجيش المصرى على غير المتوقع ومحاولة إيجاد ضغط دبلوماسى على إسرائيل التى كانت فى حالة من النشوى والانتصار العسكرى الذى سيطرت فيه على سيناء المصرية والجولان السورية وكافة الأراضي الفلسطينية.

وأعتقد أن كتابى هذا ليس مجال تفصيل حجم نكسة ١٩٦٧ ولا تفصيل جهود شعب مصر وجيش مصر وحكومة مصر فى استرداد الكرامة الوطنية التى أصابها مصيبة كبرى، وأمضيت ثلاث سنوات فى العمل بإدارة العلاقات الثقافية بالخارجية فى ظل هذه الظروف التى تعانىها مصر جراء نكسة ١٩٦٧، وانصب العمل الدبلوماسى على علاقات مصر بالخارج ثقافياً وحضارياً عن طريق اللجنة الثقافية العليا مع دول العالم التى كانت تتكون برئاسة وكيل وزارة الخارجية ووكلاء السوزارات التى تخدم علاقات مصر مع الدول الأخرى وذلك كان بهدف تغطية الانكسار العسكرى الذى له أثره على قيمة مصر دولياً.

الدبلوماسية الأوروبية فى العاصمة البلجيكية

فى منتصف عام ١٩٧٠ نقلت للعمل فى سفارة مصر لدى بلجيكا والتي كانت مركزاً للصهيونية العالمية المتمركز نشاطها فى ميناء (أنفرس) (أنتويرب) وهو أكبر مركز للتسويق وتجارة الماس نتيجة احتلال بلجيكا للكونجو مصدر الماس فى أفريقيا الذى يسيطر على تجارته اليهود، وقد كانت العاصمة البلجيكية بروكسل مقراً للتجمع الأوروبى ومقراً لحلف الأطلسى (الناتو)، فضلاً عن كونها مركزاً للمنظمات الصهيونية التى كان لها نشاط صهيونى بارز فى أوروبا بصفة عامة وبروكسل على وجه الخصوص لاسيما بعد انتصار إسرائيل على الدول العربية (مصر - سوريا - الأردن - فلسطين) فى ١٩٦٧ فى ستة أيام فقط وهذه الفترة التابعة لنكسة العرب وانتصار إسرائيل هى أقوى فترات التأييد الأوروبى للوجود الإسرائيلى والسعادة البالغة بالانتصار على العرب، وهى رؤية أوروبية تتسق مع العقيدة الأوروبية (حكومة وشعباً) التى تتسم باحترام مبدأ القوة، برغم الكره التقليدى الكامن لليهود، وبرغم الإعجاب الأوروبى بصفة عامة والبلجيكي خاصة بعلم المصرىات (الايجنيتولوجى) وهذا العشق لمصر وآثارها، هذه السعادة تتفق أيضاً مع كرههم الكامن للمسلمين والعرب على وجه العموم وتأكيداً لخطة الغرب فى تحقيق قوة قادرة على ضرب العرب والمسلمين والتى تتمثل فى خلق دولة إسرائيل وطبقاً للعرف الدبلوماسى الدولى قامت السفارة بإخطار الخارجية البلجيكية بوصولى واستلامى العمل لسببين: الأول كى تكتب هذه المعلومات فى الكتاب الذى تصدره وزارة الخارجية البلجيكية عن السفارات وأعضائها فى بلجيكا، فضلاً عن اتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن تواجدي فى العاصمة البلجيكية، كما يستدعى العرف الدبلوماسى أن تحدد وزارة الخارجية البلجيكية موعداً كى أزور الخارجية البلجيكية، ومقابلة العضو الدبلوماسى البلجيكي المختص بشئون مصر، وبالفعل تحددت لى المقابلة، وأثناء تواجدي بوزارة الخارجية البلجيكية وبعد مقابلة للمسئول البلجيكي قمت بزيارة

مكتبة الوزارة ووجدت كتاباً يتحدث عن تاريخ بلجيكا، وفوجئت أن في مقدمة هذا الكتاب يفخر البلجيكيون بالقائد (شارل ذو المطرقة) الذى كان قائداً للجيش الأوربية التى هزمت الجيش العربى الإسلامى فى موقعه «بواتيه» التى تبعد عن باريس ب (٣٠٠ كم)، وتفتخر بلجيكا بهذا القائد البلجيكي لأنه أتخذ أوروبا الغربية من المسلمين البرابرة الذين وصلت جيوشهم إلى أسبانيا فى القرن السابع وأسست دولة الأندلس، وهكذا اشتهر فى الغرب (شارل ذو المطرقة) فى انتصاره على المسلمين المتجهين نحو فرنسا، كما اشتهر الملك ريتشارد قلب الأسد - ملك بريطانيا - فى الحروب الصليبية على القدس فى الشرق، ووجدت فى المكتبة الكثير من المراجع والكتب التى كتبت بعقول وأقلام ودوافع صهيونية.

كانت هناك حادثتان كشفنا لى تصور العقلية الغربية للإسلام والعروبة والمصرية على المستوى الشعبى، الحادثة الأولى: هى لقائى مع إحدى السيدات البلجيكيات والتى قابلتها كى أقوم بتأجير إحدى الشقق فى ذلك المبنى الفاخر القريب من السفارة المصرية الواقعة فى قلب بروكسل والتى تطل على أحد أهم شوارع العاصمة البلجيكية، كانت مديرة هذا المبنى الذى نصحنى زملائى السكن فيه لقربه من السفارة ولرقى مستواه لفترة مؤقتة حتى يتم ترتيب سكنى الدائم وحضور عائلتى، وفى البداية وافقت السيدة على تأجير شقة صغيرة مكونة من (حجرة + صالة + حمام + مطبخ)، وعندما طلبت منى جواز سفرى لتقوم بتسجيل البيانات، فوجئت برفضها الشديد لسكنى عندها وعندما سألتها عن السبب أكدت أنه كونى مسلماً، فبادرت بسؤالها: ما الخطأ فى كونى مسلماً، فأجابت: أنتم المسلمون تقولون: إننا لن ندخل الجنة، وإنكم أنتم فقط الذين ستدخلونها، فأجبت بابتسامه: إن قرآننا يؤكد أننا نؤمن بكل الأديان السماوية (اليهودية - المسيحية - الإسلام)، كما يؤكد أن مسألة الجنة والنار والثواب والعقاب كلها أمور لا يعلمها إلا الله وقمت بترجمة الآية القرآنية فى سورة الحج «آية ١٧» والتى تقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغِينَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَالْمَجُوسَ

وَالَّذِينَ اشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

كما أن الآية القرآنية «٦٢ من سورة البقرة» تقول: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

كى أؤكد لها أن ديننا الإسلامى لا يقول: إن الجنة موقوفة على المسلمين
فحسب، تفهمت السيدة هذا واعتذرت عن خطأ فهمها، ووافقت على الفور على
سكنى بهذا المبنى وصارت بيننا صداقة طويلة فترة عملى ببلجيكا.
لكن ظل هذا الموقف من تلك السيدة الكاثوليكية العجوز دليلا على مدى سوء
فهم الإسلام فى العقلية الأوروبية بصفة عامة.

أما الحادثة الثانية: فهى حادثة مرض ابنى حيث اضطررتى ظروف مرضه
المفاجئ أن أتوجه إلى عيادة طبيب عظام مشهور بدون موعد سابق، وعندما
استقبلتنى ممرضة الطبيب وعرفتها بنفسى أخبرت الطبيب من التليفون الداخلى
قائلة له: إن مستشار السفارة المصرية موجود بالعيادة لظروف مرضية مفاجئة فرد
الطبيب على الفور: إنه يأسف لعدم استطاعته استقبال أى مريض مصرى!!

حقيقة كان رد الطبيب مفاجئاً وغريباً وبعيداً عن آداب مهنة الطب كما كان رده
عنصرياً صريحاً وأخيراً كان هذا الرد بالنسبة لى تحدياً ووضعنى فى موقف المدافع
عن مصريتى وعروبتى وإسلامى، ولقد نسيت من سوء تصرف الطبيب آلام مرض
ابنى الذى ألجأنى إلى عيادته مع كل هذه المشاعر التى سيطرت على فكرى، ولكنى
- كدبلوماسى - تمالكت نفسى وبكل هدوء مع ابتسامة مصطنعة قلت للممرضة:
اخبرى الطبيب أنى سأطلب من هنا وزارة الخارجية البلجيكية للتدخل. إزاء ذلك

تركت الممرضة مكتبها ودخلت إلى الطبيب ومكثت معه فترة طويلة نسبياً وخرجت لتقول لى بربود أوروى «حسناً يا سيادة المستشار سيستقبلك الطبيب ولكن بعد أن ينتهى من الكشف على كل المرضى الموجودين» فتبسمت لها شاكراً وجلست انتظر. بعد أن انتهى من أداء مهمته كطبيب بادرت قائلاً «بحزم» إننى لا أستطيع أن أغادر عيادته قبل أن يفسر لى قوله : عدم استطاعته استقبال أى مريض مصرى فرد على قائلاً : لأننى أحب مصر ومعجب بتاريخ مصر لكن حدث ما جعلنى أقرر أنه من الأفضل عدم رؤية أى مصرى بعد ما حدث ، فازداد تعجبى من أن يكون هذا الطبيب المشهور الكبير فى هذه السن فى حالة نفسية متناقضة نحو مصر والمصريين الأمر الذى أدى بى إلى أن أدعوه على العشاء لنجلس سوياً ونتبادل الحديث فيما حدث. تقابلنا فى الموعد المحدد كأصدقاء وحكى لى ما حدث قائلاً : إن إسرائيل قامت بدعوة الاتحاد العالمى لأطباء العظام لعقد دورته السنوية فى تل أبيب فى ضيافة إسرائيل وذلك فى شهر أكتوبر ٦٧ أى بعد انتصار إسرائيل فى حرب الأيام الستة التى بدأت فى ٥ يونيو ٦٧ واستجاب الاتحاد العالمى لهذه الدعوة وعقب انتهاء الدورة فى العاصمة تل أبيب قامت سلطات إسرائيلية بتنظيم رحلة ترفيهية لكافة الأطباء المشاركين من كافة دول العالم فيما عدا الدول العربية واستقل الأطباء عدة طائرات هليكوبتر من مطار تل أبيب دون الإعلان عن مكان الرحلة وازداد غموض الرحلة بأن قام الإسرائيليون بإعطاء مندبل أسود لكل راكب ليغضى عينيه وبعد فترة وجيزة من الطيران هبطت الطائرات ونزل الأطباء وعينهم مازالت مغطاة وقام المشرفون بمساعدة الأطباء فى التحرك إلى مسافة قصيرة مشياً على الأقدام ثم نادى صوت جهورى «أيها الأطباء الضيوف ارفعوا المناديل السوداء» حيث وجدوا أنفسهم على ضفاف مجرى مائى وعاد الصوت الجهورى قائلاً «أيها الضيوف أنتم الآن على شاطئ مجرى قناة السويس فى آخر حدود آسيا وعلى الشاطئ المقابل تبدأ قارة إفريقيا ولتشربوا معنا نخب انتصار إسرائيل» !!

عندما توقف الطبيب بعد سرد هذه القصة قال معقياً : إنه شعر فى هذه الرحلة الإسرائيلية بالحيرة بين الشعور بالحب لمصر ولتاريخ مصر وبين تعجبه لهزيمة

الجيش المصرى أمام الجيش الإسرائيلى، ولم يكن مصدقاً أن حجم الهزيمة المصرية إلى هذا الحد وعاهد نفسه إزاء هذا التناقض أن يبتعد عن كل ما هو مصرى حتى لا ينتابه الشعور بالضيق والتعجب مما حدث خاصة وأنه لم يسمع أى تفسير مقنع من أى جانب مصرى لهذه الهزيمة ومن هزمهم؟ اليهود الذين يحتقرهم هذا الطبيب من قلبه الاحتقار التقليدى فاكتفيت بأن أعلق قائلاً: - سيأتى اليوم الذى تسترد فيه أياً الطبيب حيك لصر وتستعيد إعجابك بتاريخها وحاضرها.

لكن الموقف أثار تعجبى من ذلك الطبيب الذى يركز على هزيمة مصر دون أدنى إشارة لهزيمة بقية الدول العربية وعلى رأسها فلسطين الضحية الأولى لإسرائيل وسوريا التى ضاعت منها الجولان، فهو يركز على هزيمة مصر لما يحمله تاريخها القديم من تقدير بالغ فى نفسه، وهو الأمر الذى جعله لا ينظر إليها بمنظور عربى، لما تحمله نظرة البلجيكيين للعرب من استهانة وعدم تقدير، الأمر الذى اتضح بصورة لافتة فى تلك النافورة فى أحد الميادين المهمة فى قلب بروكسل عاصمة بلجيكا وهذه نافورة من الضخامة إلى درجة أنها تدهش الناظر إليها سواء فى مبناها الحجرى والرخامى أم كمية الماء التى تتناثر من عيونها، ومما يلفت النظر بصورة أكثر فى هذه النافورة اللوحات المعدنية الضخمة المثبتة فى واجهتها التى تشد النظر وتدعوها إلى القرب من اللوحات ليشاهد ويتحقق من الرسومات المنقوشة والبارزة وكذا يقرأ الكلمات التى تزين هذه الرسومات.

ولقد فوجئت عندما اقتربت أمام هذه اللوحات لاستمتع وأقرأ ما يزينها من كتابات.. أقول: فوجئت بأن عيني وقعت على رسم بارز لإنسان على رأسه عقال عربى وممدد على الأرض، وفوق جسده أرجل تليس أحذية ضخمة لرجال بملابسهم العسكرية وفى أيديهم بنادق وهم يصوبون «السونكى» إلى صدر وجسد الإنسان ذى العقال العربى.

وعند مشاهدتى هذه الرسومات مر بخاطرى خيالات عما يرمز إليه هذا المنظر وحاولت بسرعة أن استرجع بذاكرتى أحداث التاريخ على مر العصور وهل كانت هناك حرب بين بلجيكا ودولة عربية انتصر فيها البلجيكيون وهزموا فيها العرب

وأن هذه اللوحة التي أمامي هي تخليد لهذه الحرب؟ ولم تسعفني ذاكرتي بأى حرب، وأفتت من هذه التخيلات بعد دقائق سريعة لأقرأ الكتابات التي تحت الرسومات وإذا بى أجد ما ترجمته «الجندي البلجيكي الشجاع يحرق الكونجو من العرب تجار العبيد».

وأقول - للحق - قد أذهلتني هذه المفاجأة ولم أجد أمامي - وكنت أعمل مستشاراً في سفارة مصر في بلجيكا - أقول لم أجد أمامي - إلا الرجوع إلى زملائي الدبلوماسيين العرب الموجودين في بروكسل قبلي للاستفسار منهم عن هذه النافورة.

واستقر الرأي على رفع مذكرة شفوية إلى وزارة خارجية بلجيكا تلفت نظرها إلى التأثير السيئ الذي تتركه هذه النافورة لمن يشاهدها وسوء الانطباع عن العرب وأنه في سبيل حسن العلاقات يجب العمل على تصحيح هذا الوضع.

وكان رد وزارة الخارجية البلجيكية أغرب وأعجب من كلمات النافورة إذ أبدت أسفها لعدم إمكانها المساس بأثر تاريخي ملك للشعب البلجيكي ومن حقه وحده الاحتفاظ به أو تغييره أو إزالته.

وهكذا تستمر هذه النافورة من المعالم السياحية في بروكسل وفي رأيي أن هذه النافورة تخرج من المجال السياحي لتدخل في مجال وإطار سياسى تظل فيه شاهدة على عمق وخطورة الأفكار الإمبريالية الأوروبية القديمة.

لقد جال بخاطري أنه ربما يكون وراء وضع هذه النافورة في مثل هذا الميدان المهم أيادٍ صهيونية، وربما أكد لي هذا الإحساس إصرار وزارة الخارجية البلجيكية على عدم المساس بالنافورة.

وتعود بي الذكريات أيضاً إلى ذلك المؤتمر الذى عقد في مدينة (بروج) إحدى مدن بلجيكا الجميلة في أوائل السبعينات، كان مهرجاناً اقتصادياً على درجة عالية من الأهمية تديره جامعة بروج الأوروبية، كان المهرجان قد عقد بشأن مناقشة مستقبل المجموعة الأوروبية سياسياً واقتصادياً، كما كانت البحوث مقدمة لما سيتم

عمله حتى عام ١٩٩٢، أى بعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً من عقد المؤتمر والمهرجان.

ولما كنت مستشار السفارة المختص بالشئون الاقتصادية والوحدة الأوروبية الاقتصادية، لذا انتدبت بأمر من وزارة الخارجية المصرية للمشاركة فى المهرجان كعضو مراقب.

المهم كان المهرجان فرصة اجتماعية عظيمة حيث حضرته وفود من كافة الجامعات العالمية ورجال الفكر السياسى والاقتصادى، وكانت مظاهر الاحتفالات الليلية للمشاركين فى المهرجان فرصة كبيرة للالتقاء والتحدث. وحدث أن تعرفت إلى عمدة هذه المدينة الغربية الجميلة مقر المهرجان وكان ذا شخصية جذابة مثقفة بالرغم من أنه كان فوق السبعين وأبدى سروره البالغ، وترحيبه الحار بى ولما تعارفنا اتضح أن أهم أسباب ترحيبه بى أنه عضو مهم فى جمعية «علم المصريين» فى بلده يحضر الكثير من الندوات والمحاضرات عن التاريخ المصرى القديم، وبالرغم من عضويته هذه، فلم تسمح له ظروف عمله كعمدة بزيارة مصر لمشاهدة آثارها مكتفياً بما يراه من آثار فى متاحف عواصم أوروبا المختلفة وانطلاقاً من هذه الزاوية تواصلت لقاءاتنا خلال المهرجان التى امتدت إلى أسبوعين كاملين وتناثر الحديث وتنوع وكثرت الأسئلة والتساؤلات.

وكان أحد الأسئلة التى وجهها لى عما إذا كان لدى أولاد وما أعمارهم؟.. وعندما عرف أن لدى ولداً وبناتاً وأنهما فى سن المراهقة ويدرسان فى مدارس دينية تابعة للكنيسة الكاثوليكية أبدى تعجبه واستغرابه.. وسألنى سؤالاً آخر يقول: كيف أكون مسلماً وأرسل أولادى لمدارس الكنيسة الكاثوليكية وهو يعلم بأن المسلمين يكرهون الكاثوليكية كرهاً شديداً، وأن المسلمين فى هذا متعصبون أشد التعصب فذكرت له أن كل ما قاله ليس صحيحاً على الإطلاق بدليل أننى فعلاً بعثت بأولادى إلى مدارس الكنيسة الكاثوليكية بمصروفات باهظة فى الوقت الذى يوجد فى بلجيكا مدارس حكومية مجانية ولكنها علمانية لا دينية ولقد خشيت

على أولادى من هذه المدارس وما قد تؤثر عليهم فى تصرفاتهم ومعتقداتهم وفضلت إرسالهم لمدارس الكنيسة لإيماننا الكامل نحن المسلمين بأن المسيح عيسى هو نبي الله وأن الإنجيل رسالته وهو كتاب سماوى نؤمن به وأنى أفضل لأولادى أن يكونوا أكثر أمناً وأطمئناناً على معتقداتهم وأفكارهم وتصرفاتهم فيما لو درسوا العلم فى مدارس كاثوليكية وواصلنا حوارنا حول الفرق بين الدين المسيحى والدين الإسلامى وزادت أسئلته وتشعبت ولاحظت أنه يزداد قريباً منى ومن أفكارى ودعائى إلى منزله بصفة شخصية بعد أن أحس بالطمأنينة وأنى أجبت عن أسئلة كانت تلح عليه منذ سنين وشاءت الأقدار أن يكون شخصى هو المجيب عنها وصارت صداقة بينى وبينه امتدت إلى سنوات مدة إقامتى فى هذه العاصمة الأوروبية الغربية وكان لهذه الصداقة صداها فى عملى كمستشار لسفارة مصر.

ولم يقتصر الحوار مع عمدة بروج فيما يخص الجانب الدينى فحسب، فقد فاجأنى بالحديث عن المساعدات البلجيكية لإسرائيل، وحكى تفاصيل دقيقة عن كميات الأسلحة والذخيرة التى ترسلها حكومته لإسرائيل، وأخبرنى عن طرق النقل غير المباشرة لتوصيل هذه المساعدة وتلك الأسلحة والذخيرة وفاجأنى أكثر عندما أبدى تضرره وامتعاضه من موقف حكومته المساعد لإسرائيل وألمح عن تقديم أية مساعدات لمصر التى يعشقها محرباً فى الوقت نفسه عن بغضه العميق لليهود!

فى الوقت نفسه أبدى استعداده أن يطلعنى على مستندات ووثائق تؤكد هذه المساعدات البلجيكية لإسرائيل، فشكرته على هذه الثقة، وأخبرته أن هذا الموضوع يستدعى منى إخطار وزارة الخارجية المصرية بهذه التفاصيل وبعد انتهاء المؤتمر فى بروج عدت للسفارة المصرية فى بروكسل، وأبلغت السفير بما حدث، فأبرق لوزارة الخارجية المصرية بهذه التفاصيل وعلى الفور قامت الحكومة المصرية بإرسال أحد رجال المخابرات لاستكمال الاتصالات بعمدة بروج فى سرية تامة وبعيداً عن نشاط السفارة، ونتج عن ذلك أن صرح الرئيس السادات فى إحدى خطبه بمجلس الشعب بأنه يعلم تفاصيل وطرق إمداد بلجيكا لإسرائيل بالأسلحة والذخائر فى الوقت الذى

ترفض فيه بيع الأسلحة مقابل المال لمصر، مما أدى إلى استدعاء الحكومة البلجيكية السفير المصري في بروكسل كي تبدي استعدادها لإمداد مصر بالأسلحة والذخيرة التي تطلبها.

كانت هذه المواقف كافية كي تجعلنى أدرك مدى التغلغل الصهيونى فى بلجيكا، خاصة وأن عملى الدبلوماسى أتاح لى متابعة ما تنشره أو تذيبه المؤسسات الصهيونية فى بلجيكا من تضليل إعلامى، وحاولت كثيراً التركيز على الكره الغربى التقليدى الكاثولىكى لليهود الذى يعود إلى أيام الرومان الذين كرهوا إلهود لإيمانهم بالإله الواحد وتأكد كرههم بعد أن آمنوا بالمسيح وتسبب اليهود فى صلب المسيح على أيدي الرومان - كما يزعمون - واسترجاع صورة اليهودى (القدر - القبيح - التائه) فى التاريخ الأوروبى وتلك الأوصاف لليهود لم يستخدمها المسلمون مطلقاً فى كل العصور وفى كل البلاد وذلك من حسن الأخلاق ومن احترام اليهودية كدين سماوى وهذا أمر نابع من الشريعة الإسلامية التى تحظر سب الأديان مما يدل على أنه من سمو الأخلاق والترفع عن الصغائر وبذلك عاش ويعيش اليهودى داخل المجتمعات الإسلامية محتفظاً بكرامته الدينية والإنسانية. وهنا أعترف كمسلم أن هناك تقليداً بين المصريين للتعبير عن أى شخص بخيل فيقال له «ده يهودى» على أساس أن إلهود يتصفون بحب وكنز المال وليس هذا التعبير من قبيل الذم ولكنه تعبير عن حرص وحب المال. كما أنه من ناحية أخرى فإنه منذ خلقت دولة إسرائيل فى قلب فلسطين وما تقوم به من قتل وتدمير واغتصاب وانتهاك وتشريد واعتقال وارتكاب الجرائم وحروب ضد الفلسطينيين والعرب فلم ولن يغير المسلمون أخلاقهم تجاه اليهود كدين ولم يقابل رد على كل ما قامت به إسرائيل إلا بوصفها دولة صهيونية عنصرية وأنها فى خدمة الإمبريالية الغربية وعلى رأسها أمريكا، وأذكر أنني كنت على صلة وثيقة مع سكرتير عام وزارة الخارجية البلجيكية، هذه الصلة كانت تسمح بوجود علاقات عائلية معه، وصلت لمرحلة ذكرت لى فيها زوجته ذكرياتها عندما نقل زوجها للعمل فى سفارة بلجيكا بتل أبيب، حيث

أتاح لها هذا العمل بصفتها زوجة سفير بلجيكي لدى إسرائيل العديد من الزيارات للأرض المقدسة (تعبير كاثوليكي لكل متدين مخلص) وأهمها القدس تلك المدينة المقدسة التي كانت تنعم بالأمن والاستقرار في أيدي العرب منذ استردادها العرب من الصليبيين حتى جاءت الحرب التي شنتها إسرائيل على العرب واحتلت فيها سيناء من مصر والجولان من سوريا وبقية فلسطين بما فيها القدس ١٩٦٧، فقد أزعتها كإنسانة كاثوليكية، كما أن هذه الحرب من الناحية الدينية - ولكون السيدة كاثوليكية المذهب - قد اعتبرتها بداية لنهاية العالم، وذلك لأنها تؤمن كما يؤمن الكاثوليك المتدينون في أوروبا أن احتلال اليهود وسيطرتهم على القدس وما حولها من أراضٍ مقدسة تنتسب إلى السيد المسيح هو نذير شؤم وعلامة من علامات نهاية العالم.

الأمر الذي دعاها أن تطلب من زوجها نقله إلى وزارة الخارجية في بروكسل، وظلت في حالة من التشاؤم والكتئاب ومتابعة الأحداث حتى وقت لقائنا أواخر عام ١٩٧٠ في بروكسل، ولم يمر وقتها على أحداث نكسة ١٩٦٧ إلا ثلاث سنوات، كما أبدت لي بصفة شخصية رفضها وتضررها من التغلغل الصهيوني في بلجيكا بصفة خاصة وفي أوروبا بصفة عامة.

شجعني موقف هذه السيدة أن أقوى علاقتي مع سكرتير عام وزارة الخارجية ليس من الناحية الرسمية فقط بل على مستوى العلاقة الشخصية مما أفادني فعلاً في معرفة حقيقة الشعور نحو إسرائيل خارج نطاق الرسمية.

ومما يدل على الأثر الإعلامي الصهيوني في الإعلام الأوروبي والبلجيكي ما حدث في يناير عام ١٩٧١، حيث قطعت الاحتفالات بالعام الجديد وأذاع راديو بلجيكا أن عام الحسم الذي يدعيه السادات قد أتى ولم يحدث شيء في شكل تهكمي. مؤكداً أنه لا يوجد شيء اسمه العرب وأن إسرائيل وجدت لتبقى، وأن حرب ١٩٦٧ قضت على العرب لمدة ٥٠ سنة على الأقل، وقد تكرر الأمر في بداية عامي ١٩٧٢، ١٩٧٣، وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أذاع التلفزيون البلجيكي فجأة وبدون مقدمات أن حرباً قامت بين مصر وإسرائيل، عارضاً صوراً لهزيمة الجيش المصري

وصورا لأسرى مصريين وقعوا فى أيدٍ إسرائيلية، وعلى الرغم من إحساسى بأن هذه الصور صور قديمة إلا أنني شعرت بحالة من الذهول لا سيما فى ضوء عدم وصول أية أخبار من القاهرة، لكن بعد ساعات قليلة اكتشفت وسائل الإعلام البلجيكية أن إسرائيل قد خدعتها، وأنها أعطتها أنباء كاذبة وصورا قديمة لنكسة ١٩٦٧، وأعلن التليفزيون البلجيكي اعتذاره عن نشر الصور القديمة وأكد خبر انتصار القوات المصرية وعبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف الذى ادعت إسرائيل أنه لا يقهر ونقلت الأخبار التى أذاعتها القاهرة عن تأكيد النصر المصرى.

كانت هذه المواقف كافية كى تجعلنى أدرك مدى التغلغل الصهيونى فى بلجيكا، لكن على قدر الكذب الإسرائيلى كان التحول البلجيكي، الذى بدأ يصف السادات بالداهية، لكن برغم ذلك وتحت تأثير الصهيونية ربطت وحذرت بعض الصحف البلجيكية الأوروبية بين نصر ١٩٧٣ وبين دخول العرب بالفتح الإسلامى فى أسبانيا، ووصف الفكر الأوروبى الصهيونى العرب بأنهم كالكلاب يجب ألا يشموا رائحة النصر!!.

لكن على رغم كل ذلك بدأت وسائل الإعلام البلجيكية تبرز النصر المصرى، رافضة ما قامت به إسرائيل من كذب وتضليل وخيانة لرجال الإعلام البلجيكيين وكان هذا أكبر خطأ فادح قامت به إسرائيل نتيجة هزيمتها العسكرية على يد القوات المصرية، فلقد أصاب إسرائيل الدوار والذعر لهزيمتها، الأمر الذى أدى بها إلى الوقوع فى هذا الخطأ الفادح إعلامياً وهى تنكر انتصار القوات المصرية وتدعى هزيمتها.

وكان صدق خسارة إسرائيل العسكرية لا يقل عن خسارتها الإعلامية فى بلجيكا وأوروبا حيث إنه بنهاية يوم ٦ أكتوبر تأكد العالم كله أن القوات المصرية انتصرت واستطاعت عبور قناة السويس واختراق خط بارليف فى ساعات معدودة أذهلت إسرائيل والعالم من حولها، حيث كانت إسرائيل قد نجحت منذ نكسة ١٩٦٧ فى إقناع العالم الأوروبى أن مصر والعرب لن تقوم لهم قائمة وقوة عسكرية لمدة ٥٠ عاماً على الأقل.

وهكذا تمكنت عظمة الجيش المصرى، وعظمة مصر من أن تقضى على هذه الدعاية الإسرائيلية وأن تقضى أيضاً على حسابات أكثر من دول العالم التى كانت قد سايرت وصدقت الادعاء الإسرائيلى بأن مصر لن تقوى على أى انتصار عسكرى ولن تتمكن من هزيمة الجيش الإسرائيلى الذى صورته الدعاية الإسرائيلية على أنه جيش لا يقهر وأن ذراعه طويلة.

وعندما تأكد العالم من انتصار القوات المصرية بدأت أجهزة الإعلام الغربية فى نشر الحقائق وأصبحت لأول مرة فى موضع الثقة، وتصديق كل البيانات العسكرية التى تصدرها القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية، بل وأكثر من ذلك بدأت الصحف والمجلات البلجيكية الغربية تتحدث عن جنرالات الجيش المصرى، وعن براءة الجندى المصرى وشجاعته، وإقدامه، وكان التكتيك العسكرى المصرى محل انبهار كافة المؤسسات العسكرية البلجيكية وأصبحت النظرة العامة لمصر نظرة تقدير واحترام مما أنعكس أثره الواضح على المصريين المغتربين والمهاجرين الذين شعروا بالهزة والكرامة التى نعلم جميعاً أنها أعلى ما يملكه المصرى فى الخارج.

كلنا نعلم كيف كانت سوريا شريكة لمصر فى حرب أكتوبر، كما نعلم أيضاً أن الدول العربية البترولية قد وضعت هذه الثروة فى خدمة انتصار أكتوبر، ولا يمكن أن أنسى جولة وزير البترول السعودى يرافقه وزير البترول الجزائرى وهما يمثلان جناحى الأمة العربية من شرقها إلى غربها والممتدة من قارة آسيا إلى قارة أفريقيا وينتميان إلى دولتين من منتجى البترول، أقول لا يمكن أن أنسى مظاهر جولة هذين الوزيرين فى أوروبا الغربية وزيارتها دولة بلجيكا ضمن هذه الجولة، وكان الهدف الرئيسى مخاطبة رأى العام فى أوروبا عن طريق وسائل الأعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أن استخدام سلاح البترول فى معركة العرب مع إسرائيل ليس موجهاً ضد الشعوب الأوروبية بقدر ما هو موقف يقتضيه حق العرب فى استرداد حقوقهم التى اغتصبتها إسرائيل من فلسطين، واسترداد الأراضى التى احتلتها إسرائيل من مصر وسوريا فى حرب ١٩٦٧، ولعل من المهم فى هذا المجال أن أوضح أن انتصار

أكتوبر قد أعاد للبترول العربي قيمته الحقيقية حيث ارتفع سعر برميل البترول إلى أضعاف أضعاف سعره قبل أكتوبر ١٩٧٣.

ولا يمكن أن أصور كتابة مدى قوة الصدى الذى اجتاحت الدول الأوروبية عندما أعلنت مصر وهى فى أوج انتصارها العسكرى على إسرائيل أن الهدف الأسمى هو «السلام» واسترداد الحقوق المشروعة وليست حرب أكتوبر إلا وسيلة لهذا الهدف النبيل، وليس من سياسة مصر الحرب للحرب، أو إبادة إسرائيل ورميها فى البحر، وقد كان لهذه الاستراتيجية آثارها الناجحة فى القضاء على كل افتراءات إسرائيل، وإرغامها على الحد من أطماعها التوسعية وحب اغتصاب الأراضى، ولقد انتهى الأمر باسترداد مصر للجزء العزيم الغالى من الوطن وهو شبة جزيرة سيناء وذلك أحسن ثمرة لانتصار حرب أكتوبر، وإن لم يعيد الحقوق الفلسطينية وهضبة الجولان السورية.

ولم أنسَ فى غمرة فرحتى بانتصار القسوات المصرية فى حرب أكتوبر أن أدعو طبيب العظام البلجيكى الذى كان حزيناً على هزيمة مصر فى نكسة ١٩٦٧ والعاشق لمصر وتاريخها وآثارها الفرعونية، لم أنسَ أن أدعوه على العشاء لنحتفل سوياً بما وعدته فى مقابلتى الأولى بأنه سيأتى اليوم الذى يسترد فيه حبه لمصر وإعجابه بتاريخها ثانيةً.

وكان من نتائج استخدام العرب للبترول فى حرب ٧٣ أن بعض المفكرين والساسة والصحفيين والكتاب فى أمريكا وأوروبا كانوا ينادون علناً بتدويل البترول العربى وكانت حجتهم فى ذلك وهى حجة كانت وستظل حجة باطلة - تقول: إن للعرب من التأخر العلمى والتكنولوجى ما يحول بينهم والبحث عن البترول واستخراجه وتكريره ونقله وتسويقه واستغلاله فهذه المراحل كلها هى من اختصاص الدول ذات العلم، والتكنولوجيا، والعرب ليسوا منهم فلا يحق لهم أن يمتلكوا البترول ويتحكموا فى إنتاجه وتسعييره، فالبترول وجد فى رأيهم بالصدفة تحت الأرض التى يعيش فوقها هؤلاء العرب المتأخرون!! (على حد وصفهم).

وكانوا يؤكدون أن الصدفة ليست سندا للملكية ولا يترتب عليها حقوق!!
والأولى به من يكتشفونه، ومن يستخرجونه، ومن يكررونه، ومن ينقلونه، بل ومن
يستخدمونه!! .

وهكذا صورة الماضي التي تحتفظ بها الذاكرة وتعيدها الأحداث بين حين
وآخر إلى الوجدان والتفكير، فلا يمكن لأى دبلوماسى أو سياسى أن يغفل عن
أن أمريكا وأوروبا يحتفظون - فى ذاكرتهم - بمبادئ تنادى بتدويل البترول
العربى، وليأخذ العرب نصيباً مقابل وجودهم بالصدفة على أرض البترول عملاً
بمبدأ حق الارتفاق!

هذه الذكريات أهدبها للعرب ليحافظوا على البترول الذى أوجده الله تحت
أرضهم، فليس فى الكون صدفة تصنع بترولاً!! ولا يسمحون مستقبلاً بكل ما أوتوا
من قوة بسيطرة القوة الأجنبية على منابع بترولهم بأية حجة كانت.

فالبترول حق أساسى لأصحابه أينما وجدوا سواء أكان تحت أرض عربية فهو
ملك للعرب أم تحت أرض إفريقيا فهو ملك لنيجيريا أم تحت بحر الشمال فهو
ملك لبريطانيا أم تحت أرض تكساس فهو ملك لأمريكا.

ولا بد من النظر إلى البترول على أنه مادة خام مثله مثل بقية المواد الخام
الأخرى كالذهب والناس والقطن والمطاط والكاكاو والخشب والبن والقمح وغيرها
من الخامات، وتحكمها كلها قوانين التجارة الدولية التى لها أصولها وتقاليدها
ومعاهداتها واتفاقياتها، ويعمل بها دوليا منذ بدء الخليقة على الأرض.

لقد قلقت الصهيونية العالمية من هذا التحول الإعلامى البلجيكى، والذى بدأ
يظهر ميله للعرب والمصريين الذين حققوا النصر فى ١٩٧٣، وقد تجسد هذا القلق
فيما قام به مجموعة من الشبان اليهود بتقطيع البانوراما التى كانت عليها رسوم من
القاهرة القديمة فى القرن التاسع عشر بمساجدها ومآذنها ذات الطابع الإسلامى،
وكانت هذه البانوراما موجودة فى داخل مبنى على هيئة مسجد بقبته ومذنته فى
قلب العاصمة البلجيكية بروكسل ويحيط به حديقة واسعة تشمل مبنيين لمتحف

تاريخى والآخر حربى، وقصة هذا المبنى أن الحكومة البلجيكية أهدته للجالية الإسلامية فى بلجيكا ليكون المسجد تقام فيه صلاة الجمعة فقط، على أن يظل بقية أيام الأسبوع كمتحف لهذه البانوراما، هذا المتحف الذى كان قد بناه أحد البارونات البلجيكيين فى القرن التاسع عشر بعد زيارته للقاهرة وتأثره بالفن والمعمار الإسلامى، وكانت الحكومة البلجيكية قد منحتة للجالية الإسلامية فى بلجيكا لتؤدى صلاة الجمعة فقط، حيث يمنع زيارته يوم الجمعة كمتحف، وتقرش السجاجيد فى بهو المبنى الذى تعلوه قبة المسجد لتؤدى فيه الصلاة وفجأة وبدون مقدمات فوجئ حراس المتحف أن هذه البانوراما ممزقة، وقامت الصحافة الموالية للنقوذ الصهيونى بتأكيد أن ذلك من عمل المسلمين الذين أهدت إليهم الحكومة البلجيكية هذا المكان، وبرت ذلك بسعيهم كى يستأثروا بالمكان طوال الأسبوع وليس الجمعة فقط، إلا أن الشرطة قبضت على مجموعة من الشبان اليهود الذين اعترفوا بقيامهم بهذا العمل الإجرامى، الأمر الذى جعل الحكومة البلجيكية تهدى المكان بالكامل للجالية الإسلامية، ليتحول بذلك هذا المتحف إلى مسجد ومركز إسلامى للجالية الإسلامية لمدة ٩٩ عاماً فى بر وكسل، وأصبح المتحف مسجداً رئيسياً شكلاً وموضوعاً، وعهد بشئونه إلى مجلس سفراء المسلمين المعتمدين لدى بلجيكا، وكان هذا الحدث نقطة تحول فى الاتجاه نحو إقناع السلطات البلجيكية بالاعتراف بالدين الإسلامى، الأمر الذى يقتضى تعديل الدستور البلجيكى بإضافة الدين الإسلامى إلى بند الاعتراف بالديانات الأخرى وهى (المسيحية - اليهودية - البوذية).

وقصة ذلك أنه عند مناقشة هذا الاعتراف فى البرلمان البلجيكى وما قالت به الصحافة من تعليقات وما كتبه المؤرخون والفلاسفة ورجال القانون حول هذا الاعتراف كان اللفظ المستخدم هو تسمية المسلمين بأتباع محمد وأن دين المسلمين هو دين محمد، وبذلك كان اللفظ المستخدم هو (المحمديين).

ولكن مجلس سفراء الدول الإسلامية - وكنت سكرتيراً لهذا المجلس الذى كان يضم إمام مسجد بروكسل - صمموا على ضرورة استخدام النص على لفظ (الإسلام)

عند الاعتراف تنفيذاً لقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
اللَّهِ الْأَسْلَمُ ۝١٩﴾

ولقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَسْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۝٢﴾

وقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ
فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾

وهكذا أضيفت مادة فى الدستور البلجيكي تنص على الاعتراف بدين
«الإسلام».

ولقد كان من الواضح تماماً أن بعض المستشرقين البلجيكيين يريد عدم استخدام
لفظ «الإسلام» لكون ذلك يتمشى مع الإدعاء - الباطل - بأن محمداً ليس رسولا
من عند الله وأنه كتب وألف القرآن الأمر الذى يوجب فى رأيهم إطلاق لفظ
«المحمديون» على أتباع محمد: ومن جهة أخرى كان التمسك بلفظ «المحمديون»
يتمشى أيضاً مع ما اعتاد عليه واقع الأمر من تسمية أتباع المسيح عيسى ابن مريم
عليه السلام بأنهم «المسيحيون» وباللغة الفرنسية chretiens وباللغة الإنجليزية
christians - نسبة إلى لفظ christ أى المسيح.

وهذا الاعتراف أدى إلى قيام الحكومة والمؤسسات البلجيكية بمنح المسلمين
حقوقهم الدينية كاملة أسوة بالبلجيكيين المسيحيين وأيضاً واليهود.
وأعتقد أن هذا الحدث التاريخي الذى يرمز إلى التواجد الإسلامى فى العاصمة
بروكسل إلى جانب تواجد مقر حلف الناتو الذى يضم دول أوروبا وأمريكا وكندا
ومقر الاتحاد الأوروبى الذى يضم ٢٥ دولة أوروبية شرقية وغربية ومقر للصهيونية
العالمية يعتبر من أهم الإنجازات التاريخية فى تواجد مركز إسلامى فى قلب العالم

الغربي الأوروبي ولا أنسى في هذا المجال أن أشيد بالدور الهام الذي قام به السيد محمد توفيق عويضة بصفته رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية آنذاك. وقبل انتهاء فترة تواجدي في سفارة مصر في بلجيكا التي دامت أربع سنوات، وقرب عودتي إلى وطني قمت بتقديم اقتراح لوزارة الخارجية كي تقوم بتوجيه دعوة للفرنسي (كلود شيسون) عضو الأمانة العامة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية ومركزها بروكسل المسئول عن تقديم المساعدات للدول والمنظمات، تنشيط المعونات التي تقدم للفلسطينيين، أسوة بالوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة والمعروفة بـ (أونروا).

هذا فضلاً عن أن كلود شيسون كان قائداً عسكرياً بالجيش الفرنسي أثناء احتلال الجزائر، كما كان من كبار مؤيدي الرئيس الفرنسي شارل ديغول لاستقلال الجزائر، فضلاً عن إجادته للغة العربية واللهجة الجزائرية وعشقه لها واحترامه وتقديره لدور مصر في المنطقة العربية، وأنهى حياته الدبلوماسية وزيراً لخارجية فرنسا فيما بعد ولم تتحقق زيارته لمصر إلا بعد عودتي للوزارة عام ١٩٧٤، وقد اختارني السيد وزير الخارجية المصري آنذاك إسماعيل فهمي أن أكون مرافقاً خلال زيارته للقاهرة بصفتي صاحب اقتراح الزيارة للضيف. وعادةً كان برنامج الزيارة المعتاد خمسة أيام عمل ويومين زيارة الأقصر وأسوان، ولما كانت الزيارة قد تمت في أواخر ٧٤ أي بعد ما يقرب من عام على انتصار حرب أكتوبر ١٩٧٣، فاقترحت أن تستبدل زيارة الأقصر وأسوان بزيارة خط بارليف ومنطقة القناة وما تم تحريره في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

فوافق الوزير على اقتراحي بعد استئذان الجهات العسكرية المسئولة وتمت الزيارة بمرافقة أحد لواءات الجيش الذي كان يجيد التحدث باللغة الفرنسية، والذي قام بدور الشرح الكامل للخطة المصرية للاستيلاء على خط بارليف الذي كان لا يزال في حالته التي أعقبت الانتصار وإجلاء قوات الاحتلال الإسرائيلي، فضلاً عن مراكز التحصينات الموجودة على طول خط القناة وكيف تم تدميرها، وفي طريق

عبورنا إلى سيناء عبر قناة السويس تم مرورنا على أحد الكبارى التى كانت لاتزال قائمة والتى عبرت عليها قواتنا المسلحة المصرية وكان من أكبر الوقائع الموجودة فى شرق قناة السويس تأثيراً على نفسية الضيف مقابر الشهداء المصريين على أرض سيناء، حيث اظهر الضيف الخشوع والاحترام والتقدير للشهداء واضعاً يده على قلبه، فى الوقت الذى قمنا فيه أنا واللواء بقراءة الفاتحة على أرواح شهدائنا.

وكان لهذه الزيارة أثر كبير على نفسية الضيف لسبيين.

الأول: أن التحصينات العسكرية التى أقامتها إسرائيل على طول شرق القناة قد أدت إلى توقف الملاحه فى هذا المجرى المائى الدولى (قناة السويس) فى الفترة ما بين عامى (٦٧ حتى ١٩٧٣) فى الوقت الذى لم تغلق فيه القناة منذ إنشائها عام ١٨٦٩، برغم حدوث حربين عالميتين الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وحرب العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ إلا وقت سيطرة إسرائيل على الشاطئ الشرقى للقناة.

الثانى: أن انتصار القوات المصرية على الجيش الإسرائيلى، ليس فقط انتصاراً عسكرياً، وإنما انتصار معنوى أيضاً، أبطل أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى يوصف بالجيش الذى لا يقهر، وقد عبر الضيف عن هذا بنفسه، مؤكداً على هذا الانتصار العسكرى العظيم، والذى يجب أن يصوره هو بنفسه فى كل اتصالاته ولقاءاته فى أوروبا بعد عودته

وقد أسعدنى ذلك جداً، لأننى تأكدت من صحة اقتراحى وأهمية وخطورة الزيارة وتغيير الرحلة من الأقصر وأسوان إلى خط بارليف كى يدرك الضيف بنفسه عظمة الانتصار المصرى تطبيقاً لبدأ (فما رأى كمن سمع) ليس من رأى كمن سمع خاصة وأنه رجل عسكرى قبل كل شىء.

إن تجربة العمل فى بلجيكا قلب أوروبا الغربية ومقر للتجمع الأوروبى السياسى والاقتصادى ومقر حلف شمال الأطلنطى أثبتت لى أن إسرائيل فى وضعها فى قلب العالم العربى ما هى إلا مؤسسة عسكرية تخدم مصالح الغرب وأن النظرة الأوربية للعرب نظرة تحكمها التفوق والتعالى وأوروبا وأمريكا هم سادة العالم.

وأن العرب كانوا وما زالوا من البدو الرحل لا وزن لهم إلا أن الإسلام يمثل من وجهة نظر الأوروبيين خطورة على المجتمع الأوروبي كحضارة وتاريخ وعقيدة بالإضافة إلى أن هذه القوة الإسلامية وصلت في يوم من الأيام إلى غرب باريس وشرق فيينا، وهذا أمر لن ينساه الأوروبيون ولن يسمحوا بأن يتكرر ذلك مرة أخرى. كما أن هناك شعوراً قوياً بضرورة الانتقام لفشل الحروب الصليبية التي قامت بها أوروبا الموحدة وهزمت. والعودة مرة أخرى لأرض المسيح المقدسة في فلسطين وتخليص قبر المسيح من أيدي العرب البرابرة، وتلك النقطة ساعدت على تأكيدها إسرائيل حيث وصفت العرب بالوحشية وصورت الإسلام في كل العالم على أنه دين إرهابي لم ينتشر إلا بحد السيف وأن العرب جماعة يعبدون أحجاراً يلتفتون حولها ويبيكون عليها.

إن فترة العمل الدبلوماسي في بروكسل بلورت حقيقة الخاطر الصهيوني وارتباطه العضوى بالإمبريالية الغربية، وأساس هذه الفكرة أن أوروبا منذ أن أصبحت مسيحية كاثوليكية ومنذ فكرة تأسيس الأب الروحي (بابا الفاتيكان حالياً) لأوروبا بدأت العداوة التامة لليهود بصفتهم غير مؤمنين بالمسيح وموقفهم من المسيح في قصة صلبه في فلسطين ومن الحاكم الروماني وما جاء في الإنجيل عن اليهود وأن دم المسيح على كتفهم، لكن الصهيونية العالمية سعت إلى تحريف الأناجيل بما يخدم مصالحها لا سيما في مسألة صلب المسيح من خلال البروتستانتينية وأذكر أنه في عام ١٩٧٢ حصلت على إجازة من عملي ببليكا وتوجهت إلى إيطاليا في طريقي لمصر، والجميع يعرف أن إيطاليا تشتهر بكثرة معالمها السياحية التي تغرى السياح في أن يتجولوا في مدنها المختلفة للتمتع بكثرة الآثار التاريخية فضلاً عن الاستمتاع بالطبيعة الجميلة وبالمأكولات الإيطالية اللذيذة المشهورة.

وبإيطاليا مدينة بيزا الإيطالية لها شهرة عالمية لوجود برج نسب إلى المدينة واشتهر في العالم ببرج بيزا المائل وهو أحد عجائب الدنيا السبع التي لازالت موجودة. وعندما قمت بزيارة سياحية لمدينة بيزا هذه توجهت إلى مبنى البرج حيث وجدت أنه برج لكنيسة قديمة مقامة على البحر مباشرة.

وتقابلت مع راعى الكنيسة للتعارف والحديث معه وكان من بين ما سمعت منه : أن هذه الكنيسة بنيت فى بداية الألفية الثانية من التقويم الميلادى ، وأن هذه الكنيسة وهذا البرج قد أقيما تخليداً لإبحار جيوش أوروبا الموحدة والتي تجمعت فى ميناء بيزا لتستقل المراكب الحربية لتعبر البحر الأبيض المتوسط فى طريقها إلى فلسطين الأرض المقدسة فيما عرف فى التاريخ بالحروب الصليبية !

شكرت راعى الكنيسة لهذه المعلومات التى تحكى ذكريات حروب مضى عليها ما يقرب من ألف عام وعدت إلى الفندق حيث أخذت حقائبي وغادرت ميناء بيزا.

وهكذا يظل هذا البرج المائل ماثلاً أمام الجميع فى أوروبا وزوارها تخليداً لذكرى الحروب الصليبية التى قامت بها أوروبا ضد المسلمين فى فلسطين ، ولعمري لماذا لا نعلن دائماً عن قلعة صلاح الدين بالقاهرة كرمز لانتصار المسلمين على الفرنجة تأكيداً للأجيال المتعاقبة من المسلمين فى الدفاع عن أرض الإسلام وفى فلسطين خاصة بعد أن عادت الهجمة الصليبية تحت شعار نجمة داود بدلاً من الصليب وتم خلق دولة يهودية باسم إسرائيل ك رأس جسر لإمبريالية أوروبا وأمريكا.

وهذا يؤكد لى أنه من الضرورى إبراز الارتباط الفكرى والعضوى بين الحروب الصليبية المباشرة والهجمة الصهيونية التى تتخذ نجمة داود شعاراً بدلاً من الصليب.

هكذا كانت فترة عملى الدبلوماسى ببلجيكا من أكثر فترات حياتى الدبلوماسية ثراءً ، لا سيما فى التعرف على الملامح الصهيونية وارتباطها بالإمبريالية الغربية وتأثير ذلك على العالم العربى والإسلامى.

وأعتقد أنه إذا كانت قد أتيح لى العمل فى سفارات مصر فى الدول الأوروبية وعلى وجه الخصوص (بريطانيا وفرنسا ودولة الفاتيكان) وأيضاً لو كان أتيح لى العمل فى سفارتنا فى الولايات المتحدة الأمريكية لكان لكل هذا إضافة وإيضاح أكبر وأوسع وأشمل لمعرفة ارتباط الصهيونية بالإمبريالية الغربية.

وأعتقد عزيزى القارئ أنه ممكن لك هذه المعرفة إذا ما تم لك الاطلاع على
مؤلفات الزملاء الدبلوماسيين الذين خدموا فى سفارات مصر فى هذه الدول على
وجه الخصوص.

كما أنه من المثير والمفيد فى الوقت نفسه الاطلاع على مؤلفات وذكريات الزملاء
الدبلوماسيين الذين خدموا فى سفارة مصر فى إسرائيل أقصد الكيان الصهيونى قبل
توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩.

العمل الدبلوماسى فى بلد المليون شهيد

فى أواخر عام ١٩٧٤ أنهيت مهمتى فى بروكسل وعدت إلى الوزارة حيث التحقت بإدارة الشؤون الاقتصادية بسبب خبرتى بالعمل الاقتصادى التى اكتسبتها أثناء عملى ببلجيكا وتابعت قضية إسرائيل فى مجال اختصاص هذه الإدارة وكذا من خلال الوثائق والمستندات والتعليقات الصحفية، فضلاً عن اتصالى المستمر بإدارتى شئون فلسطين وشئون إسرائيل بالوزارة، وأذكر أنه من ضمن النشاط الاقتصادى لوزارة الخارجية اهتماماتها بتجمع إقليمى اسمه منظمة الدول الأمريكية (O.A.S). تضم دول أمريكا اللاتينية (الجنوبية) فيما عدا كوبا وعلى رأسها الولايات المتحدة وكندا (كعضو مراقب) وتمكنت إسرائيل من أن تكون هى الأخرى عضواً مراقباً، مما أدى إلى تفكير وزارة الخارجية أن تحصل مصر على صفة عضو مراقب بهذه المنظمة الإقليمية، فى عام ١٩٧٥ كان هناك اجتماع لوزراء اقتصاد هذه المنظمة بواشنطن، وقررت الحكومة المصرية التقدم بعضوية عضو مراقب وإيفاد وفد لحضور والاشتراك فى هذا المؤتمر، وكان المفروض ألا يقبل هذا الطلب إلا بتوضيح دور مصر الاقتصادى فى التعاون مع دول أمريكا اللاتينية (حيث كانت مصر تقدم منحاً وتستقبل متخصصين فى الشؤون الزراعية من هذه الدول)، وتم اختيارى بصفة عضو فى الإدارة الاقتصادية وزميلي المساوى لى فى الدرجة وكان أحد أعضاء وفد مصر لدى الأمم المتحدة فى نيويورك والمختص بشئون المجلس الاقتصادى ليشترك معى برئاسة سفير مصر بواشنطن فى الحضور فى هذا المؤتمر الذى بقيت بسببه فى واشنطن لمدة شهر ونصف.

فى هذا المؤتمر الذى عقد فى واشنطن والذى تم فيه بحث ودراسة طلب مصر بالانضمام للمنظمة بصفة مراقب لم يعلن قبول مصر إلا فى اجتماع لاحق لنفس المؤتمر الذى عقد فيما بعد بدولة سان دومينيك (إحدى دول أمريكا اللاتينية)، والذى حضره عضو السفارة المصرية فى واشنطن المتخصص فى شئون دول أمريكا

اللاتينية، وكان هذا نجاحًا للسياسة المصرية في تعقب النشاط الإسرائيلي أينما كان والذي ظهر لي مدى وجود الأخطبوط الصهيوني في هذه القارة الأمريكية شمالها وجنوبها واستعداد دولها لقبول النشاط اليهودي مما يؤكد الارتباط العضوي بين الجانبين.

وفي منتصف عام ١٩٧٦ انتقلت للعمل في سفارة مصر في الجزائر وكانت سعادتى شديدة بتواجدي في ذلك البلد العربي الشقيق رمز الكفاح ضد المحتل الفرنسي الذى يشبه الاحتلال والاستيطان اليهودى فى فلسطين والذاكرة تختزن ما حدث للمستوطنين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر العربية لمدة تقترب من ١٣٠ سنة يدعمهم احتلال فرنسى عسكري ديكتاتورى عنصري حاول فرنسة الجزائر لمدة تزيد على أكثر من قرن من الزمان وزعموا وأطلقوا على الجزائر أنها فرنسا وراء البحار، أو فرنسا المسلمة، أو فرنسا الأفريقية، وظل هذا الوضع إلى أن بدأ الجزائريون بتحرير وطنهم من الاحتلال الفرنسى ١٩٥٤، وهنا ثار التساؤل بالنسبة لأحقية المستوطنين الفرنسيين فى البقاء على أرض الجزائر العربية المسلمة المستقلة عام ١٩٦٢ وكان الحل من جانب الثوار الجزائريين ليس فقط قبول بقائهم بل والاعتراف بالمستوطنين الفرنسيين كجزء من شعب ومواطنى جمهورية الجزائر المستقلة لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات كالمواطنين الجزائريين الأصليين أهل البلد دون ما تفرقة بين جنس أو دين أو لون وهكذا أعيدت إلى خريطة العالم جمهورية الجزائر المستقلة، وذلك إجابة على سؤال فى حالة استقلال الجزائر، أين يذهب المستوطنون الفرنسيون؟.

تجربة الجزائر هذه أوجدت لي ما كان يدور فى عقلى وفكرى مقارنة بفلسطين التى أعلنت فيها دولة إسرائيل من المهاجرين اليهود الإشكنازى والسفاردى واستوطنوا تحت علم دولة إسرائيل الأراضى الفلسطينية بعد عام ١٩٤٨ بقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة، الأمر الذى أدى بأجيال من اليهود الذين ولدوا فى إسرائيل ويطلق عليهم اليهود (الصابرا) ومدى أحقية وجودهم فى فلسطين

فى المستقبل بعد تحريرها طال الزمن أم قصر الذى يمكن أن تؤدى فيه الظروف الدولية فى وجود دولة فلسطين العربية الديمقراطية وعاصمتها القدس يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود كأصحاب ديانات سماوية تضمهم أرض فلسطين العربية التاريخية.

وليس هذا الأمر بغريب أو مستبعد فالتاريخ يذكرنا بتجربة أعمق هى تجربة الحروب الصليبية التى احتلت فيها قوات أوروبا الموحدة تحت شعار الصليب وبحجة حماية قبر المسيح من العرب البرابرة واحتلت فلسطين وأنشأت ممالك تعرف بدولة الفرنجة ما يقرب من مائتى عام بعدها خرجوا مهزومين بعد سلسلة من الحروب والمنازعات أعادت للعرب فلسطين وعاصمتها القدس التى عاشت فيها سلالة أوروبية من بقايا الاحتلال والحروب الصليبية وتم الاحتفاظ بكافة المقدسات الإسلامية والمسيحية بمختلف طوائفها.

وهناك مثل آخر تحتزنه الذاكرة عن كفاح المواطنين الإفريقيين فى جنوب أفريقيا التى كان يحكمها الرجل الأبيض العنصرى لعدة قرون ويتحكم المستوطنون البيض فى الأغلبية من المواطنين الزنوج وتحفظ الذاكرة بأن زعماء الأغلبية الإفريقية وعلى رأسهم منديلا نادوا وكافحوا من أجل نظام ديمقراطى فى جنوب إفريقيا يتساوى فيه المواطنون الإفريقيون مع المستوطنين الأوروبيين واستمر بقاء البيض كمواطنين ، وتم إعلان جمهورية جنوب إفريقيا المستقلة يعيش فيها المستوطنون مع المواطنين تحت حكومة الأغلبية الزنجية أصحاب البلد.

إن سنة الله فى الأرض تؤكد أن اليوم آت لا ريب فيه حين يعود الحق للمواطنين الفلسطينيين ويومئذ فإن مشكلة المستوطنين اليهود يمكن أن تستوعبها دولة فلسطين العربية الديمقراطية عاصمتها القدس ويتعايش فيها كما كانت دائما المسلمون والمسيحيون واليهود ويسود السلام أرض السلام على الأرض العربية ويؤكد لى ذلك السابقة التاريخية عن الجزائر وتاريخها مع الاحتلال الفرنسى الذى بدأ عام ١٨٣٠ وممارسة الرجل الأبيض الفرنسى كل فنون وأساليب الإبادة الجماعية

للشعب الجزائري تماماً كما نراه الآن في فلسطين مما أدى إلى هروب الجزائريين من أراضيهم الساحلية الجميلة ليحتموا بسلسلة جبال أطلس بالجنوب، ويقاوموا مع مرور الأعوام ما قام به الغزاة الفرنسيون من احتلال الأرض الجزائرية الطاهرة، وإبادة وتهجير الشعب الجزائري، وطمس هوية الجزائريين الذين نجوا من هذه الحرب حيث فرضوا على بقية الجزائريين هجر اللغة العربية، وفرنسة اللسان الجزائري ومنع الشعائر والعبادات الإسلامية إلى حد أن جعلوا الإجازة الأسبوعية الأحد وليس الجمعة ولقد وصل الأمر بهؤلاء الفرنسيين المحتلين المستوطنين أن استوردوا جماعات من الأوروبيين البيض الفقراء نسبياً من أسبانيا والبرتغال ليقوموا بالأعمال التي يأنف منها الفرنسيون وأطلقوا عليهم (أصحاب الأرجل السوداء)، وإمعاناً في طمس هوية الجزائر المسلمة، فقد اشتمل معظم هؤلاء في زراعة أرض الجزائر المغتصبة خاصة بالكروم ليصنع منه النبيذ الفرنسي ذائع الصيت بين محتسى الخمر في العالم أجمع.

والغريب في الموضوع أن فرنسا كانت تحتل جزءاً هاماً من شمال إفريقيا امتداداً من حدود ليبيا إلى المحيط الأطلسي ويشمل دولة تونس والجزائر والمغرب وكذا وسط إفريقيا شمال الصحراء الكبرى فيما عرف بالدول الإفريقية الفرنكوفونية ولكنها اختصت الجزائر بنوع من التفضيل والتكريم! لتكون جزءاً أفريقيا من فرنسا العظمى.

ولكن شعب الجزائر تحت راية الإسلام والعروبة استطاع بعد سنين طويلة من الكفاح بلغت ١٣٠ عاماً والألوف المؤلفة (بلد المليون شهيد) من الشهداء أن ينال استقلاله وسيادته على ترابه الوطني وأن تكون الجزائر دولة للشعب العربي المسلم وأبدع ما في سنوات الكفاح الطويلة أمران مارسهما الشعب الجزائري أولهما: ممارسة حرب التحرير على الأرض والجلوس مع الفرنسيين على مائدة المفاوضات.. والأمر الثاني: هو ترحيب المسؤولين عن تحرير الجزائر بالإبقاء على الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين المستوطنين كمواطنين جزائريين تحت علم الجزائر المستقلة

المسلمة العربية الإفريقية كما ذكرنا من قبل، وهم بهذا الترحيب كانوا فى منتهى الذكاء والحكمة للرد على التساؤل الذى أثير فى المفاوضات أين يذهب الفرنسيون المستوطنون إذا ما حصلت الجزائر على استقلالها؟؟

والمقترح للاستعمار الصهيونى لفلسطين يمكنه أن يكتشف وجوه الشبه بين ما تعرض له الجزائريون وما يتعرض له الفلسطينيون، وليس هناك شك لحظة واحدة فى أن الفلسطينيين سيحصلون هم الآخرون على استقلالهم، وسيادتهم على تراب وطنهم، مهما طال الأمد، ومهما كانت الصورة الحالية قاتمة، مليئة بقوة وغطرسة الصهاينة ومن ورائهم أمريكا والغرب.

كل هذه الذكريات طافت بذهنى لأننى أعتقد أن الجزائريين هم الأقرب للفلسطينيين بحكم تماثل المحنة التى مر بها الشعب الجزائرى والتى يمر بها الشعب الفلسطينى وأن النهاية ستكون كما حدث فى الجزائر بعد ١٣٠ عاماً من الاحتلال الفرنسى أو ما سبق فى فلسطين نفسها بعد ٢٠٠ سنة من الاحتلال الصليبي لفلسطين مع دعائى إلى الله ألا تطول المدة إلى هذا الحد.

وقد لاحظت منذ وصولى إلى العاصمة الجزائرية أن على مسرح الأحداث السياسية لم يكن هناك أى حوار أو اهتمام بإسرائيل والقضية الفلسطينية، كل ما يشغلهم مشاكلهم الداخلية: اللغة وهى مشكلة التعريب والعمل والبناء الداخلى، فقد كان الجزائريون مشغولين بقضاياهم الداخلية.

لم يمهلنى القدر الاستمتاع بالعمل الدبلوماسى فى الجزائر الشقيقة، حيث حدث فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ هزة عنيفة عندما أعلن السادات أمام مجلس الشعب بأنه على استعداد للذهاب إلى آخر العالم من أجل الحفاظ على دم كل عسكرى مصرى، بل إنه على استعداد للذهاب إلى الكنيست الإسرائيلى نفسه من أجل هذا الهدف.

ومما زاد الأمر إثارة أن وجهت إسرائيل الدعوة للسادات كى يزور القدس ويقبل خطاباً داخل الكنيست الإسرائيلى وسط زهول من العالم والبعثات الدبلوماسية الأجنبية الموجودة فى الجزائر، الأمر الذى تحقق فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، الموافق

١٠ ذى الحجة ١٣٩٧ (عيد الأضحى المبارك)، ولا شك أن خطاب السادات أمام الكنيست احتوى على نقاط عدة وموضوعات مختلفة تخص الصراع العربي الإسرائيلي لكنى أرى أن من أهم هذه النقاط التي ترتبط بموضوع كتابى ما يلى:
إننى لم أجد أى إجماع على عقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل.
فلو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم الذى يلح العالم كله اليوم عليه.

إننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل، ولا نريد أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية، إن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم، وتحملت القوتان العظميان مسؤولية أمنها وحماية وجودها.
إن القرب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام.. ولا يملك أى منا، ولا يقبل، أن يتنازل عن شبر واحد منه أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

هناك أرض عربية احتلتها - ولا تزال تحتلها - إسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية..
القدس التى حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام.. والتى كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحى للتعاضد بين المؤمنين بالديانات الثلاثة.
إن الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل اليوم فى العالم كله شعارات رفعت هنا فى إسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب؟
إن قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد.

إنها واقع استقبله المجتمع الدولى، غرباً وشرقاً، بالتأييد والمساندة والاعتراف فى موثيق دولية، وبيانات رسمية لن يجدى أحد أن يصم آذانه

عن دويها المسموع ليل نهار أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، حليفكم الأول التي تحمل قمة الالتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها والتي قدمت - وتقدم إلى إسرائيل - كل عون معنوي ومادى وعسكرى.

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعاً أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن.

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقاً مشروعة وأن المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليلبغ أبعاداً جديدة، وبكل الصدق أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين وإنه لخطأ جسيم لا يعلم مداه أحد أن نغض عن تلك القضية أو أن ننحيا جانباً.

ولن استطرد فى سرد أحداث الماضى منذ صدور وعد بلفور لستين عاماً خلت، فأنتم على بينة من الحقائق جيداً وإذا كنتم قد وجدتم البرر القانونى والأخلاقى لإقامة وطن قومى على أرض لم تكن كلها ملكاً لكم. فأولى بكم أن تتفهموا إصرار (الشعب) شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد فى وطنه وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإن معناه فى الواقع وحقيقة الأمر مطالبة لهم بالتخلى عن هويتهم، وعن كل أمل لهم فى المستقبل ولذلك، فإننى أقول لكم أيها السيدات والسادة: إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى إقامة دولته وفى العودة.

أعود لأقول: إننى كنت فى زمن هذا الخطاب فى مهمة غير رسمية لتونس، وعدت على الفور إلى الجزائر، وتوقفت عن ممارسة الواجبات الاجتماعية الدبلوماسية خشية السؤال عن تفسير ما قام به السادات، وأنا لا أملك أى تفسير، وخشيت من الحرج إذ إننى كنت لا أترك فرصة ولا مجالاً إلا وأبرز فيها خطورة

إسرائيل، الأغرب من ذلك أن وزارة الخارجية المصرية نفسها لم تقدم لنا أى تفسير أو تنويه عن هذه الزيارة، وفكرت وقتها فى الاستقالة من العمل الدبلوماسى، لأنى قد اعتبرت هذه الخطوة اعترافاً بالوجود الإسرائيلى على أرض فلسطين، وهذا أمر لا أؤمن به إطلاقاً من واقع إيمانى كمسلم، لكن أولادى وزوجتى حذرونى من هذه الخطوة، فلم أملك إلا أن أهمس لنفسى بنيرة حزينة (كم أذل الحرص أعناق الرجال)!!

وهنا لا بد أن أسجل ما آمنت به منذ سماع هذا الخطاب، لقد كان هذا الخطاب طلباً للسلام مع دولة معتدية لم تطلب هى السلام بل كانت ولا زالت حتى كتابة هذه السطور دولة معتدية تقتل وتدمر، تحتل أرض الفلسطينيين وأرض سوريا، ولعل هذا يرد على أبواق الدعاية التى قام بها البعض من لوى ذراع النص القرآنى فى (سورة الأنفال): ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١)

التزمت الصمت حتى أنقذتني الأحداث المتوالية بسرعة عجيبة، حيث شاركت الجزائر بقيادة (يو مدين) كلاً من سوريا واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية وبرزامة العراق فى جبهة الصمود والتصدى الراضة لرحلة السادات إلى القدس والسلام مع إسرائيل التى اجتمعت فى بغداد متهمة السادات بالخيانة.

الأمر الذى دفع السادات إلى سحب سفرائه للتشاور، فردت جبهة الصمود بتجميد العلاقات الدبلوماسية مع مصر، فأعلن السادات قطع العلاقات مع هذه الدول وضرورة عودة أعضاء السفارات إلى مصر خلال ثلاثة أيام وأرسلت الحكومة إلينا طائرة خاصة لتحمل الأعضاء، وتركت السفارة بالجزائر حاوية على عروشها ليس بها إلا حارس إدارى لحماية الممتلكات المصرية بالسفارة.

ولقد تعجبت كثيراً من موقف الجزائر حكومة وشعباً والذى لم أكن انتظره ضد مصر، لا سيما بعد التأييد المصرى والدور الكبير الذى قدمته فى ثورة الجزائر والذى أعلمه جيداً منذ فترة عملى الدبلوماسى فى ليبيا خاصة أن تركيز الاهتمام

الجزائري على العالم العربي كان مركزاً على دول المغرب العربي ، أما فيما يخص دول المشرق العربي فلم يكن عليها اهتمام كبير ولذلك أعتقد أن موقف الجزائر كان نتيجة الشعور بالصدمة أن يتخذ رئيس مصر قرار زيارة إسرائيل دون استشارة زملائه زعماء الدول العربية حيث إن تداعى هذه الزيارة سيؤدى إلى الوقوع فى براثن الصهيونية والإمبريالية دون اتخاذ احتياطات تقلل إن لم تمنع هذه الخطورة ، وهذا أمر أعتقد أن الرئيس الجزائرى بومدين . (أحد أبطال حرب تحرير الجزائر) لم يوافق عليه وجاهر بهذا الرفض علانية حتى ولو كان يتعلق بمصر التى أدت دورها فى حرب الجزائر ضد فرنسا.

دبلوماسية غير عادية فى بلاد خليجية

عدت إلى القاهرة فى جو توتر العلاقات مع الدول العربية، نتيجة رحلة السادات والتى وصلت إلى درجة قطع العلاقات مع دول جبهة الصمود والتصدى بزعامه العراق وعضوية الجزائر واليمن وفلسطين، ثم نقلت للعمل بسفارة مصر بالكويت كقائم بالأعمال بالنيابة بهدف متابعة تطورات العالم العربى وطلب العراق التى تزعمت دول الصمود والتصدى بعقد مؤتمر بغداد يحضره جميع ملوك ورؤساء الدول العربية لاتخاذ موقف جماعى ضد مصر والسادات، لكن كل هذه الدعاوى لقطع العلاقات لم تمنع السادات من الاستمرار فيما عزم عليه من إقامة سلام مع إسرائيل على رغم العروض المادية العربية لتعويض خسائر مصر فى الحروب مع إسرائيل. فى هذه الأثناء استدعتنى وزارة الخارجية الكويتية ممثلة فى مدير الإدارة القانونية للاستفسار عن الوضع الدبلوماسى فى حالة اتخاذ قرار نهائى بقطع العلاقات مع مصر. متسائلاً عن الإجراءات والتدابير الدبلوماسية التى تتخذ فى هذه الحالة حيث لم يسبق للكويت أن قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع دولة ما. فأخبرته أنه بالنظر إلى أن مصر والكويت دولتان عربيتان شقيقتان وأن قرار قطع العلاقات، قرار استثنائى أتمنى ألا يتم، إلا أنه لابد وأن تتخذ بعض الإجراءات الدبلوماسية فى حالة القطع هى:

- ١ - نزول العلم المصرى من على سفارة مصر بالكويت ورفع علم دولة أخرى راعية تختارها الحكومة المصرية ويتم نفس الإجراءات بالنسبة للسفارة الكويتية فى مصر.
- ٢ - عودة السفراء كل إلى بلده ويتم تخفيض التمثيل الدبلوماسى بينهما إلى مستوى بعثة رعاية المصالح ويرأسها دبلوماسى مصرى تحت غطاء سفير الدولة الراعية.
- ٣ - انحصار العلاقات بين بعثة رعاية المصالح والدولة فى إطار الوزارات الفنية كالتعليم والصحة والعدل والثقافة استمراراً للعلاقات بين الشعبين وتنقطع

الاتصالات المباشرة مع رئيس الدولة ووزير خارجيتها كل دولة حيث يقوم بهذه الاتصالات سفير الدولة الراحية في حالة هذه الاتصالات. وهكذا لم تكن هناك مشاكل دبلوماسية بعد أن قرر مؤتمر ملوك ورؤساء العرب في بغداد عام ١٩٧٩ قطع العلاقات مع مصر. ولم يكن قطع العلاقات مع كل الدول العربية حيث رفضت كل من السودان وسلطنة عمان والصومال تنفيذ هذا القرار.

وضمن سلسلة الأحداث المفاجئة العامة والخاصة والتي أدت إلى انتقالى من الجزائر إلى الكويت فتكرر نقلى من الكويت إلى الدوحة حيث أتولى رئاسة بعثة رعاية المصالح المصرية بالدوحة عاصمة قطر تحت علم السودان.

وفور وصولى إلى الدوحة عاصمة دولة قطر بعثت وزارة الخارجية القطرية بمذكرة رسمية رقم ٢٦٦٣ بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٩٧٩ تفيد بقطع العلاقات - مع مصر - وتسجيلاً للتاريخ أضع فى كتابى هذا صورة طبق الأصل من هذه المذكرة والخطاب الصادر من رئيس دولة قطر والذي يتحدث عن هذا الحدث.

وهنا لا بد أن أسجل شعورى الشخصى بأن إسرائيل هى السبب، فلقد تمكنت من أن ترغم أكبر دولة عربية وهى مصر من أن تقيم معها سلاماً وعلاقات دبلوماسية كاملة أدت إلى أن غالبية الدول العربية تقطع علاقاتها مع مصر. وأن ينخفض مستوى التمثيل الدبلوماسى إلى مستوى بعثات رعاية المصالح تحت أعلام دول أخرى وصلت إلى أن تضطر الدول العربية الاحتماء لأعلام الدول الغربية الأوروبية، وقد حدث فعلاً بالنسبة لدولة قطر التى رفعت بعثة رعاية مصالحها علم فرنسا فى قلب سماء القاهرة التى كان قد ارتفع معها لأول مرة فى التاريخ علم إسرائيل بشعار نجمة داود، وإن كانت بعثة رعاية مصالح مصر فى قطر قد رفعت علم السودان التى لم تقطع علاقتها مع مصر وكان هذا بالنسبة لى راحة نفسية.

بدأت العمل فى بعثة رعاية مصالح مصر فى الدوحة وأنا أشعر بخطورة إسرائيل التى استطاعت أن تهزم قضية القومية العربية إلى حد انتقال مقر الجامعة العربية

إلى تونس وتغيير أمينها العام، وبذلك فقدت مصر أمانة الجماعة ومقرها الدائم بالقاهرة بالرغم من أن هذين الأمرين هما ركيزة لوجود جامعة الدول العربية، وهذا مخالف لما جرى عليه العرف ومن ناحية أخرى لمست عن قرب التغيير الجوهرى لإحساس الجاليات المصرية فى قطر وبقية الدول العربية التى اهتزت الأرض من تحت قدميها بقطع العلاقات العربية مع مصر ووجهوا اتهاماً إلى مصر لأنها خانت القضية العربية باعترافها بوجود دولة إسرائيل وإقامة العلاقات الكاملة معها، وهكذا كان حال الجاليات المصرية المهتدة فى أرزاقهم وأموالهم فى بلد قطعت علاقاتها مع وطنهم الأصلي وكان عليهم الصمت لأنهم بين أمرين أحلاهما مُر، هل يعودون لبلدهم ويفقدون عملهم أو يستمرون فى هذا العمل فى دولة قطعت علاقاتها مع وطنهم وتوجه وسائل إعلامها مهاجمة رئيس مصر وسياسته رداً على وسائل إعلام القاهرة التى فى الوقت نفسه تهاجم بشدة الأنظمة العربية.

وكان الأمر أكثر خطراً بالنسبة لموقف المصريين العاملين بصحافة وإذاعة قطر فكانوا مكلفين بكتابة وإذاعة ما تملئهم عليهم حكومة قطر من هجوم على رئيس مصر واتهامه بالخيانة، وكان ذلك موقفاً شديد الخطورة والحرج للعاملين المصريين فى هذا المجال.

وهكذا كان حال الجالية المصرية العاملة فى البلاد العربية ومصدر ذلك كله هو وجود دولة إسرائيل وبداية تغلغلها، وبالنسبة لى كرئيس رعاية مصالح مصر فقد تعرضت إلى كثير من الحرج لموقف السفارات العربية الأخرى فى العاصمة الدوحة التى قاطع سفراؤها وتحاشوننى فى الحفلات العامة الأمر الذى أدى إلى مقاطعتى لأى تجمع عام، وأصبحت غريباً فى الوسط الدبلوماسى كل ذلك بسبب إسرائيل، فأنا مصرى عربى مسلم دبلوماسى أصبحت معزولاً فى عاصمة عربية مسلمة.

ولا يفوتنى هنا أن أذكر ضمن هذه الذكريات الدبلوماسية موقف السفير الأمريكى لدى قطر (أندرو كيلجور)، والذى كان يتعرض لنفس الإحساس بالعزلة التى كنت أشعر بها آنذاك، ولم يكن سبب هذا الشعور لدى السفير الأمريكى هو العلاقة مع إسرائيل، وإنما كان بسبب ثورة الخمينى الإسلامية واستيلائها على الحكم

فى دولة إيران، والتى تقع على الضفة الشرقىة من الخلىج العربى وبمقابلها فى الضفة الغربىة للخلىج قطر والكوىة والسعودىة والبحرىن والإمارات، ونتىجة هذه الأحداث خضع السفىر الأمريكى للحراسة التى أقامتها السلطات القطرىة بوضع مقر البعثة وسكن رثىس البعثة تحت حراسة قوات الأمن خوفاً من أى تعرض، وكنت أقول لسفىر أمريكا كلانا فى قارب واحد (we are in the same boat) وأدى تماثل الموقفىن لكلانا إلى تحجىم نشاطنا الدبلىماسى وأتاح لنا زىادة لقاءاتنا غير الرسمىة مما أتاح مساحة كبرىة من الحوار والنقاش فى أمور لا تسمح لنا بها المواقف الرسمىة وانتهزت الفرصة وسألته عن رأيه كمواطن أمريكى فى موقف بلاده الداعم لإسرائىل وإلى متى ستظل هذه العلاقة الخاصة بىن أمريكا وإسرائىل وتساءلت عن موقف السفراء والدبلىماسىىن الأمريكىىن الذىن يعملون فى الدول العربىة والإسلامىة وتتكون لدىهم قناعة بضرورة تعفىر تأىىد أمريكا المطلق لإسرائىل وقد يكون فى رأى هؤلاء الدبلىماسىىن اقتناع أن هذه السىاسة لىست فى صالح أمريكا فى المدى البعىد فأجاب السفىر الأمريكى، أنه لىس هناك وسىلة فالضغظ اللوبى الصهوىنى على استمرار تأىىد أمريكا لإسرائىل قوى جداً وفى الظروف الحالىة لا تأثرىر للتعىر وقد يأتى الیوم فمن المؤكد فى رأيه أن الاتجاهات العامة لى السفراء والدبلىماسىىن الأمريكىىن الذىن عملوا ولازالوا يعملون فى الدول العربىة والإسلامىة لىدهم اقتناع داخلى غير معلن بأن الموقف الأمريكى حىال الدول العربىة والإسلامىة غیر مناسب لصالح أمريكا وأشاد إلى نقطة مهمة أن الأمر لا یتوقف على أمريكا فقط فهناك أوروبا وموقفها فى تأىىد خلق دولة للیهود أقدم وأعمق، ولابد أن یتم التعىر أیضا من أوروبا خاصة برىطانىا وفى رد السفىر الأمريكى على محاولتى فى نقاش معه أن أصل به إلى الاعتراف بأن إسرائىل ما خلقت إلا لمصالح أوروبىة أمريكىة ضد العرب والمسلمىن على رغم ظاهر الدعاوى بأنها أى (إسرائىل) خلقت لمنع الاضطهاد الیهودى؟! إلا أن السفىر الأمريكى لم یعترف بذلك بقوله لا اعتقد؟ فلم أناقشه بأن هذا حقه.

وللقارئ العزىز أن یعود إلى موضوع رسالة الدبلىماسىىن البرىطانىىن والأمرىكىىن بكتابى هذا.

والأمانة تقتضى أن أبرز في كتابي هذا قصة ذلك الرجل الذى كان له دور واضح فى استقرار كيان الجالية المصرية المضطرب فى قطر آنذاك، هو الدكتور حسن كامل رحمة الله عليه والذى كان دبلوماسياً بوزارة الخارجية المصرية وأسقط اسمه من قائمة ضم الدبلوماسيين المصريين والسوريين بقرار جمهورى من رئيس الجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة. حيث حدثت الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ انتهزت حكومة النظام المصرى بالاستغناء عن بعض العناصر الدبلوماسية المصرية غير المرغوب فيها من وجهة نظر النظام، فى الوقت الذى كان فيه الدكتور حسن كامل من أوائل الجيل الدبلوماسى المصرى الذى حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون الفرنسية فى العلوم السياسية فى نهاية الخمسينات عن حق تقرير المصير للشعوب لقد اضطر الرجل بعد هذا الموقف الغريب من الحكومة المصرية أن يعمل بالحكومة القطرية منذ ١٩٥٩ وعين بعد ذلك مديراً لمكتب أمير دولة قطر بعد استقلالها عام ١٩٧٢.

وبسبب وطنيته بلده مصر أقام معى اتصالات على المستوى الشخصى على رغم كونى غير مؤهل كرئيس لبعثة رعاية المصالح للاتصال لا بالأمير ولا بديوان الأمير بمن فيهم مدير المكتب نتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية وكان لهذه العلاقة آثارها فى ناحيتين، الأول اطمئنان الجالية المصرية التى شعرت أننى على اتصال بالأمير من خلال مدير مكتبه، الأمر الثانى احتجاج علنى من سفراء الدول العربية فى قطر لاسيما سفراء دول جبهة الصمود والتصدى.

ولقد استثمرت علاقتى مع هذا الرجل الوطنى فى أمر كان سيؤدى إلى عواقب وضجة عندما تناول السادات فى إحدى خطبه التى كان يهاجم ويرد فيها على الدول العربية لموقفها منه، أنه ذكر قطر وأميرها قائلاً: «الأمير بتاع قطر» مما اعتبره الأمير نوعاً من السخرية به وبدولته، وكان من لباقتى أن طلبت من الدكتور حسن كامل أن يشرح للأمير أن كلمة (بتاع) هى كلمة شعبية مصرية تعنى باللغة العربية الملكية، وهذا تعبير شائع ومعروف حتى أوساط الأسر المصرية عندما

يختلف المصريون بمن فيهم الأطفال حول ملكية شىء كل يقول هذا الشىء بتاعى (أى ملكى)، لذا فإنها تعنى الملكية ولذا فإن الأمير بتاع قطر أى مالك أو صاحب قطر، وأبلغنى الدكتور حسن كامل بارتياح الأمير وسروره لسماعه هذا التفسير. لهذا الحد من الحساسية والشك والترقب والترصيص كانت علاقات مصر مع بقية الدول العربية، مما يدل على عمق الأثر الذى أحدثه خلق دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى بما فيها فلسطين هذا وامتد الأمر أن حاولت جبهة الصمود والتصدى بزعامة العراق إبعاد مصر عن كافة المحافل الدولية والإقليمية، بل وصل الأمر إلى أن مبنى بعثة رعاية المصالح المصرية بقطر وسكن رئيس البعثة كان محاطاً بقوات من الجيش القطرى لحمايتها من غضب الشعور المضاد لمصر وشعبها ورئيسها، لاسيما الجالية الفلسطينية بقطر، لدرجة جعلت حرس القسم القنصلى يقوم بتفتيش القادمين خوفاً من أى عمل تفجيرى.

انتهى عملى الدبلوماسى بقطر فى نوفمبر ١٩٨٠، بذلك أكون قد أمضيت أربعة أعوام متصلة (٧٦ - ٨٠) فى ثلاث دول عربية هى بالترتيب: الجزائر - الكويت - قطر وقد كان بقائى فى هذه الدول أو رحيلى عنها نتيجة الأحداث التى كانت على المسرح السياسى منذ أن أعلن السادات استعداده للذهاب إلى إسرائيل مروراً بخطابه أمام الكنيست الإسرائيلى وانتهاءً بعقد اتفاقية ومعاهدة السلام كامب ديفيد عام ١٩٧٩ التى كانت بتوجه وضغط أمريكا برئاسة كارتر (المسيحى الأصولى) الذى وضح دوره الهام فى هذه الاتفاقية كما يظهر من كتابه الذى ألفه تعليقاً على هذه الاتفاقية تحت عنوان فلسطين سلام.. لا تمييز عنصرى.

كما مارس الضغط على مصر بصفتها أكبر دولة عربية للاعتراف بحق وجود دولة لليهود فى فلسطين باسم إسرائيل التى أدت إلى فتنة كبرى بين الدول العربية ومصر ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الأنفال).

كما أن الأمر أدى إلى رفع العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة ونزول الأعلام العربية لأول مرة، وانتقال مقر جامعة الدول العربية إلى تونس، بالرغم من أن ميثاق الجامعة العربية يؤكد على أن المقر الدائم هو القاهرة وتولى لأول مرة منذ إنشائها منصب الأمين العام شخصية غير مصرية.

والقارئ العزيز يستطيع أن يقرأ اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في الكتاب الأبيض الذى أصدرته وزارة الخارجية فى هذا الشأن فليس من أهداف كتابى هذا تقديم الاتفاقية للقارئ.

فى طريق عودتى إلى القاهرة قمت بأداء العمرة واستلمت العمل بالوزارة نائباً لمدير الإدارة العربية التى كانت مشغولة ومهتمة بنتائج قطع العلاقات مع الدول العربية ومحاولة عزل مصر عن بعض المنظمات الدولية والإقليمية مثل اليونسكو وجامعة الدول العربية والمؤتمر الإسلامى بحجة أن مصر خانت القضية العربية.

ثم اختارنى وزير الخارجية مستشاراً سياسياً لوزير الإعلام لتهدئة المواقف الإعلامية المتبادلة بين العرب ومصر وللحق أذكر أن الفضل فى هذه السياسة لوزير الخارجية كمال حسن على أحد أبطال حرب أكتوبر ومدير المخابرات ووزير الدفاع ثم رئيس الحكومة فيما بعد حيث كان هذا الرجل شخصية هادئة حريصا على عدم تدهور العلاقات بين مصر والدول العربية.

كان من أهم وأطرف التجارب التى خضتها أثناء عملى مستشارا سياسيا لوزير الإعلام اختيارى عضواً لوفد مصر فى الدورة الاستثنائية الرابعة للمؤتمر العام لهيئة اليونسكو فى باريس عام ١٩٨٢، واليونسكو هيئة تابعة للأمم المتحدة ومسئولة عن (العلوم - والثقافة - والتربية) كأشطة إنسانية، وفى عام ١٩٨٢ تم عقد هذه الدورة الاستثنائية بباريس (المقر الرئيسى) لليونسكو لمناقشة إضافة (الاتصالات) كى تكون ضمن أنشطة منظمة اليونسكو، وقد شاءت إرادة الله أن يختارنى وزير الإعلام ضمن الوفد كى أكون ممثلا وزارة الإعلام مع مشاركة لأعضاء الجهاز التابع لوزارة التعليم العالى والمختص بأنشطة مصر فى منظمة اليونسكو، وقد ألقيت خطابا باسم

وزير الإعلام أكدت فيه خطورة دور الاتصالات (communication) فى العلاقات الإنسانية بين الدول، وتقرر فى نهاية الدورة إضافة الاتصالات كى تكون ضمن أنشطة اليونسكو دون أن يتغير مسمى هذه المنظمة (اليونسكو) (unesco) والتي ترمز بحروفها:

UN United Nations
E Education
S Science
C Culture
O Organization

وهكذا انحصر اهتمامى فى محاولة رآب الصدع قدر الإمكان بين مصر والعرب بصفتى عضوا من الخارجية ومنتدباً فى مكتب وزير الإعلام وظل هذا العمل ثلاث سنوات حتى عام ٨٣ وفى هذه الفترة حدث أمر شديد الخطورة وهو اغتيال الرئيس السادات مما كان صدمة شديدة الخطورة والمباغطة للعالم كله وقد تم اختيارى مع عدد من السفراء لتكون فى استقبال رؤساء الوفود الذين حضروا الجنازة.

وكان للسادات هالة كبيرة فى العالم كله تصوره أنه صانع السلام بين مصر وإسرائيل وما كان يحظى رئيس مصر بهذا الاهتمام العالمى فى جنازته وتوديعه إلا لهذا السلام الموهوم بين مصر وإسرائيل وأرى أن حضور هؤلاء الرؤساء والوفود لتوديع السادات كان نتيجة حتمية لما قام به من مباحثات ومعاهدات منحت إسرائيل حق الوجود الأبدى. ولو أن السادات قتل قبل زيارته للكنيست أو معاهدة كامب ديفيد ما كان يحظى بهذا التواجد العالمى فى جنازته وبعد اغتياله فى ذكرى نصر مصر بحرب أكتوبر ٧٣ وكان السادات بطل هذه الحرب.

ومما أكد لى أن المشاركة الدولية لجنازة السادات كان نابعاً من المعاهدات التى عقدها مع إسرائيل حضور وفد من إسرائيل على رأسه مناحم بيجن إذ إن هناك سؤالاً كان يدور فى ذهن الجميع وعلى رأسهم الإسرائيليون هل مقتل السادات ينهى السلام مع إسرائيل؟ هل مقتل السادات يزيل الاعتراف بالوجود الإسرائيلى؟ هل مقتل السادات نابع من معارضة مصرية للسلام مع إسرائيل؟ وعلى رغم أنى ضد مبدأ القتل بصفة عامة واستخدامه وسيلة لانتقام أو لتغيير الأوضاع، لكن كان

دائماً يدور فى ذهنى سؤال هل مقتل السادات عقاب من الله لما فعله من سلام مع اليهود؟

وهل تفسير السادات ووسائل الإعلام للآية القرآنية ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهُمُ اتَّوَكُّلًا عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال).

كان تأويلاً شخصياً لعنى النص القرآنى فمن الذى جنح للسلام هم أو نحن؟ كلها أسئلة أبحث لها عن إجابة منذ أكثر من ربع قرن.

جاء اختصاصى بأن أرافق رئيس برلمان (سريلانكا) الذى شارك فى الجنازة بصفته الشخص الثانى بعد رئيس جمهورية هذه الدولة الذى أبدى عزاء دولته مع التعبير عن شعوره بالحزن لهذا الحادث الخطير، كما أبدى أيضاً أسفه لان تكون زيارته إلى مصر التى كان يأمل فيها منذ زمن بعيد تقترن بهذه المناسبة الحزينة. ولست فى هذه الذكريات أسجل وقائع جنازة الرئيس الراحل السادات ولكنى أبرز أن الضيف وكان مسلماً فاجأنى بعد انتهاء مراسم الجنازة بأنه يتمنى أن يصى فى الجامع الأزهر الشريف فلم اجرؤ على الرفض، أو أشعره بأنه يلزم لذلك أخذ موافقة سلطات الأمن فى هذه الظروف التى تمر بها مصر، ولكنى ابتسمت وقلت له: إن شاء الله.

وطببعى كان من واجبى أن أبلغ هذه الرغبة لفريق الحراسة المخصص للضيف فقوجئت بأن تعليمات الأمن العليا تتضمن عدم تحرك أى ضيف من الضيوف من مقر الإقامة بعد انتهاء مراسم الجنازة إلا فى حالة واحدة، وهى، مغادرة الضيف إلى مطار القاهرة.

كان موعد مغادرة الضيف الذى أرافقه اليوم التالى ليوم الجنازة وعلى هذا لم يكن أمام الضيف إلا صلاة العشاء فى اليوم نفسه لتحقيق رغبته فى الصلاة فى الجامع الأزهر الشريف.

بالرغم من كل هذه الظروف العصبية وبالرغم من شعورى التام من خطورة ما قد يحدث إلا أن نفسى لم تطاوعنى بإبلاغ الضيف بعدم إمكانية الصلاة فى الجامع

الأزهر وقررت أن آخذ مسئولية اصطحاب الضيف المسلم بطريقة شخصية - وعلى مسئوليتي وبحماية الله فى سيارتى الخاصة للتوجه إلى جامع الأزهر الشريف وأداء صلاة العشاء جماعة ، وكم كانت سعادة الضيف بأداء هذه الصلاة وبعدها زيارة معالم القاهرة العريقة حول الجامع الأزهر الشريف وكان طريق العودة إلى مقر إقامته كله حمدا لله وشكراً منه ومنى على إتمام هذه الرغبة فى أمان الله وحفظه ورعايته والله خير الحافظين.

وختاماً أقول: إنه قد يكون من الأسرار التى لا تفسير لها أن انفراد هذا الاحتفال بذكرى ٦ أكتوبر ١٩٨١ بحادث خطير وهو اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات حيث كما هو معلوم ارتبط هذا الحادث بهذه الذكرى ارتباطاً عضوياً فإزداد ارتباط حكم الرئيس السادات بقرار حرب أكتوبر.

وداع الدبلوماسية في غانا الإفريقية

شاءت إرادة الله أن أعمل في أحداث ومناخ دبلوماسي مغاير، حيث في يوليو ٨٣ انتقلت للعمل في غانا كسفير لمصر بعد أن عملت بمكتب وزير الإعلام كمستشار سياسي، وتعجب زملائي كيف أكون قريباً من السلطة ولا أنتقل إلى دولة أوروبية مثلاً، فكان ردى أنني لا أسعى إلى ذلك ولا أقبله على نفسي.

وفي حقيقة الأمر كنت سعيداً بالعمل في غانا إحدى الدول الأفريقية جنوب الصحراء إذ لم يسبق لي طيلة عملي الدبلوماسي أن وطئت قدماى جنوب صحراء أفريقيا الكبرى كما أن معظم هذه الدول الأفريقية كانت قد قطعت علاقتها مع إسرائيل منذ أحداث ٦٧ تضامناً مع مصر بالإضافة إلى أنني عندما كنت شاباً كنت من المعجبين برئيس دولة غانا نكروما أحد زعماء حركة عدم الانحياز وقد تأكد هذا الإحساس لدى لأن المجتمع الدبلوماسي هناك لا يشمل سفيراً لإسرائيل حيث كانت العلاقات بين غانا وإسرائيل مقطوعة منذ عدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٦٧، كما أن غانا اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للفلسطينيين ١٩٨٤ واستقبلت ياسر عرفات ثاني رئيس لمنظمة التحرير استقبالا رسمياً لرئيس دولة، وانتهزت فرصة مقابلتى لأسأل عرفات عما يدور في ذهني من تساؤلات حول قضية فلسطين، فقد لاحظت فعلاً بنفسى مدى الصعوبات التي يواجهها حاملو الوثائق المصرية الفلسطينية وسوف يأتي ذكر ذلك في ملف ياسر عرفات.

أهم شيء في أкра عاصمة غانا أنى لاحظت أن إسرائيل كانت تسعى بقوة لإعادة علاقات دبلوماسية مع الدول الإفريقية التي تحررت من أى احتلال ومما يذكر أن الدول الكبرى من أمثال بريطانيا وفرنسا كانت تشترط على الدول التي تحتلها من ضمن شروط الاستقلال أن تقيم علاقات مع إسرائيل فوراً وكنت دائماً في أحاديثي مع أهل غانا أربط بين سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا وبين ما تفعله إسرائيل في فلسطين ونظرتهم العنصرية باعتقادهم الكامن بأنهم شعب الله المختار وأن بقية البشر قد خلقوا من أجل خدمتهم.

كانت غانا قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل منذ ١٩٦٧ عقب العدوان الإسرائيلي على مصر وسوريا وفلسطين كما كان في هذه الفترة من الزمان تقارب سياسى بين عبد الناصر ونكروما الرئيس الغانى ، فكلاهما كان من رموز حركة عدم الانحياز فضلاً عن تيتو الزعيم اليوغسلافى ونهرو الزعيم الهندى وسوكارنو الزعيم الإندونيسى ، وكانت هذه المجموعة من الرؤساء تعطى انطباعاً بالتأييد لحق الفلسطينيين وموقفهم الرافض لإسرائيل ، إلا أن كل هذا تغير بعد اتفاقيات السادات فى كامب ديفيد ، واعتراف مصر بإسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسى الكامل معها كل هذا جعل الدول الأفريقية ومنها غانا تقيم أو تعيد علاقات دبلوماسية مع إسرائيل كان هذا الموقف السياسى قبل أن أصل إلى غانا فى يوليو ١٩٨٣ .

وأثناء ممارستى العمل الدبلوماسى فى أكرا عاصمة غانا تأكد لى أن شعور حكام هذا البلد وأهله معادٍ للرجل الأبيض لدرجة من التعصب وصلت إلى حد تفضيل الرجل الأسود على الرجل الأبيض وكأنما أصبح للفرقة العنصرية وجهان ! وجه أبيض متعصب ضد الأسود . ووجه أسود متعصب ضد الأبيض وهكذا التعصب يولد تعصباً .

فى هذا الجو انشغل السفراء المعتمدون لدى هذه الدولة بنظرية التعصب بصفته مشكلة داخلية يهتم بها السفراء الأجانب .

وكان مجال الحديث والمناقشات بين السفراء يدور فى إطار من البحث التاريخى والجغرافى والاجتماعى والاقتصادى لموضوع التفرقة العنصرية نتيجة التعصب .

وأثناء حديثى مع أحد السفراء البيض - وكان يشتهر بالعصبية فى المناقشات والتعصب الحاد للرجل الأبيض - أقول فوجئت به وهو يجادلنى ويرد على دفاعى عن الرجل الأسود ، وضرورة القضاء على التفرقة العنصرية بأن قال : (إن القرآن الذى يؤمن به المسلمون عبر باللون الأسود عن الكفر و أضفى على المؤمنين اللون الأبيض) .

وقد فهمت من قوله هذا أنه يشير إلى الآية القرآنية التى يقول الله تعالى فيها :

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْصَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴿آل عمران ١٠٦ - ١٠٧﴾.

وكان لا بد لي أن أشرح له إضافة لهذه الآية ما جاء بالقرآن في آيات أخرى من التعبيرات عن الوجوه الناضرة والناعمة والمسفرة والضحكة والمستبشرة ويقابلها وجوه باسرة خاشعة عاملة ناصبة عليها غبرة ترهقها قفرة.

وكل هذه التشبيهات استخدمت فيها نظرية التضاد حتى يظهر الفرق بين الإيمان، والكفر وهكذا جاء ذكر اللون الأبيض، وضده اللون الأسود في أقصى درجات اللون المتضادة ليبرز الفرق بين الكفر والإيمان علماً بأنه لا يوجد إنسان أبيض في أقصى درجات البياض ولا يوجد إنسان أسود في أقصى درجات السواد وإنما هي تشبيهات استخدمها الفرنجة وذلك أوجد ما يعرف بالترفة العنصرية وأن الإنسان الأبيض أرقى من الإنسان الأسود مع أنه لا فضل لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ومع اتساع اتصالاتي الدبلوماسية في غانا مع السلطات الحكومية لاسيما رجال الجيش، حيث كانت الحكومة الغانية حكومة عسكرية بعد تولى الملازم أول طيار (رو لنجن) الحكم إثر ثورته التي أطاحت بالنظام القديم الذي كان قد أسسه نكروما.

وقد طلب مني وزير الدفاع الغاني آنذاك أن أتصل بحكومتي للاستفسار عن الترتيبات التي تتخذها الحكومة المصرية مع الضباط المحالين للاستيداع، وهل هناك وظائف يعهد بها إليهم، خاصة الذين لم يبلغوا سن المعاش.

كانت هذه فرصة لتتعمق الصلات بيني وبين رجال الجيش في كثير من المناسبات، مما أدى إلى دعوتي لإلقاء محاضرة بنادى الضباط الغاني عن قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وبعد استئذان وزارة الخارجية المصرية قمت بإلقاء محاضرة ركزت فيها على البعد الديني في العلاقة ما بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ابتداءً من سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما ركزت على البعد التأمري من الغرب بصفة خاصة (أوروبا

وأمریکا) لخلق دولة تابعة لهم فى قلب العالم العربى أى فى فلسطين لتحقيق أهدافها والسيطرة على العروبة والإسلام وذلك بتشجيع الفكر الصهيونى بإنشاء وطن لليهود باسم دولة إسرائيل.

أما النقطة الثانية فهى الحروب الصليبية على فلسطين واحتلالها لمدة قرنين من الزمان من حيث الأسباب والنتائج.

وفى نهاية المحاضرة ومن واقع أسئلتهم واستفسارات الضباط شعرت بعدى استيعابهم لما أوجزت فى محاضرتى وأنتى أوضحت لهم الكثير مما كانوا يحتاجون فهمه عن حقيقة وجود إسرائيل.

خلال إقامتى فى غانا لمدة أربع سنوات كاملة قمت بزيارة أربع دول محيطة بها، وهى نيجيريا وبنين وساحل العاج والتوجو.

حقيقة أن التجربة عميقة أثارت الكثير من المعلومات وصححت الكثير من المفاهيم، كما أظهرت - وهذا هو المهم إبرازه فى هذه الذكريات - هذه التجربة مدى أهمية التعاون العربى الأفريقى فى موجة المد الصهيونى الإسرائيلى فى أفريقيا.

إذا حصرنا عدد الدول فى قارة أفريقيا نجد أنها ٥٤ دولة الأعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية «اتحاد أفريقيا» بعد أن تخلصت دولة جنوب أفريقيا من حكومة التعصب والفرقة العنصرية التى كانت تسيطر بها الأقلية البيضاء على غالبية الشعب الأفريقى أصحاب البلد لمدة ثلاثة قرون.

من بين هذه الدول ٥٤ هناك ١٠ دول أعضاء أيضاً فى جامعة الدول العربية وهى: مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا - السودان - الصومال - جيبوتى - جزر القمر.

ذلك يعنى حسابياً أن حوالى $\frac{1}{5}$ أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية فى نفس الوقت هم أعضاء فى الجامعة العربية التى بها أيضاً ١٢ عضواً عربياً من «قارة آسيا» التى تضم ٢٢ دولة نصفها كما رأينا أعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية بمعنى أن $\frac{1}{5}$ أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية يمثلون نصف أعضاء الجامعة العربية هذا يدل على مدى ترابط المنظمين

إن هذا التشابك الجغرافي السياسي الإنساني عنصر هام ورئيسي وملزم بالتعاون العربي الأفريقي بحكم طبيعة الأشياء.

ولست في هذه الذكريات مؤرخاً للتداخل والامتزاج التاريخي بين الشعب الأفريقي الزنجي، والشعب العربي فليست هذه الذكريات مجال ذلك وعلى من يرغب من السادة القراء في الاستزادة أن يعود إلى أمهات الكتب عن تاريخ هذه المنطقة من العالم.

فضلاً عن انتشار الدين الإسلامي في الدول الأفريقية إنتشاراً سلمياً وليس بحد السيف كما يزعم الغرب ويزيد من عمق العلاقات وإذا كان البعض يقول: إن الصحراء الأفريقية الكبرى تفصل ما بين الدول العربية في شمال أفريقيا والدول الأفريقية في الوسط والجنوب، فإنني كنت أقول: إن نهر النيل يربط ما بين دولة مصر العربية الإسلامية ودول أفريقيا في الوسط والجنوب.

أنه من المهم بمكان العمل على زيادة التعاون العربي الأفريقي لأن ذاكرتي تحتفظ من تجربة مهمتى الدبلوماسية في غانا السنوات الأربع - أن هناك مخاطر ومحاولات من إسرائيل للقضاء على أى نجاح للتعاون العربي الأفريقي الأمر الذى وصل إلى حد قيام بعض المفكرين والساسة ورجال الحكم في بعض الدول الأفريقية بدعم إسرائيل في جنوب الصحراء الكبرى بالناداة بالتفرقة بين شعوب الدول الأفريقية من الزنوج وبين الشعوب الأفريقية من العرب ويحددون منطقة الصحراء الأفريقية الكبرى كمنطقة تعزل بين نوعى الشعوب الأفريقية وبالتالي يطالب هؤلاء بإنشاء منظمة وحدة إفريقية مستقلة تقتصر عضويتها فقط على دول القارة من الجنس الزنجي جنوب الصحراء.

وهذا الاعتقاد لا ينبع من فراغ، فهو يرجع إلى فكر أوروبى استغلته الصهيونية، حيث ابتدع ساسة أوروبا هذه الفكرة للتفرقة بين شعوب القارة فى الوقت الذى كانت أوروبا تحتل القارة من شمالها إلى جنوبها - بشعوبها مختلفة الألوان لعدة قرون فمثلاً كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى وكانت غانا تحت الاحتلال البريطانى أيضاً، وكما كانت الجزائر مستعمرة فرنسية كانت ساحل العاج تحت

الاحتلال الفرنسى أيضاً ولم يفرق بين شعوب القارة ويخلق فكرة التمييز العنصرى إلا هؤلاء المحتلون الأوروبيون الذين استباحوا فى وقت من الأوقات كل قارة إفريقيا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى جنوبها حيث كان يتحكم الرجل الأبيض ويسيطر على الزواج لمدة ٣٠٠ سنة.

إن صحراء إفريقيا الكبرى فى رأى لم تكن ولن تكون أداة للتفرقة بين شمال القارة ووسطها وجنوبها كما أنه من ناحية أخرى يربط نهر النيل بين شمال القارة ووسطها.

وباعتبارى مسلماً قبل أن أكون مصرياً عربياً دبلوماسياً وجدت من دورى أن أقوم بتنشيط المساعدات الإسلامية لمسلمى غانا، فسعيت أنا وزملائى السفراء من دول (السعودية - باكستان - العراق - سوريا - لبنان - ليبيا - الجزائر - المغرب)، حاولنا أن نجمع نشاطنا من أجل إشعار مسلمى غانا بالدعم المعنوى والمادى والعلمى والثقافى، لاسيما على مستوى البعثات العلمية من الأزهر الشريف، فضلاً عن العمل على إقامة جمعية خريجي الأزهر الشريف بغانا تمهيداً لجمعية دولية مستقبلاً.

وقد سعيت من خلال زميلى المسيحى عضو السفارة دعم تبادل وجهات النظر وتوثيق العلاقات بين مسيحيى غانا والكنيسة المصرية، فإن مسيحيى غانا يتبعون الكنيسة البريطانية وكانت إسرائيل تدعو مسيحيى القارة الإفريقية إلى زيارة الأراضى المقدسة المسيحية فى القدس وبيت لحم بإسرائيل، بل أكثر من هذا كانت بعض شركات السياحة اليهودية تدعو لزيارة سيناء أرض التوراة اليهودية التى تلقى عليها موسى التوراة وترتبط بالزيارة بين المسيحية واليهودية على أساس المبدأ الصهيونى (المسيحية اليهودية) التى أصبحت الآن المسيحية الصهيونية.

كل هذا يجعلنى أن أقول: إن العمل الدبلوماسى بغانا كان من أثرى مراحل عملى الدبلوماسى برغم رثاء زملائى لى قبل رحيلى إلى غانا، ذلك لأنه عمل قصدت فيه وجه الله قبل كل شىء.

وقد كنت دبلوماسياً مصرياً عربياً مسلماً مدركاً الدور الذى تلعبه إسرائيل والصهيونية فى أفريقيا تطبيقاً لمبدأ اللعب على الحبلين، الأول هو توطيد العلاقة مع أفريقيا بادعاء وحدة الاضطهاد، اضطهاد اليهود واضطهاد السود الأمر الذى يجمع الدول الأفريقية روحانياً مع اليهود الذين حصلوا مؤخراً على دولتهم. والثانى هو توطيد العلاقة بين إسرائيل والرجل الأبيض الغربى الذى يفضله وقوته أمكن لليهود أن يستولوا على فلسطين لتكون وطناً ودولة لهم والذى هو كان يحتل إفريقيا ويتزعم فكرة التفرقة العنصرية ضد السود وأحمد الله أنى غادرت غانا قبل أن تنجح إسرائيل فى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع غانا بعد اتفاقية كامب ديفيد واعتراف مصر بحق وجود دولة إسرائيل.

عدت فى أواخر ١٩٨٧ لوزارة الخارجية، فضلت أن أختم عملى الدبلوماسى بالعمل ضمن مجموعة الدبلوماسيين المشرفين على المعهد الدبلوماسى المسئول عن تدريب الدبلوماسيين الجدد بعد تعيينهم وقبل إلحاقهم بالإدارات، وكان مشرفاً على المعهد وزير الدولة للشئون الخارجية بطرس غالى والذى رفض بدون أسباب تعييني ضمن هيئة المعهد كنائب مدير كما لم يعارض رغبتي فى أن أكون محاضراً للدبلوماسيين فى المعهد.

وقد ركزت فى هذا العمل الذى كنت أنهى به حياتى الدبلوماسية على توضيح الصورة الصهيونية والخطر الصهيونى لهؤلاء الشباب الجدد الذين سوف يكونون فى يوم من الأيام سفراء لمصر فى مختلف بقاع العالم، وتركز موضوع محاضراتي فيما حدث فى ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩ عن قطع العلاقات المصرية العربية بعد مبادرة السادات وتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل والاعتراف بها وأوضحت لهؤلاء الشباب معلوماتي عن اليهود وإسرائيل منذ أن كانت إسرائيل غير موجودة على الخريطة العربية حتى صارت أقوى دولة فى المنطقة.

وقد أبرزت فى محاضراتي أن قطع العلاقات بين الدول الأخرى ببعضها البعض يسبب تلاحم الشعوب العربية رغم قطع العلاقات، ولقد كانت هذه الظاهرة على

وجهه اليقين مثار بحث واستقصاء وتحليل من جميع دول العالم، وعلى رأسها إسرائيل التي كان يهتما تعميق آثار قطع العلاقات العربية إلى حد يصل إلى فصل مصر، وعزلها عن الأمة العربية، وليست هذه الذكريات هي مجال سرد تفصيلات هذا الأمر.

ولا شك أن عمق العلاقات بين الدول العربية على مستوى الشعوب لم يتأثر بقطع العلاقات الذي استمر عشر سنوات، مما يدل على أن الوحدة العربية أمر أصيل مهما اختلفت سياسات الحكومات، ومهما تعرضت شعوب الأمة العربية لهزات فنسيج العالم العربي متشابك ومتحد الجذور والفروع وتأكيداً لذلك فإنه من المهم أن أذكر أنه من خلال مدة إقامتي في دولة قطر التي قاربت على سنتين (أى خمس فترة قطع العلاقات) بين العرب ومصر لم تنقطع اتصالاتي كرئيس لبعثة رعاية مصالح مصر مع الكثير من الوزراء المسؤولين عن التعليم والصحة والعمل والإعلام حرصاً على بقاء العمالة المصرية، وكذا مع الوزراء من هم من عائلة آل ثان عائلة أمير قطر، وذلك للعمل والحفاظ على نمو العلاقات بين مصر وقطر في كافة المجالات، ولم يحدث أن انقطعت أى من مجالات التعاون في خدمة الشعبين بالرغم من حدة وشدة الدعايات المضادة، والمعادية لمصر في ذلك الوقت.

وضربت أمثلة على مدى التعاون الشعبى بين البلاد العربية ومصر بالرغم من قطع العلاقات الرسمية بدولة قطر التي كانت من الدول العربية الرائدة التي تفكر، ولم تتخذ أى إجراء يضر بمصالح الجالية المصرية التي كانت وما زالت موجودة في قطر، كما لم يؤد قطع العلاقات إلى تقليل طلبات جديده للخبراء والعمال المصريين، كما تجدر الإشارة إلى أن الاستثمارات القطرية الخاصة في مصر لم تتأثر إطلاقاً بقطع العلاقات.

ولم يحدث إطلاقاً أى تأثير لقطع العلاقات على هذا المنصب رفيع المستوى، بل على العكس لم تنقطع صلتى الرسمية والشخصية مع الدكتور حسن كامل، ولم تتأثر العلاقات الرسمية بين رئيس بعثة رعاية مصالح مصر مع مستشار أمير دولة قطر

طوال سنين قطع العلاقات الأمر الذى يدل على أن الفكر والوجدان والمصلحة العامة كلها واحد، ومتناسقة بين المواطنين فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج، ولا توجد إطلاقاً أى حساسية فى أن يقوم مسئول من دولة عربية معينة بمسئوليته عن دولة عربية أخرى مما ظهر على سطح الأحداث من خلافات ومشاكل.

وهكذا نرى الحقيقة التاريخية فى العالم العربى تبرز من واقع استقراء المتغيرات التكتيكية التى لا تؤثر إطلاقاً على القيم والمبادئ الاستراتيجية للعالم العربى. وبذلك يحدونا الأمل دائماً فى أن سحابة الخلافات الموجودة حالياً بين بعض الدول هى سحابة صيف ليس بالتعبير المجازى اللغوى، ولكن من واقع التجربة التاريخية التى سادت العالم العربى من ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ التى يمكن أن نطلق عليها سنوات القطيعة العجاف.

وفى محاضراتى ذكرت أيضاً أن الصحف المصرية نشرت لى مقالاً على أثر إنهاء هذه السنوات العجاف نبضات قلب دبلوماسى مصرى عاش وقضى من هذه السنوات العشر العجاف خمس سنوات متصلة بين عواصم دولة الجزائر ثم دولة الكويت ثم دولة قطر.

لقد سعت خلال فترة عملى بالتدريس فى المعهد الدبلوماسى إلى التأكيد على خطورة دور الدبلوماسى، فى حياة الإنسان العادى، مستشهداً بتلك السنوات العشر العجاف التى قطعت فيها العلاقات بين مصر وبقية الدول العربية.

وسعت إلى أن ألفت النظر لأشياء ربما لم يلتفت إليها غيرى، ومنها ضرورة إتقان الدبلوماسى للغة العربية، وحفظه وفهمه للكثير من آيات القرآن الكريم والإنجيل والتوراة، وهى أدوات وآليات تساعد الدبلوماسى فى مناقشة الكثير من الدعاوى الباطلة التى كانت إسرائيل ولا زالت تلتفها من خلال ادعاءاتها بحقها المقدس فى أرض الميعاد وإذا وضعت إسرائيل فى مفاوضاتها السياسية تضع على مائدة المفاوضات التوراة والتلمود، فلا بد وأن يقوم المفاوض العربى بوضع القرآن والإنجيل على الطاولة نفسها، كما يبرز أهمية إعداد المعهد الدبلوماسى مجموعة من الدورات

اللغوية لتعليم اللغة العربية للدبلوماسيين الأجانب العاملين في سفارات دولهم في مصر بإضافة إلى ما تقوم به وزارة الثقافة في هذا الشأن.

وأخيراً في ٤ مارس ١٩٩٠ صدر قرار بإحالتى للمعاش ببلوغى سن التقاعد وهو سن الستين وإنهاء رحلتى الرسمية مع العمل الدبلوماسى بحلها ومرها ورغبتى أن يكون أحد أولادى وهو أصغرهم امتداداً لى فى العمل الدبلوماسى وفى الهيئات التابعة للأمم المتحدة.

وهنا أود أن أبرز أنه خلال رحلتى الدبلوماسية التى استمرت مايزيد عن الثلاثين عاماً ٥٦ - ١٩٩٠ أننى لم أفرق فى عملى الدبلوماسى بين عاصمة وأخرى من عواصم العالم لأننى أؤمن أن مسئولية العمل الدبلوماسى واحدة فى كل عواصم دول العالم على اختلافها سواء أن كان فى أروقة الأمم المتحدة فى نيويورك أم كان على قمم الجبال فى سفارة كابول.

موضوعات سياسية ودولية ودبلوماسية متنوعة

١ - السلاح النووى

عندما كنت عضواً فى سفارة مصر ببكين (٦٣ - ٦٥) دار حديث بينى وبين عضو دبلوماسية من سفارة نيبال (دولة بين الهند والصين)، كان الحديث عن نبوءة يرددتها كهنة المعابد البوذية فى نيبال مؤداها أن الكرة الأرضية ستحترق عندما يصل عدد الشموس فى الكون إلى عشرة شمس.

وعلى رغم مرور عشرات السنين بل مئات على هذه النبوءة إلا أن شخصاً لم يستطع أن يفسر كيف يمكن أن يوجد فى هذا الكون عشر شمس، اللهم إلا أن تكون هذه النبوءة وسيلة يستخدمها الكهنة البوذيون لبث شعور الخوف بين أتباع الإله بوذا.

كان هذا الحديث عام ١٩٦٤ عندما نجحت الصين فى امتلاك وتفجير الطاقة النووية، وقد سبق وأن ذكرت المعادلة التى قلتها منذ سنوات عن المقارنة بين حالنا وحال الصين حين قلت:

ثورة الصين ١٩٤٩ بعد مرور ١٥ سنة أى ١٩٦٤ (تفجير أول قنبلة ذرية صينية) ثورة الجيش المصرى ١٩٥٢ بعد مرور ١٥ سنة أى ١٩٦٧ (الفاكس) على كل حال أعود إلى الحديث عن النبوءة البوذية، فعندما انضمت الصين إلى النادى الذرى دعانى ذلك إلى تفسير النبوءة بأن كلمة الشمس هى الطاقة النووية، والتى سبقت أربع دول الصين فى امتلاكها هى: (أمريكا - الاتحاد السوفيتى - إنجلترا - فرنسا).

وبذلك أصبح النادى الذرى مكوناً من خمس دول، هذه الدول هى نفسها أعضاء مجلس الأمن الدائمين، وهى الدول التى تملك قرار الفيتو، وبذلك وحسب النبوءة البوذية يكون فى الكون خمس شمس آنذاك (١٩٦٤).

فإذا أضفنا إلى هؤلاء الخمس الهند وباكستان وإسرائيل ، فضلاً عن كوريا الشمالية التي أعلنت بجرأة متناهية عن قيامها بتشغيل المفاعل النووى لإنتاج قنابل ذرية فإن عدد الدول «أى الشموس» تصبح تسعاً ، وإذا استطاعت إيران أن تصل إلى تنفيذ برنامجها النووى على رغم معارضة أمريكا وأوروبا ومن ورائها إسرائيل ، فستصبح الشموس عشراً ، وهنا وحسب النبوءة البوذية ستحترق الأرض.

جدير بالذكر أن على رغم وجود هذه الترسانة العالمية النووية والتي تبلغ ما يقرب من ٣٠ ألف رأس نووى ، تأتي الولايات المتحدة الأمريكية على رأس الترسانات النووية العالمية تليها روسيا ، أقول برغم ذلك إلا أن السلاح النووى لم يستخدم بشكل عملى إلا فى الحرب العالمية الثانية من خلال تلك القنبلة الأمريكية التي ألقتها القوات الأمريكية علي مدينتى هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين ، وهذه هى المرة الأولى والأخيرة التي استخدم فيها السلاح النووى حتى الآن.

أما إسرائيل والتي تملك (٢٠٠ - ٥٠٠) رأس نووى على أقل تقدير فلم تهدد باستخدام ذلك السلاح إلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما هددت جولد ماير رئيسة وزراء إسرائيل أمريكا باستخدام السلاح النووى ضد مصر إذا لم تقم بمساندة إسرائيل والتقليل من خسائرها فى حرب أكتوبر.

ولا تنسى الذاكرة العربية ما قامت به إسرائيل فى ٧ / ٦ / ١٩٨١ ، عندما قامت أربع عشرة طائرة (اف ١٦) و (اف ١٥) من سلاح الجو الإسرائيلى بتدمير المفاعل الذرى العراقى فى بغداد ، وقد ساهمت الاستخبارات الإسرائيلىة فى هذا الهجوم ، فقد كان الموساد يراقب منذ اللحظة الأولى مساعى العراق لبناء قوة نووية عربية مسلمة.

ولا تنسى الذاكرة أصابع الاتهام الموجهة إلى الموساد الإسرائيلى فى مقتل الدكتور/ يحيى المشد متخصص علوم الذرة النووية والأستاذ السابق بجامعة الإسكندرية والذي بدأ التعاون مع العراق فى مشروعها النووى منذ عام ١٩٧٥ ، وقد قتل الدكتور/ يحيى المشد فى غرفته بفندق الميريديان بباريس حيث كان المشد

قد وصل للعاصمة الفرنسية للإشراف والكشف عن بعض المواد النووية التي سوف تصدر للعراق ، وكان ذلك عام ١٩٨٠ أى قبل عام واحد من ضرب المفاعل النووى العراقى بالطيران الإسرائيلى والغريب أنه بعد الاحتلال الأمريكى للعراق توجد الآن قوات إسرائيلية خاصة ترتدى الزى الأمريكى وتتركز فى الصحراء العراقية العربية (منطقة ٣ H) أى نفس المنطقة التى انطلقت فيها صواريخ السكود SCUD الأربعة التى أطلقها العراق عام ١٩٩١ نحو إسرائيل؟ بل أكثر من ذلك تطالب إسرائيل أمريكا بضرورة إخضاع الصحراء الغربية العراقية لإشرافها العسكرى المباشر؟! .

هكذا قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووى العراقى (أوزيراك) عام ١٩٨١ تنفيذاً لسياستها منع أية دولة عربية من الوقوف على عتبة العصر النووى ، ورغم أن العراق دولة موقعة على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ، ورغم أن مفاعلها كان مخصصاً للأغراض السلمية وكان خاضعاً لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وقد عكس ذلك عدم وجود أى تعهد دولى بحماية الدول غير المالكة للأسلحة النووية من تعرض منشأتها النووية السلمية لأية مخاطر ، كما لم تعاقب إسرائيل دولياً بسبب هذه الضربة .

كما لا تنسى الذاكرة ما قام به الموساد الإسرائيلى ولا زال من قتل أو شراء عباقرة الذرة المسلمين والعرب ، وتضم قائمة شهداء علماء الذرة المصريين على حد علمى كلا من (د/ سميرة موسى - د/ أحمد الجمال - د/ سميرة نجيب - د/ يحيى المشد - د/ سعد بدين) وما خفى كان أعظم .

كما لا يخفى على أحد إصرار إسرائيل على عدم التوقيع على المعاهدة الدولية بمنع الانتشار النووى والتى تتبناها وتشرف على تنفيذها الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وهى الوكالة المنوط بها الإشراف على الطاقة النووية فى العالم وكيفية تحويلها من طاقة مدمرة إلى طاقة نافعة للإنسان ، وقد شرفت مصر بأن يكون مديرها هو الدكتور/ محمد البرادعى ، الذى حاولت أمريكا ومن ورائها إسرائيل إقصاءه من منصبه نتيجة استقلالية آرائه ، وعلى رغم ذلك لازال البرادعى العربى

المسلم المصرى يلقي تقديرا عالميا الأمر الذى أدى إلى انتخابه لفترة ثالثة كمدير للهيئة، والغريب أنى استمع إلى بعض الآراء التى تتعجب من الموقف السلبي لأوروبا وأمريكا تجاه السلاح النووى الإسرائيلى، والعكس تماما من الموقف المتشدد من قبل العالم الحر من رغبة إيران فى تنمية وتنشيط قوتها النووية، ولا عجب فى هذا لأن الذى قدم السلاح النووى لإسرائيل هما أوروبا وأمريكا، فقد أمدت فرنسا إسرائيل بمفاعل ديمونة من خلال اتفاقية سيفر عام (١٩٥٦)، تقديرا لاشتراكها فى العدوان الثلاثى (إنجلترا - فرنسا - إسرائيل) على مصر عام ١٩٥٦، كما كشفت المخابرات البريطانية فى وثائقها الصادرة عن تلك الصفقة التى حدثت عام ١٩٦٤ والتي تم من خلالها نقل كميات كبيرة من اليورانيوم المشع من الأرجنتين إلى إسرائيل عن طريق ألمانيا الغربية.

كما كانت بريطانيا (صاحبة وعد بلفور) وراء تزويد إسرائيل بشحنة من الماء الثقيل وهو المكونات الرئيسية لصناعة الأسلحة النووية والغريب أن كل هذه المعونات النووية جاءت دون علم أمريكا، وقد شكل ذلك قلقاً للرئيس الأمريكى الأسبق كيندى والذى كان يخشى من سباق تسلح فى منطقة الشرق الأوسط، مما دعا أمريكا إلى اتخاذ قرار التفتيش على مفاعل ديمونة فى ١٨ يونيو ١٩٦١، لكن إسرائيل رفضت هذا التفتيش وتم التمويه على الأمر وأصر كيندى على الصمت التام عن البرنامج النووى الإسرائيلى والأغرب من ذلك قتلته فى ظروف غامضة لم يكشف عنها حتى الآن، بل أكثر من ذلك بدأ سيل الدعم الأمريكى للنشاط النووى الإسرائيلى والذى تجاوز مليارات الدولارات فضلاً عن الدعم العلمى، بل ساعدت أمريكا على تعميق سياسة الغموض النووى الإسرائيلى والتي انتهجتها إسرائيل منذ بداية برنامجها النووى وحتى الآن وقد صدر عن أرشيف الأمن القومى التابع لجامعة جورج تاون بواشنطن أنه بالاطلاع على الوثائق السرية لبرنامج التعاون النووى المشترك بين إسرائيل وجنوب إفريقيا تحت الحكم العنصرى للرجل الأبيض قبل إلغائه، والوثائق السرية لتجربة الانفجار النووى الذى أجرته

إسرائيل على شواطئ قارة (انتركاتيكا) بالمحيط الأطلنطي بالتعاون مع دولة جنوب إفريقيا، وهكذا ظهر السر الذي كانت تخفيه وتكره إسرائيل طوال سبعة وعشرين عاماً، وقد التقطت أقمار التجسس الأمريكية صوراً لعملية التفجير في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٩، وقد منع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر نشر هذا النبأ لقرب معركة الانتخابات الأمريكية عام ١٩٨٠، وبرغم تصاعد القدرة النووية الإسرائيلية بشكل مطرد كما ونوعاً إلا إنها مازالت تصر على عدم التوقيع على معاهدة حظر انتشار السلاح النووي (ملحق التفيتيش الفجائي) والتي وقعت عليها ١٨٩ دولة منها مصر وكافة الدول العربية، مما يصعد من التفوق العسكري الإسرائيلي على كافة الدول المجاورة في ضوء استمرار البرنامج النووي الإسرائيلي خارج النظام الدولي مما يشكل تهديداً خطيراً للأمن الإقليمي العربي والإسلامي، لاسيما في ضوء التهديد الذي يمثله مفاعل ديمونة بوقوع كارثة على المنطقة خاصة بعد أن أثار تقرير الأمم المتحدة والذي صدر مؤخراً حول تزايد نسبة الإشعاعات من مفاعل ديمونة مؤكدة تهالك المفاعل وهو ما يعنى أن المنطقة مهددة بكارثة نووية لاسيما في صحراء النقب مكان المفاعل، والأمر الذي أكده الخبير النووي الأمريكي (هارولد هاو) والذي لم يستبعد حدوث انهيار في المفاعل في أية لحظة، وقد أعد تقريره بعد حصوله على وثائق من داخل المفاعل، وعلى صور التقطتها طائرة تجسس روسية في عام ١٩٨٥ مما أدى إلى حدوث تسرب إشعاعي كبير لكن الأغرب من ذلك هو رد الحكومة الإسرائيلية والتي أعلنت اعتزامها البدء في بناء محطة جديدة للطاقة النووية في صحراء النقب بتكلفة حوالى مليارى دولار، في الوقت التي تسعى فيه إسرائيل بكل قوتها لتقوية الضغط الأمريكى والأوروبى على إيران للتنازل عن استكمال برنامجها النووي، بل وهددت إسرائيل بالاشتراك في عمل عسكري ضد إيران إذا لزم الأمر حفاظاً على الأمن القومى الإسرائيلى.

كل هذا يحدث ومصر كانت بعيدة تماماً عن مبدأ امتلاك سلاح نووى كقوة رادعة أوحى استخدام الطاقة النووية في الأنشطة السلمية، في الوقت الذي كان هذا

الأمل معقوداً على هيئة الطاقة الذرية، وبالرغم من تخصيص أرض على الساحل الشمالى بالضبعة لبناء مفاعل نووى مصرى الذى لا يزال خاوياً على عروشه. وإذا كانت الظروف هى التى دفعت مصر لتعليق برنامجها النووى إثر حادث تفجير مفاعل تشير نوبل الروسى ١٩٨٦، فإن الظروف أيضاً قد تغيرت بظهور أنواع جديدة من المفاعلات النووية التى يتوفر فيها أنظمة أمان تجعل تكرار ما حدث فى تشير نوبل فى إطار المستحيل.

لقد آن الأوان أن تبدأ مصر إحياء برنامجها النووى «وهذا ما حدث بالفعل» لسد احتياجاتها المستقبلية من الطاقة خاصة بعد أن أصبحت محطات الطاقة النووية هى الأكثر اقتصاداً، وربما تكون الخطوة الأولى إحياء اجتماعات المجلس الأعلى للطاقة النووية الذى يرأسه رئيس الجمهورية ويشارك فى عضويته عدد من العلماء والمختصين وخبراء الطاقة، ثم إعادة تجميع القدرات البشرية والخبرات المصرية العالية التى هاجرت لتعمل فى بقاع كثيرة من عالمنا بعد توقف البرنامج المصرى، فضلاً عن استغلال الدراسات الضخمة التى جرت بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة والتى حددت بشكل نهائى موقع الضبعة ليكون محلاً مختاراً لبناء أول محطة نووية وتجهيز جزء مهم من البنية الأساسية للمكان، وعدم الاستجابة لدعاوى رجال الأعمال الذين يريدون أن يحولوا أرض المفاعل النووى المصرى فى الضبعة إلى قرى سياحية ولا حول ولا قوة إلا بالله!؟

علماً بأن موقع الضبعة تابع لقرار جمهورى لهيئة الطاقة الذرية ولا يمكن التصرف فيه إلا بقرار جمهورى آخر.

وهكذا لا يمكن تحقيق أهداف رجال الأعمال فى اتخاذ موقع الضبعة لإنشاء منتجعات سياحية خارج سور المحطة وإنشاء مطار قطاع خاص وفنادق وحدائق ومصانع وكازينوهات لتكون هذه المشروعات حائط صد ضد إنشاء المحطة النووية. كما أرجو وأدعو الله ألا يكون هناك ضغط أمريكى على مصر للتخلص من فكرة إنشاء محطة مفاعلات نووية بمنطقة الضبعة بالساحل الشمالى.

وألا يكون لإسرائيل سعى وتدخل لتعطيل البرنامج النووي المصرى حتى لا تكون هناك أية قوة نووية بالمنطقة خارج نطاق إسرائيل أو تحت إشرافها. كما أنه هناك أنباء تتردد أن فى إسرائيل اتجاهاً نحو بناء محطة نووية مشتركة (مصرية إسرائيلية) فى سيناء تحت رقابتها. هذا علماً بأن الرئيس جمال عبد الناصر أصدر قراراً بإنشاء لجنة الطاقة الذرية فى ١٧ فبراير عام ١٩٥٥.

ثم صدر قرار من الرئيس محمد أنور السادات عام ١٩٧٥ باستقلالها كهيئة للطاقة الذرية تتبع وزير الكهرباء وإشرافياً وكانت الهيئة وقتها تضم قسماً للمفاعلات منذ عام ١٩٧٦

كما أن مشروع المحطة النووية فى الضبعة لتأمين مستقبل الطاقة فى مصر علاوة على تحلية مياه البحر واستخدامها فى زراعة الصحراء الغربية. وفى هذه الحالة تصبح المعادلة أكثر صعوبة هل تقيم المحطة هنا ونضمن هذه المشروعات؟ أم نقيمها على أرض سيناء بعيداً عن الخسائر للمشروعات القائمة؟ مما يتوافق مع فكرة إسرائيل فى إنشاء محطة نووية مشتركة مصرية إسرائيلية فى سيناء السابق الإشارة إليها وبذلك تظل قرارات إسرائيل النووية فى المنطقة هي الوحيدة ويظل اختلال التوازن الاستراتيجى قائماً ولتكون إسرائيل موجودة دائماً فى سيناء وهى الوحيدة التى لديها هذه الطاقة النووية تهدد بها جميع البلاد العربية بل وما حولها من دول تطلق عليها أمريكا الشرق الأوسط الجديد.

٢ - الإسلام ومؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون

فى ١٩٩٦ تم عقد مؤتمر بكين الذى اشتهر بمؤتمر المرأة (الرابع) تحت شعار المساواة والتنمية والسلام (هو الشعار الذى ارتفع عام ١٩٧٥ عام المرأة) وفى حقيقته كان خطوة أخرى ومرحلة ثالثة بعد مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٩٤ الذى سبقه مؤتمر حقوق الإنسان الثانى عام ١٩٩٣ فى فيينا بعد مرور ٢٥ عاماً على المؤتمر الأول الذى عقد فى طهران ١٩٦٨ ودارت كل هذه المؤتمرات الثلاثة حول محور أساسى هو - فى رأى - القضاء على الشريعة الإسلامية مهما حاول المؤتمرون والمنظمون إخفاء ذلك تحت تفرعات متنوعة.

من خبرتى الدبلوماسية لمدة ٢٢ عاماً قضيتها خارج مصر فى ممارسة الجدل والمناقشة والحوار والقراءة والاستماع إلى ما يردده المفكرون والساسة والكتاب والدبلوماسيون من مختلف الدول الأوروبية ومن ورائها أمريكا ومن ورائهم الصهيونية - وكذا ما تروجه الأيدلوجيات اليهودية التى ظهرت فى هذه الدول وأخص بالذكر وأقصد بالتحديد أيدلوجيات الإلحاد والكفر وإنكار الأديان والدعوة إلى هدم قيم الإنسانية وحضارتها الماضية.

أقول: إن خبرتى تؤكد لى أنه بالنسبة لنا فإن هناك حرباً فكرية تؤكد وتدعو وتنادى منذ زمن بعيد إلى إنكار نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتدعى أنه هو الذى كتب القرآن وأن الإسلام انتشر بالسيف وهذا عدوان على حقوق الإنسان والجزية غرامة اقتصادية لقهرة الإنسان غير المسلم والجهاد هو الإرهاب والقتل وسفك الدماء غير المسلمة.

وبالنسبة للحدود فإن قطع يد السارق وإعدام القاتل ومعاقبة الزانى والزانية والمرتد إجراءات غير إنسانية وتحريم شرب الخمر ومنع أكل لحم الخنزير ونبذ الشذوذ الجنسى هى قيود على حرية وحقوق الإنسان وإلى غير ذلك من الحدود.

ومن ناحية أخرى فإن فرض اللغة العربية على المسلمين - غير العرب - استعمار ثقافى ومنع غير المسلم من زيارة مكة والمدينة هو تمييز عنصرى وعدم السماح بيناء كنائس! ومعابد! فى أرض الحجاز هو تعسف فى استخدام الحق.

وبالنسبة للمرأة فهى فى رأيهم مضطهدة فى الإسلام حيث لاحق لها فى الزواج من غير المسلم ولا حق لها فى تعدد الأزواج وهى نصف إنسان فى الميراث والشهادة ومفروض عليها الحجاب - وهى خاضعة للطلاق التعسفى من جانب الرجل كما أنها جزء من حريم الرجل الذى يتزوج أربعاً فى وقت واحد.

ولا يمكن إغفال حقيقة أخرى وهى أن هذه المؤتمرات تدعو أيضاً إلى هدم معتقدات وقيم ثابتة قامت عليها حضارات إنسانية فى شتى بقاع العالم على مدار تاريخ البشرية وأخص بالذكر مناداة هذه المؤتمرات إلى هدم الأسرة كنواة أمينة للمجتمع وكذا إباحة العلاقات الجنسية بشكل بهيمى حيوانى يتسم بشذوذ ضد طبيعة الإنسان أرقى وأكرم المخلوقات فى الأرض وأخيراً إنكار المثل العليا التى وصل إليها الفكر الإنسانى بعد التاريخ الطويل.

ويجب أن نسأل أنفسنا من هم وراء عقد هذه المؤتمرات وما تنادى به من أفكار؟ فى الظاهر هى الأمم المتحدة حيث تعقد هذه المؤتمرات تحت مظلة وباسم الأمم المتحدة!! والحقيقة كما - أعتقد - أن الأمم المتحدة هى ستار بل هى جهاز لتنفيذ مقررات بروتوكولات حكماء صهيون التى تنادى وتدعو إلى نفس المبادئ والأفكار لهذه المؤتمرات وما سيعقد من مؤتمرات قادمة وبذلك يهدف إفساد البشرية - غير اليهودية - وتحفظ الأخيرة بديانتها التى أساسها شعب الله المختار!!

القارئ العزيز مدعو لقراءة ما نشر عن بروتوكولات حكماء صهيون ودور الكتب والمكتبات ودور النشر فى كافة أنحاء العالم أصدرت وبمختلف اللغات العديد والكثير من بروتوكولات حكماء صهيون وبالنسبة لى كان مرجعى هو كتاب - بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية.

تأليف د/ أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور/ على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر (مقتى مصر الحال). الناشر/ مكتبة النافذة (٢٠٠٣).

ليطلع بنفسه مما أنا متأكد منه وليعلم أن الصهيونية العالمية التي بزغت في أوروبا قبل نهاية القرن التاسع عشر دخلت في مرحلة تحقيق أهدافها ووضع مقررات البروتوكولات موضع التنفيذ في بداية القرن الواحد والعشرين بعد أن تحققت السيادة اليهودية على كافة أجهزة منظمة الأمم المتحدة التي بدأت أعمالها منذ ستين عامًا بإعلان دولة إسرائيل - دولة يهودية تقوم على معتقدات دينية توراثية على أرض الميعاد أرض فلسطين!!

وليست هذه الذكريات تحليلاً لبروتوكولات حكماء صهيون فذلك موضوع يطول ويحتاج إلى جهود كافة المؤمنين بالمسيحية والإسلام في العالم لوقف تيار سيادة وشعب الله المختار!!

وبهذه المناسبة ترجع الذاكرة إلى الآيات القرآنية التي أورد الله لنا فيها ما هي حقوق الإنسان وواجباته نحو نفسه ونحو أخيه الإنسان وكذلك نحو ما يحيط به من كون ومخلوقات.

ولا شك أن كل مسلم مهما كانت درجة ثقافته وعلمه يستشعر تماماً ما في الآيات القرآنية من حقوق الإنسان وواجباته منذ نزول القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان حينما كانت الإنسانية غير المسلمة على غير هدى من حقوق وواجبات الإنسان بالرغم من حقيقة وجود كتب سماوية وهي الإنجيل والتوراة وما فيهما من تعاليم وتنبهات عن حقوق الإنسان وواجباته.

وتعود الذاكرة أيضاً إلى عام ١٩٤٨ حيث أصدرت المنظمة الدولية ميثاقاً لحقوق الإنسان بعد أشهر معدودة من قرارات صدرت من المنظمة نفسها أهدرت فيها المنظمة بعينها حقوق الشعب الفلسطيني بتقسيم فلسطين في أواخر عام ١٩٤٧ ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن جرت الأحداث في العالم تحت سمع وبصر هذه المنظمة الدولية وكلها مأس وأحداث جسام لانتهاك حقوق الإنسان في فلسطين وفي كثير من شعوب العالم، تلك الشعوب التي تميزت عن غيرها من الشعوب بأنها من العالم الثالث كما يقولون! وتعود الذاكرة أيضاً إلى دور منظمة المؤتمر

الإسلامى. ففى أغسطس ١٩٩١ تم إعلان ميثاق حقوق الإنسان فى الإسلام حتى يعلم الجميع الحقيقة. وللقارئ العزيز أن يعود إلى نص الإعلان إذا أراد أن يستزيد. ويمكن الحصول عليه من مقر منظمة المؤتمر الإسلامى ومقرها جدة - المملكة العربية السعودية.

ومن المفيد هنا التساؤل: علام هذه الضجة الكبرى لمؤتمر حقوق الإنسان والمرأة وغيره؟. فى رأى أن الإجابة عن هذا التساؤل هى بكل بساطة أن القوة العظمى فى العالم تتوهم - وكرر - تتوهم أنها تسيطر على شعوب العالم وتريد أن تخضع كل الشعوب بالقوة لما تراه من مبادئ ونظم حياة تتمشى مع أهداف هذه القوة العظمى التى من ورائها الصهيونية العالمية، وتستخدم فى ذلك حججا مختلفة وتحت ستار شعارات مثل حقوق الإنسان أو الديمقراطية أو الاقتصاد الحر وما إلى ذلك من ذرائع ومسميات تتمكن عن طريقها من فرض السيطرة على هذه الشعوب المستضعفة والتدخل فى الشؤون الداخلية لهذه الشعوب.

وبعيداً عن حقيقة البروتوكولات باعتبارها وثيقة معترفاً بها تتضمن استراتيجية اليهود فى حكم العالم أو ما يقال: إنها من صنع البوليس السرى فى عهد روسيا القيصرية بهدف تأجيج مشاعر البغض ضد اليهود، فإن الحقائق تؤكد أن الصهاينة يسرون على نهجه سواء أن كانوا مؤلفيه أم منفذيه ولاشك أن الضجة التى أثرت مؤخراً بشأن عرض (مكتبة الإسكندرية) لكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) نسخة قديمة لأول ترجمة عربية لهذا الكتاب فى فاترينة بمدخل المكتبة، وبجانب الكتاب تم وضع خريطة نادرة قديمة لفلسطين قبل قرار التقسيم، والضغط التى مورست من قبل سفارة و قنصلية إسرائيل فى القاهرة والإسكندرية من أجل رفع الكتاب والخريطة من الفاترينة، ثم صدور قرار المكتبة برفع الكتاب والخريطة بعد أن وصلت احتجاجات من دوائر عربية متعددة، أقول لعل فى كل ذلك دليل على خطورة هذا الكتاب فى توضيح إستراتيجية اليهود فى حكم العالم، ولم تكن هذه الضجة أقل من الضجة التى أثارها الصهيونية ضد مسلسل (فارس بلا جواد)

لمحمد صبحي الذي عرض في التلفزيون المصري والذي حاول فيه كشف بعض من تلك المخططات التي أسسها اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون، الأمر نفسه الذي حدث في مسلسل (الشتات) الذي عرض في تليفزيون سوريا بعد عام من مسلسل (فارس بلا جواد).

وربما لا أكون مبالغاً إن قلت: إن أغلب هذه البروتوكولات قد تم تحقيقها بالفعل لاسيما في وجود حكومة صهيونية عالمية تكون مسيطرة على العالم، وقد سبق وقلت في كتابي: إن مجلس الأمن الحالي هو بداية لحكومة اليهود العالمية، وما خفي كان أعظم؟!

ولا يفوتني أن أذكر في كتابي هذا أن أشير إلى أهمية كتاب عنوانه «الخطر اليهودي» - بروتوكولات حكماء صهيون الذي أصدرته دار الكتاب العربي في بيروت عاصمة لبنان - وترجع أهمية هذا الكتاب أنه أول ترجمة عربية كاملة مع مقدمة تحليلية وتقديم للكاتب المرحوم الأستاذ عباس العقاد، حيث يشرح الكتاب البروتوكولات وفقاً للصيغة التي قامت بتسجيلها عصابات اليهود، وكلمة البرتوكول ذاعت وانتشرت نظراً لتداولها في جميع اللغات الأجنبية التي اهتمت بدراسة أصول اليهود والصهيونية، ذلك هو المعنى الذي يهمني أن أشير إليه في هذا المجال، لأن لها معنى في الأوساط السياسية والدبلوماسية بمعنى الأصول أو الأعراف أو الرسميات أو آداب السلوك الدبلوماسي، كما أنها تعني أيضاً البنود أو النقاط أو النصوص في الاتفاقيات والمعاهدات بين الدول.

٣ - سور إسرائيل غير العظيم

من يبقى في الصين يومًا يدعى أنه يستطيع أن يكتب كتاباً عن الصين وإذا ظل بها شهراً قال لا أستطيع أن أكتب إلا مقالاً صغيراً عن الصين أما إذا بقى بها عاماً فأكثر فإنه يقول لا أعرف كيف أكتب كتاباً عن الصين العظيم.

عندما بنى الإمبراطور الصيني «سيى هونج دى» سور الصين العظيم منذ سنين طويلة قبل الميلاد والذي يبلغ طوله ٧٣٠٠ ك حول الإمبراطورية الصينية مترامية الأطراف لحمايتها والتي سمح لي شرف العمل الدبلوماسى فى سفارتنا بها فى العاصمة بكين (١٩٦٣ - ١٩٦٥) أن أزور وأرى بعيني رأسى جزءاً من هذا الجدار الذى يحمى منطقة بكين العاصمة وهذا الجزء كان هو المنطقة الوحيدة من السور التى تسمح بها الحكومة الصينية فى ذلك الوقت أن يقوم الدبلوماسيون المعتمدون لديها بزيارتها، وخطر بذهنى فى زيارتى هذه أن أقول ببينى وبينى نفسى إن هذا السور يطلق عليه العظيم كما يطلق على الصين نفسها العظيم.

لم يدربخلد الإمبراطور الصينى أن دولة اسمها إسرائيل ستأتى فى الألفية الثالثة الميلادية لتبنى جداراً حول وداخل الضفة الغربية متحديّة العالم والأمم المتحدة والشرعية الدولية.

وفكرة الجدار العازل أو الفاصل ليست بجديدة على العقلية الإنسانيّة، فقد وجد سور برلين الذى أقامته جمهورية ألمانيا الديمقراطية (الشيوعية) لتفصل بين عاصمتها القسم الشرقى من برلين وبين القسم الغربى من برلين عاصمة ألمانيا الغربية بعد أن زادت عمليات اختراق الألمان الشيوعيين لخط الحدود والهرب إلى برلين الغربية وكان ذلك عام ١٩٦١ وتم هدم هذا السور عام ١٩٨٩ بمناسبة اتحاد الألمانيتين فى دولة واحدة أكتوبر عام ١٩٩٠ التاريخ الذى أصبح عيداً رسمياً لألمانيا الموحدة، وأذكر أن من أهم الآثار التى زرتها فى برلين الشرقية قصر حوله حديقة

كبيرة في منطقة يطلق عليها سان سوسى أى (بلا ألم)، وقد تم اتخاذ هذا القصر متحفاً لذكرى توقيع اتفاق استسلام ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥) والمشاهد لهذا المتحف يرى غرفة مكتب فى وسطها مائدة حولها خمسة كراسٍ فخمة لجلوس قادة الدول المنتصرة فى الحرب وهى أمريكا - إنجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفييتى (دول العالم الحر كما كان يطلق عليهم والذين انتصروا على دول المحور)، أما الكرسي الخامس لدولة ألمانيا المهزومة وكان معها فى الحرب (إيطاليا، اليابان) تحت اسم دول المحور.

وكانت مناسبة تجمع هذه الدول الخمس فى هذا المتحف هو مراسم التوقيع على وثيقة استسلام ألمانيا، وصورة هذه الوثيقة كانت تزين الجدار الرئيسى داخل هذا المتحف وأصبح هذا المكان سان سوسى الذى يتواجد فى مدينة صغيرة يقال لها بوتس دام الضاحية لبرلين الشرقية التى كانت (عاصمة لدولة ألمانيا الشرقية سابقاً) الخاضعة للنقوذ السوفييتى، والتى فى بداية ١٩٩١ انضمت إلى برلين الغربية وأصبحت برلين الموحدة عاصمة لألمانيا الموحدة.

كما وجد خط ما جينو الدفاعى الذى أقامته فرنسا بين عامى ١٩٣٠ - ١٩٣٤ على طول الحدود السويسرية والبلجيكية ونسب إلى وزير الحربية الفرنسى أندريه ما جينو، أيضاً وجد خط سيجفريد الدفاعى الذى أقامته ألمانيا على حدودها لصد القوات الأمريكية عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥.

ومن يتأمل النص القرآنى عن اليهود يتأكد أن فكرة الجدار نابعة من العقيدة الصهيونية التى قامت على الاحتماء خلف جدران وقد تجسد ذلك فى قوله تعالى:

﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾
(سورة الحش).

وليس الأمر يقف عند هذا الحد فهو مرتبط أيضاً بفكرة الجيتو أو حارة اليهود التى ظن اليهود على مر العصور أنها سوف تحل لهم مشكلة الإحساس الدائم

بالخوف والقلق وعدم الأمان، لاسيما في أوروبا أثناء تعرض اليهود للاضطهاد على مر العصور من قبل ظهور المسيحية وبعد ظهورها.

ولا ننس أن نتذكر جميعاً أن الدافع الأول الذى دعا إسرائيل إلي إقامة خط بارليف على طول الشاطئ الشرقى لقناة السويس بعد عدوان إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ هو نفسه الدافع الذى جعل إسرائيل تقوم ببناء الجدار العازل على أرض فلسطين المحتلة، لكن خط بارليف الذى ادعت إسرائيل أنه لا يقهر سقط بفكرة بسيطة لم تخطر على بال أحد نبعت من سلاح المهندسين بالجيش المصرى إنها فكرة استخدام قوة، دفع المياه لهدم الرمال أسفل الجدار، وبذلك حطم الماء أسطورة إسرائيل الكاذبة.

فضلا عن قوة اقتحام الجيش المصرى وتحطيمه لهذا الخط فى حرب ١٩٧٣. ولم يكن أمام الفلسطينيين إلا اللجوء إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل وقف استكمال بناء هذا الجدار العنصرى الذى سوف يقطع فى حالة الانتهاء من بنائه ٢٠ ٪ من مساحة الضفة الغربية المحتلة كل ذلك لا لشيء إلا لادعاء إسرائيل بحماية المواطن الإسرائيلى والحد من تسلل الفدائيين الفلسطينيين داخل إسرائيل، وكان الأولى أن يبني هذا الجدار على الأراضى المخصصة لإسرائيل طبقاً لقرار التقسيم.

ولا نود الدخول فى تفاصيل الأضرار السلبية التى ستترب على بناء هذا الجدار فى حياة المواطن الفلسطينى التى لا تكتفى إسرائيل بسرقة وطنه وأرضه ولكن نكتفى بأن نذكر بعض التفاصيل التى تدل على تناقضات السياسة العالمية التى تديرها إسرائيل والصهيونية ببراعة فائقة على المستوى العالمى، فقد سبق أن صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أكتوبر ٢٠٠٣ بأغلبية ١٤٤ صوتا مقابل ٤ أصوات وامتناع ١٢ دولة والذى أدان إسرائيل وطالبها بوقف بناء الجدار وإزالته باعتباره انتهاكا لخط الهدنة ١٩٤٩، إلا أن إسرائيل أكدت على أنها عازمة على استكمال الجدار دون أى قرارات دولية. مما أدى هذا الأمر إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ٢٠٠٣ بإحالة مسألة الجدار إلى محكمة العدل

الدولية تحت عنوان تصرفات إسرائيل غير المشروعة في القدس الشرقية المحتلة وسائر الأراضي الفلسطينية المحتلة، إلحاقاً بالقرار السابق للدورة الطارئة العاشرة في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٣ ومشيراً إلى القرارات السابقة للجمعية العامة بما في ذلك القرار ١٨١ نوفمبر ١٩٤٧ م والذي قسم فلسطين تحت الانتداب إلى دولتين: واحدة عربية والأخرى يهودية، وإلى قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وأهمها ثلاثة عشر قراراً يتقدمها القراران ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ م و ٣٣٨ في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ وآخرها القرار ١٥١٥ في ١٩ نوفمبر ٢٠٠٣ وكلها تؤكد على الأسس والمبادئ المستقرة في القانون الدولي وأهمها مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة، وانطباق أحكام اتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكول الإضافي الأول على الأراضي الفلسطينية المحتلة بما في ذلك القدس الشرقية.

ولما كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد انتخبت السفير المصري نبيل العربي عضواً في محكمة العدل الدولية اعتباراً من ١٢ أكتوبر ٢٠٠١ ليشتغل مكان القاضي محمد بدجاوي رئيس محكمة العدل الدولية، وهو الأمر الذي اعتبرته إسرائيل محاولة للتأثير على محكمة العدل الدولية من أجل صدور قرار مضاد لهذا القرار كعادتها حاولت ترويج شائعات مسبقة تؤيد الدعاوى الكاذبة التي ترونها لكن قرار محكمة العدل الدولية كان قائماً على الشرعية الدولية والاتفاقات العالمية حيث أصدرت المحكمة حكمها في التاسع من يوليو ٢٠٠٤ بعدم مشروعية قيام إسرائيل ببناء الجدار العازل في الأراضي الفلسطينية وكذلك عدم شرعية بناء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة بما فيها القدس وكذلك تعويض الفلسطينيين الذين تضرروا من بناء الجدار ولقد كان قرار المحكمة قائماً على اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩.

لكن حكم المحكمة انضم إلى قائمة القرارات الدولية التي تضرب بها إسرائيل عرض الحائط كعادتها وظلت إسرائيل عازمة على بناء جدار طوله ٦٢٠ كم يقسم الضفة إلى ثلاثة أقسام ويقتطع ٢٠٪ من مساحتها، وبسمك من ٦ : ١٠ أمتار

وبارتفاع يصل إلى ٨ أمتار كل هذا على مرأى من العالم الذى أصبح لا يحرك ساكناً تجاه إسرائيل، والأكثر من ذلك راحت إسرائيل تستنكر الطلب الفلسطينى للمحافل الدولية من أجل وقف الجدار ذاكراً أنها تتعجب من أن يقبل طلب من منظمة إرهابية طاعة فى ولاية المحكمة وصلاحياتها لنظر القضية متطاوله على المحكمة ونزاهتها بالتشكيك فى موضوعية حكمها بوقف الجدار نتيجة وجود قاضى عربى مسلم من بين قضاتها البالغ عددهم ١٤.

بل إن إسرائيل لم تكتف بالسخرية والاستهزاء من الهيئات الدولية بل أيضاً من الرموز الدينية فعندما أذان بابا الفاتيكان الراحل الجدار العازل وسياسة إسرائيل مؤكداً على أننا فى حاجة إلى جسور محبة وليس جداراً فاصلاً رد رئيس الوزراء الإسرائيلى بسخرية وتهكم على البابا الراحل وعلى الجدار الذى يلف حاضرة الفاتيكان ويعزل من فيه ومنهم البابا عن رؤية حقائق الدنيا.

ولقد بقى الوضع كما هو عليه ولم يكن حكم المحكمة ملزماً لإسرائيل كما حدث فى قضية استرداد مصر لطابا، كما أن الفلسطينيين وقفوا موقفاً اعتادوا عليه منذ ١٩٤٨ وهو الرضوخ الذى ليس لديهم بديل له للقوة الإسرائيلىة التى تؤيدها أمريكا أقوى دولة فى العالم حالياً.

إن تلك الفتوى القانونية بعدم شرعية الجدار الإسرائيلى والصادرة من أعلى جهة اختصاص بالعالم وبناء على قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتحويل قضية بناء إسرائيل للجدار العازل بداخل الأراضى الفلسطينىة لتلك المحكمة الدولية لتصدر فيها حكماً استشارياً غير ملزم وفق صلاحياتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة، أقول إن هذا القرار يمثل تحرك من المجتمع الدولى فى حدود المتاح أو المسموح بالعمل به لاسيما فى إطار عدم قدرة مجلس الأمن (الهيئة التنفيذية الوحيدة بالأمم المتحدة) على تنفيذ أى قرار ضد إسرائيل باسم استخدام أمريكا الدائم لحق الفيتو.

إن حكم المحكمة لم يخص مسألة الجدار وحدها، ولكنه تجاوز ذلك كثيراً، وكأنه صدر فى النزاع الفلسطينى الإسرائيلى برمته، و إقرار من قبل محكمة

العدل الدولية بأن الأرض الفلسطينية المحتلة خارج ما يسمى بالخط الأخضر هي بالفعل أرض فلسطينية محتلة غير معترف باحتلال إسرائيل لها والعجيب أنه صدر في ٢٠٠٥ حكم عن محكمة العدل العليا بإسرائيل بعدم شرعية هذا الجدار وبشطب أحد مقاطع الجدار تحت مبرر انعدام النسبية.

والأعجب أن جدار إسرائيل لم يمنع الفدائيين الفلسطينيين من الكفاح المسلح والقيام بعمليات استشهادية داخل العمق الإسرائيلي ذاته.

وأعتقد أن الجدار ليس هو المدافع عن وجود إسرائيل بل إن أمريكا هي الجدار العازل الإسرائيلي !!

٤ - بين وعد بلفور ووعد آل بوش اختفت فلسطين

فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧ خلال الحرب العالمية الأولى أرسل اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد أحد أقطاب الطائفة اليهودية البريطانية خطاباً شهيراً يخطر فيه أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنظر بعين العطف لموضوع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على ألا يؤثر ذلك على حقوق الطوائف غير اليهودية فى فلسطين أو على حقوق اليهود فى بريطانيا، وكان ذلك منذ ما يقرب من تسعين عاماً فيما عرف بتصريح - وعد - بلفور وهو فى حقيقة الأمر وعد من لا يملك لمن لا يستحق.

ولا ننس أنه بعد أسبوع واحد أى فى ٩ نوفمبر ١٩١٧ دخل الجنرال اللنبي (قائد القوات البريطانية التى احتلت فلسطين) القدس، وقال عبارته الشهيرة «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، ومما يذكر أنه أصبح الحاكم العسكرى على مصر والسودان من (١٩١٩ إلى ١٩٢٥)، وبعد أن تشكلت عصبة الأمم فى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٤ - ١٨) اتخذت قراراً بانتداب بريطانيا على فلسطين، وبعد ذلك عينت بريطانيا هر برت صمويل مندوباً سامياً على فلسطين وكان يهودياً بريطانياً فأغدق على اليهود المنح والعطايا والحقوق واضطهد الفلسطينيين اضطهاداً شديداً، كما غض الطرف عن القتل والتشريد والإبادة الذى مارسه اليهود ضدهم وأخيراً تخلت الدولة المنتدبة (بريطانيا) من قبل عصبة الأمم عن مهمتها، حيث غادر مندوبها السامى فلسطين فى ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ وتركها لليهود ليععلنوا دولة إسرائيل فى اليوم الثانى من رحيل بريطانيا أى فى ١٥ / ٥ / ١٩٤٨.

هذا هو الدور البريطانى المؤسس لدولة يهودية على أرض فلسطين العربية. ويذكرنى وعد بلفور بما قرأته فى كتاب (ديزرائيلى) D.israel عن الصبى اليهودى فى المجتمع البريطانى عندما كان اليهود يضطهدونه، وكفاحه للانتقام من ظلم الاضطهاد اليهودى حتى وصل إلى رئيس وزراء بريطانيا، والغريب أنه نجح

فى شراء نصيب مصر من أسهم للشركة العالمية لقناة السويس، وبذلك خرجت مصر من كونها مساهماً فى هذه الشركة بالرغم من مصرية قناة السويس، ولم تستردها مصر إلا عام ١٩٥٦ بقرار التأميم ودفعت مصر الثمن بالعدوان الثلاثى على مصر من قبل (انجلترا - فرنسا - إسرائيل).

وهو دور متسق مع الفكر الأوروبى الغربى الذى بدأ منذ أن دعا نابليون بونابرت يهود العالم فى أواخر القرن الثامن عشر لإقامة دولتهم فى فلسطين، والتى كانت من أهم الدوافع وراء حملته على مصر والشام عام (١٧٩٨) ويرجع ذلك فيما أعتقد أن كتب التاريخ تتحدث عن السيطرة اليهودية على الثورة الفرنسية التى أوجدت فيما بعد نابليون القائد والمحارب الشهير كما سبق ذكره فى ملف الجامعة بكتابى هذا.

وقد سبق وأن ذكرت الدوافع الغربية (أوروبياً وأمريكياً) وراء خلق إسرائيل فى العالم العربى والإسلامى، تلك الدوافع التى ترتبط بما عرف فى الأمثال الشعبية (ضرب عصفورين بحجر واحد)، حيث يتم التخلص من تواجد القلق الغربى من اليهود وفى الوقت نفسه يضمن الغرب عدم تنامى القوة الإسلامية بسبب انشغالها الكامل بحروبها وخلافاتها مع المنافس الإسرائيلى وبالتالي يكون الغرب قد ارتاح من القلقين الإسلامى واليهودى، وها هو ذا الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن يكمل حلقة فى منظومة الدور الغربى الداعم للكيان الإسرائيلى، وذلك حين أعلن فى ١٤/ ٤/ ٢٠٠٤ وعد بوش الجديد، أو وعد المتناقضات كما أطلقوا عليه.

حيث أعلن بوش رفض مبدأ عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى داخل الأراضى التى ستنقام عليها الدولة الفلسطينية، كما أكد على أنه من غير الواقعى توقع العودة إلى حدود ١٩٤٩ فى إطار سلام بالشرق الأوسط وأكد الرئيس الأمريكى أن أية تسوية نهائية للقضية الفلسطينية يتعين أن تضع فى اعتبارها عناصر جديدة على الأرض وأن إسرائيل لها مطالب بشأن بعض أراضى الضفة الغربية التى يقول الفلسطينيون: إنها أراضيهم على حد تعبيره، ومضى بوش فى تصريحاته قائلاً إن

هناك وقائع جديدة على الأرض تشمل وجود تجمعات سكانية (يقصد المستوطنات) الإسرائيلية فى الضفة الغربية، وتحدث بوش عن الدولة الفلسطينية مؤكداً أنه على الفلسطينيين محاربة الإرهاب إذا كانوا يريدون أن تكون لهم دولة، وفيما يتعلق بالجدار العازل قال بوش: إن هذا الحاجز حاجز أمنى وليس سياسياً، وتمنى أن يكون مؤقتاً وليس دائماً، كما أكد بوش على إعطاء إسرائيل الشرعية لبناء عدد من المستوطنات الكبيرة فى الضفة الغربية!! .

جاءت تصريحات الرئيس الأمريكى ضمن المؤتمر الصحفى الذى عقده مع رئيس الوزراء الإسرائيلى فى البيت الأبيض معلناً بذلك تحولاً جوهرياً فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الإسرائيلى ضارباً بعرض الحائط القرارات الدولية وقرارات الأمم المتحدة وعلى رأسها قرار التقسيم الذى قامت على أساسه دولة إسرائيل وقرار عودة اللاجئين والذى يقضى بالسماح فى أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين فى العودة إلى ديارهم بالعودة ودفع تعويضات لمن لا يختارون العودة.

فضلاً عن دعم إسرائيل المادى والمعنوى فى ممارسة سياسة القمع والاحتلال والتشريد على الأراضى الفلسطينية وتحقيق مزيد من السيطرة على الأرض العربية. وهكذا جاء الوعدان، واعد بلفور ١٩١٧ ووعد بوش ٢٠٠٤ ليزيدا آلام الفلسطينيين ويكملا سلسلة ضياع الحقوق وازدواجية المعايير لا سيما بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى بتأجيل إعلان الدولة الفلسطينية إلى ٢٠٠٩ بعد أن كان قد التزم من قبل أن يكون ذلك فى ٢٠٠٥

وبرغم تصريحات الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن إلا أنها لم تكن مفاجئة بالنسبة لى، فهل لنا أن نتوقع أن يصدر من حفيد جورج بوش الجد أحد كبار الواعظين والباحثين فى أمور اللاهوت واللغة العبرية التوراتية والبروفوسير للعبرية والآداب الشرقية فى جامعة نيويورك التى خصصت أول منصب لهذا القسم له تحديداً عام ١٨٣١، وصاحب كتاب (حياة محمد مؤسس الدين الإسلامى وإمبراطورية المسلمين) والذى يحتوى على تشنيع وشتائم للعرب والمسلمين باعتبارهم أعرافاً

منحطة وحشرات وجرذان وأقاعي ، والذي دعا إلى تدمير إمبراطورية (السارزان) ، فإذا لم يتم تدمير هذه الإمبراطورية لن يكتمل تمجيد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم.

والسارزان هنا تعنى المسلمين وتطلق على الشعوب المتخلفة والمنحطة فى نظر الرومان قديماً ، لكن جورج بوش الجد استخدمها تعبيراً عن المسلمين.

وكتاب جورج بوش الجد يدل على علم بالقرآن والحضارة الإسلامية ، كما يدل على ذكاء شديد ، فبرغم بعض العبارات التى قد توحى للقارئ بإعجاب الكاتب بمحمد والدين الإسلامى ، إلا أنه تخفى خلف تلك العبارات كثيراً من الدعاوى المسيئة للرسول وللإسلام ، حيث يرى أن محمداً إنسان الخطية الذى يظهر ويعلو قبل المجيء الثانى للمسيح عليه السلام ، والذى سمح الرب بظهوره و نشر دعوته فقط كى يكون أداة تأديب وعقاب كى تفيق الكنيسة الضالة ، وهو يجتهد فى التلفيق كى يثبت أن إنجازات محمد هى من أعمال الذكاء الإنسانى الذى قدر الرب نجاحها على رغم أنها من أعمال الهرطقة عندما تمكن محمد من بناء إمبراطورية إسلامية استطاعت فى غضون ٨٠ عاما أن تبسط سلطانها على ممالك أوسع مساحة من إمبراطورية روما التى استغرق إنشاؤها ٨٠٠ عام نكايَةً فى ضلال الكنيسة ، وقد كان جورج بوش الجد وكتابه من مؤسسى المسيحية الصهيونية فى العالم الغربى بصفة عامة وأمريكا على وجه الخصوص ومن ناحية أخرى ورث الابن جورج بوش الاب صاحب مؤامرة العراق فيما عرف بحرب تحرير الكويت بما فيها من أصابع يهودية أمريكية ، والتى اكتملت حلقاتها بحرب احتلال العراق فى ٢٠٠١ بعد أحداث ١١ سبتمبر ذات الأصابع اليهودية الخفية هى الأخرى وبذلك اكتملت حلقة الجد بالابن بالحفيد تحت نفس السعى (آل بوش).

وخلال ممارستى للعمل الدبلوماسى من منتصف الخمسينات إلى أوائل التسعينات أتحت لى العديد من الفرص لمناقشة الدبلوماسيين الأمريكيين والغرب حول قضية فلسطين التى كانت - ولا تزال - محوراً وبنداً رئيسياً للدبلوماسية

المصرية، حيث وجدت إجماعاً من الدبلوماسيين الأمريكيين عن سيطرة اليهود على السياسة الأمريكية، وأن تلك نقطة ضعف في كيان الإدارة الأمريكية تعود إلى هجرة المسيحيين واليهود من أوروبا خلال القرن الخامس عشر إلى قارة أمريكا بعد اكتشافها وبناء وتأسيس ما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية.

ويفسرون ذلك بأن يهود أوروبا كانوا عنصرًا هامًا من الهجرة الأوروبية إلى أرض أمريكا ذلك العالم الجديد new world الذى تم اكتشافه منذ قرون.

وهجرة يهود أوروبا كانت أساسًا هربًا من اضطهاد الأوروبيين بصفة عامة لليهود فى تلك الحقبة من الزمن التى سبقت اكتشاف أمريكا والأمر الذى جعل هؤلاء المهاجرين اليهود يعملون على أن تكون الدولة الأمريكية الجديدة هى دولة يهودية التفكير والتأثير تحفظ لليهود كرامتهم وشخصيتهم بل الأمل فى امتداد التأثير اليهودى الأمريكى للضغط على أوروبا لوقف اضطهاد من لم يهاجر من اليهود وعملوا على نشر دين جديد يسمى «اليهودية المسيحية» والزائر للمتحف التاريخى فى واشنطن يستطيع أن يتأكد أن العنصر اليهودى كان فعلاً جزءاً هاماً من الهجرة الأوروبية للعالم الجديد.

وانتهى الأمر بيهود أمريكا أن يسيطروا على النواحي الدينية والتعليمية والقانونية والإعلامية من صحافة وإذاعة وتليفزيون بالإضافة إلى تملك رأس المال عصب النشاط الاقتصادى كل ذلك بطريقة يصعب معها حالياً التخلص من هذا النفوذ اليهودى فى كل هذه المجالات والذى انعكس على السياسة الخارجية الأمريكية وضياع القرار فى الإدارة الأمريكية ويضيف الدبلوماسيون الأمريكان أن الشعب الأمريكى فى ظل هذه السيطرة غير قادر على التحرير وتخليص الإدارة الأمريكية من هذه السيطرة والنفوذ اليهودى على رغم الحقيقة البارزة من أن نسبة اليهود ضئيلة فى نسج المجتمع الأمريكى فالأغلبية العظمى من الشعب الأمريكى يدينون بمعتقدات أخرى غير اليهودية بل يسود الشعب الأمريكى شعور بالكراهية الدفينة لليهود هذه الكراهية كانت لها مظاهر علنية، وقد تمثلت هذه الكراهية فى خطاب الرئيس

الأمريكي فرانكلين والذى وجهه للشعب الأمريكى يحذرهم فيه من تغلغل اليهود فى المجتمع الأمريكى عام ١٧٨٩ عند وضع الدستور الأمريكى قائلاً:
أيها السادة فى كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى، وافسدوا الذمة التجارية فيها، ولايزالون منعزلين لا يندمجون عند وضع الدستور الأمريكى أى منذ ١٦٧ عاماً: بغيرهم، إنى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم، إن اليهود لن يصبحوا مثلنا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقم «وقد سبق أن أشرت إلى هذا الخطاب الهام فى ملف دمنهورى فى الصحافة وشركة شل.

كما أن اليهود فى أمريكا - وعددهم ما يقرب من ٦ ملايين يهودى (وهو عدد أكثر من عدد سكان يهود إسرائيل) - متمركزون فى نيويورك عاصمة المال والسياسة الأمريكية كما لم يغادروا أمريكا إلى الوطن الأم كما يدعون وهو ما يسقط أن إسرائيل دولة الرب لشعب الله المختار، إذا كيف يتركون مقر الأمم المتحدة (نيويورك) ويذهبون إلى عاصمة الرب؟!

وقد تجسد خطورة التغلغل الصهيونى فى المجتمع الأمريكى فى مقتل الرئيس كيندى الكاثوليكى بيد (خفية إسرائيلية) وإلصاق التهمة لشخصية عربية حينما فكر كيندى فى التفتيش على السلاح النووى الإسرائيلى.

كما أن بعضاً من الدبلوماسيين الأمريكان اشتركوا مع بعض الدبلوماسيين البريطانيين فى تقديم كل منهما إلى حكومته للاهتمام بقضية فلسطين كما هو واضح فى موضوع رسالة الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكان بكتابى هذا ومن أخطر الشخصيات التى لمست خطورتها وزير الخارجية اليهودى كيسنجر الذى لا يزال هو المحرك من وراء ستار للإدارة الأمريكية والذى كان له دوره فى اتفاقية كامب ديفيد مع مصر.

وأود أن أقول للإدارة الأمريكية إنه إذا وجد الأصل بطل الظل والظل هنا هو إسرائيل، فمتى نرى الخطوة الجريئة من الإدارة الأمريكية (الأصل)، حتى

تعلن على العالم كله أن الضرورة التي دعت إلى خلق كيان إسرائيلى (الظل) فى قلب العالم العربى للدفاع عن المصالح الغربية وعلى رأسها المصالح الأمريكية، إن هذه الضرورة انتهت بسيادة أمريكا نفسها، خاصة بعد احتلالها للعراق علنا، وأمريكا بهذه السياسة الجديدة تستطيع أن تقضى على التواجد الإسرائيلى فى فلسطين فلا حاجة للظل أن يستمر فى دوره ويحل الأصل محله، وهكذا يكون وضع فلسطين - كما هو الحال بالنسبة للعراق أيضا - أن يتخلص من الاحتلال العسكرى الأمريكى مهما طال الزمن فقد احتلت فرنسا الجزائر ١٣٠ عاما وانتهى الاحتلال واحتلت بريطانيا مصر ٨٠ عاما كما احتلت هونج كونج الجزيرة الصينية لمدة ٩٩ عاما وانتهى احتلال بريطانيا لمصر وهونج كونج واحتلت القوات الصليبية فلسطين ٢٠٠ عام وانتهى الاحتلال، أما أن يتحول الأمر إلى استيطان اليهود لفلسطين وتكوين دولة يهودية بقرار إلهى يقول أرض الميعاد لشعب الله المختار فتلك هى الطامة الكبرى على الوطن العربى بل والعالم كله.

ختاما أكرر إذا حضر (الأصل) يظل (الظل) أو إذا حضر الماء بطل التيمم فلا لإسرائيل ولكن يمكن القول لأمريكا مصيرك الرحيل عن أى بلد يخضع لقواتك العسكرية مهما طال الزمن.

٥ - رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين

عند الحديث فى كتابى هذا عن ذكرياتى فى دولة قطر حيث تناولت موضوع علاقتى وتماثل موقفى مع موقف سفير أمريكا لدى قطر (المستر اندرو كيلجون) عندما كنت أنا أمارس مهمة رئيس بعثة رعاية المصالح المصرية فى قطر وذلك بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدول العربية ومنها قطر مع مصر ويمكن للقارئ العزيز أن يعود لهذه الذكريات لأننى أعتقد أنه من قبيل المصادفة غير المنتظرة وغير المتوقعة أن يكون لى لقاء آخر مع نفس السفير الأمريكى بعد مرور ما يقرب من ربع قرن ولكن الاتصال هذه المرة كان عن طريق المراسلات.

نشرت الصحف ووكالات الأنباء فى النصف الأول من عام ٢٠٠٤ نص الرسالة التى بعث بها حوالى خمسين سفيراً أمريكياً سابقاً للرئيس بوش وكذا رسالة أكثر من خمسين سفيراً بريطانياً سابقاً للرئيس الوزراء بليز وكان موضوع هاتين الرسالتين هو موقف البلدين بالنسبة للشرق الأوسط وقد اتضح أن السفير الأمريكى سابق الإشارة إليه يرأس مجموعة السفراء الأمريكيين، الأمر الذى رأيت من واجبى أن أوجه له رسالة من القاهرة على صفحات إحدى الجرائد اليومية عن طريق السفير الأمريكى المعتمد لدى مصر.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لقضية فلسطين فقد رأيت أن أضع ترجمة الرسالتين كما نشرتهما الـ BBC باللغة الإنجليزية لهاتين الرسالتين ليكون كتابى هذا حفظاً لهذا العمل الدبلوماسى المعلن بالنسبة لقضية العرب قضية فلسطين.

كما رأيت أن أضع فى السطور القادمة نص رسالتى الشخصية التى وجهتها للسفير الأمريكى السابق فى الدوحة عاصمة قطر (المستر/ أندرو كيلجون).

رسالة إلى السفير الأمريكى

عزيزى السفير/ أندرو كيلجون (سفير أمريكا لدى دولة قطر ما بين ١٩٧٧

إلى ١٩٨٠)

آثار اهتمامي ما أذاعته وكالات الأنباء العالمية حول الرسالة التي وجهها أكثر من خمسين دبلوماسياً أمريكياً سابقاً للرئيس جورج بوش الابن حول سياسة أمريكا في الشرق الأوسط في ٦ / ٥ / ٢٠٠٤ وأسعدني أنني وجدتك يا صديقي العزيز على رأس الموقعين على هذه الرسالة، فأعاد ذلك إلى نفسي ذكريات تعود إلى ما يقرب من ربع قرن عندما كنت رئيساً لبعثة رعاية مصالح مصر لدى دولة قطر بعد قطع العلاقات بين غالبية الدول العربية ومصر بسبب (اتفاقية كامب ديفيد).

أتذكر يا صديقي تلك الظروف المتشابهة التي كنا فيها، كنا في مركب واحد، حيث كنت أنت في ظروف مقاربة لظروفي نتيجة احتجاج عدد من الرهائن الأمريكيين في مبنى السفارة الأمريكية في طهران عام ١٩٧٩ على أثر قيام ثورة الخميني الإسلامية، هذه الفترة العصيبة التي كنت أنا وأنت خلالها نعيش تحت حراسة قوات الأمن القطرية نتيجة التوتر الحادث في المنطقة لبلدينا (مصر وأمريكا)، الأمر الذي ساعد على ازدياد مساحة الحوارات غير الرسمية بيننا، تلك الحوارات التي تتسم بالصراحة والشفافية وقد زاد على زيادة مساحة هذه الحوارات أيضاً تقلص نشاطنا الدبلوماسي الرسمي في تلك الفترة نتيجة الظروف.

أتذكر أنني خلال هذه الحوارات أكدت لك على ضرورة وجود رؤية جماعية من السفراء الأمريكيين القدامى الذين عملوا ولا زالوا لدى الدول العربية والإسلامية، بحيث تكون هذه الرؤية قادرة على توجيه الإدارة الأمريكية من أجل اتخاذ موقف متزن وسياسة حكيمة تجاه الأطراف المتنازعة في الشرق الأوسط، خاصة وأن أمريكا سبق لها أن قامت بدور إيجابي مع مصر تجسد في تدخلها ضد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فأجبرتهم على الانسحاب من سيناء بالكامل، كما كان لها دورها البارز في اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ بصرف النظر عن سلبيات أو إيجابيات المعاهدة.

صحيح أن رسالتكم هذه جاءت تابعة لرسالة أكثر من خمسين دبلوماسياً بريطانياً سابقاً لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير تجاه نفس القضية ونفس الموضوع، رافضة

لسياسات رئيس الوزراء البريطانى حول الشرق الأوسط خاصة العراق والقضية الفلسطينية واصفة السياسة البريطانية بالتبعية المطلقة لسياسة الرئيس بوش، صحيح كل ذلك، لكن رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين تؤكد حكمة (وشهد شاهد من أهلها)، لأنكم كدبلوماسيين سابقين أظهرتم قلقكم الشديد من سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، تلك السياسة التى تضر بالمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، كما أظهرتم قلقكم من تصديق الإدارة الأمريكية على خطة شارون أحادية الجانب والتى تتجاهل حقوق ثلاثة ملايين فلسطينى وتتجاهل حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، كما تبقى المستوطنات غير الشرعية فى الضفة الغربية المحتلة، مؤكدين على أن تلك الخطة تتجاهل القوانين الدولية والشريعة كما تنتهك قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٨ والذى يؤكد حق اللاجئين فى العودة إلى ديارهم، كما أنها تنقض خطة خريطة الطريق التى أعدتها اللجنة الرباعية والتى تضم (أمريكا - روسيا - الاتحاد الأوروبى - الأمم المتحدة). وهى أخيراً تمثل تحولاً للسياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط.

لقد رفضت يا صديقى القديم أنت وزملاؤك الدبلوماسيون إصرار الرئيس بوش على استبعاد الجانب الفلسطينى من مفاوضات السلام، الأمر الذى أدى إلى وفاة عملية السلام وإغلاق باب المفاوضات واستبعاد إمكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة، بل وأثبت ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية شريك غير محايد.

وكم كنتم شديدي الموضوعية حينما أكدتم للرئيس الأمريكى أنه وضع دبلوماسية فى الخارج (لاسيما فى الدول العربية والإسلامية) فى موقف لا يمكن الدفاع عنه، بل وفى موقع الخطر نتيجة الدعم الأمريكى لاغتيالات إسرائيل غير العادلة لخطة السلام، وتأييد السياسة الأمريكية لجدار إسرائيل الذى يشبه حائط برلين، وإجراءات إسرائيل العسكرية فى المناطق المحتلة، الأمر الذى يفقد أمريكا مصداقيتها وسمعتها وأصدقائها إنكم بهذه الرسالة الهادئة المتزنة تؤكدون أن الوقت لم يفت لإعادة التأكيد على مبادئ العدالة الأمريكية والعالم الحر والتى يجب أن

تقوم عليها علاقات الولايات المتحدة مع الجميع لاسيما فى الشرق الأوسط خاصة بعد أن طالبتم الإدارة الأمريكية بدعم سبيل التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين عن طريق قيام الولايات المتحدة بدور الوسيط الأمين.

إن التوافق الفكرى بين رسالتكم ورسالة الدبلوماسيين البريطانيين جاءت بمثابة إنذار مبكر يحذر من تفاقم الهوة بين الغرب والشرق، تؤكد استمرار تصوير أمريكا وبريطانيا (صاحبة تصريح بلفور) فى العالمين العربى والإسلامى كشركاء فى احتلال غير قانونى ووحشى للعراق أدى إلى حدوث فوضى لبلد عريق ولا يعرف أحد ماذا ستسفر عنه الأحداث فى المنطقة فى المرحلة القادمة.

وأعرفك يا صديقى أنى بصفتى عضواً فى المجلس المصرى للشئون الخارجية قد دعوت إلى ضرورة التواصل مع هذه الدعوات وهذه الآراء الهادئة والعاقلة من أجل بلورة رأى عام دولى يخدم القضايا الحقيقية للسلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

وأخيراً اسمح لى يا صديقى أن أقدم لكم أنت وزملاءك الدبلوماسيين خالص تقديرى وإعجابى بهذه الرسالة العاقلة والتي اتسمت بمصداقيتها وشفافيتها، أما المصداقية لأنها صدرت عن أناس لهم خبرة بالعمل الدبلوماسى عامة وبأوضاع الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وأما الشفافية فلأنها جاءت بخطاب جديد لم يألفه العرف الدبلوماسى علانية من قبل، وهو ما دعانى أستخدم نفس الأسلوب العلنى فى خطابى إليك عبر الصحافة المصرية اتساقاً مع مبدأ الشفافية الذى أقررتموه فى علانية رسالتكم.

وإلى أن نلتقى مرة أخرى إن شاء الله لك أطيب الأمنيات.

صديقك القديم

فتحى الجوىلى

أولاً - ترجمة رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين نقلًا عن مجلة الدبلوماسية الصادر في مايو ٢٠٠٤.

سيادة الرئيس:

نحن دبلوماسيون أمريكيون سابقون نحى زملاءنا البريطانيين الاثني والخمسين الذين وجهوا رسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني توني بليز تحمل انتقادهم لسياسته فيما يتعلق بالشرق الأوسط، ومطالبتهم لبريطانيا بممارسة تأثير أكبر على الولايات المتحدة.

ونحن، كرجال سابقين في السلك الدبلوماسي، نهتم اهتماماً كبيراً بسياسة بلادنا الأمنية الخارجية، كما نهتم بمصادقية الولايات المتحدة أمام العالم. ونحن أيضاً قلقون للغاية من تصديقكم يوم الرابع عشر من نيسان على خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي، أرييل شارون، أحادية الجانب، والتي تتجاهل حقوق ثلاثة ملايين فلسطيني، وتتجاهل حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، كما تبقى المستوطنات غير الشرعية الخمس الكبرى في الضفة الغربية المحتلة. هذه الخطة تتجاهل قوانين دولية تعتبر بناء هذه المستوطنات أو الإبقاء عليها عملاً يفتقد إلى الشرعية.

كما أنه تنتهك قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، الصادر في ١٩٤٨، والذي يؤكد حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، أو استحقاقهم تعويضات كبديل عن العودة، وكذلك استحقاقهم للمساعدة في الاستقرار في بلد آخر إذا ما اختاروا ذلك كما أنها تنتقض خطة خريطة الطريق التي أعدتها اللجنة الرباعية، والتي تضم الولايات المتحدة، وهي أخيراً تمثل تحولاً للسياسة الأمريكية الثابتة في منطقة الشرق الأوسط وقد جاء اجتماعك مع شارون بعد سلسلة من جلسات المفاوضات المكثفة بين الإسرائيليين والأمريكيين، ولكنها مفاوضات لم يمثل فيها الجانب الفلسطيني، والحقيقة هي أنك ورئيس الوزراء الإسرائيلي، أرييل شارون، قد دأبتما على استبعاد الفلسطينيين من مفاوضات السلام. وقد عبر ياسر عبد ربه، وزير الإعلام

الفلسطيني السابق، عن رد الفعل العالمى الساحق عندما قال: إنه يعتقد أن الرئيس بوش قد أعلن وفاة عملية السلام اليوم.

وبإغلاق باب المفاوضات مع الفلسطينيين، واستبعاد إمكانية إقامة دولة فلسطينية مستقلة، تكون قد أثبتت أن الولايات المتحدة شريك غير محايد فى عملية السلام. لقد وضعت الدبلوماسية والمدنيين والعسكريين الذين يعملون فى الخارج فى موقع لا يمكن الدفاع عنه، بل وفى موقع الخطر.

إن دعمك بغير أى تحفظ لاغتبيالات شارون غير العادلة، وتأييدك لجدار إسرائيل الذي يشبه حائط برلين، ولإجراءات إسرائيل القاسية فى المناطق المحتلة، ثم تصديقك على خطة شارون أحادية الجانب يفقد بلادنا مصداقيتها وسمعتها وأصدقائها.

إن الوقت لم يفت بعد لإعادة التأكيد على مبادئ العدل والإنصاف الأمريكية التى تقوم عليها علاقاتنا مع الجميع فى الشرق الأوسط، ونطالبك بدعم سبيل التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، عن طريق قيام الولايات المتحدة بدور الوسيط الأمين.

إن العودة إلى تقاليد العدالة الأمريكية الأصلية سيغير اتجاه الوضع الحالى المتمثل بغياب الثقة فى أوروبا والشرق الأوسط، بل وحتى فى العراق.

وحيث إن الصراع الإسرائيلى الفلسطينى يمثل مشكلة المشاكل فى الشرق الأوسط، فإن الارتياح سيعم المنطقة والعالم مع الفلسطينيين والإسرائيليين إذا ما توقفت عمليات القتل، وعادت عملية السلام إلى مسارها.

المخلصون :

- أندرو آى كيلجور ، سفير إلى قطر، ١٩٧٧ - ١٩٨٠.
- ريتشارد إتش كيرتس، كبير مفتشين سابق، وكالة المعلومات الأمريكية.
- كولبيرت سى هيلد، متقاعد إف إس أو ومؤلف.
- توماس جى كارولان، مستشار عام فى استانبول ٨٨ - ٩٢.

- سى ادوارد بيرنير، مستشار السفارة والمعلومات والثقافة، إسلام آباد.
- دونالد كروس، القنصل الأمريكى فى القدس.
- السفير إدوارد إل بيك، رئيس بعثة سابق فى العراق وموريتانيا .
- جون باول ، مستشار إدارة فى بيروت ٧٥ - ٧٦.
- جون جانتر دين، كان آخر مناصبه هو السفير الأمريكى إلى الهند.
- جريج ثييلمان، مدير، مكتب للانتشار الاستراتيجى والشئون العسكرية، مكتب المخابرات والبحوث.
- جيمس أكينز، سفير إلى المملكة العربية السعودية.
- تالكوت سييل، سفير إلى سورية.
- يوجين بيرد، مستشار السفارة فى المملكة العربية السعودية.
- ريتشارد إتش نولت، سفير إلى مصر.
- راى كلوز، رئيس المحطة بالمملكة العربية السعودية ١٩٧١ - ١٩٧٩.
- شيرك ماكارثر، ملحق تجارى، بانكوك.

ثانيا - ترجمة رسالة الدبلوماسيين البريطانيين نقلًا عن مجلة

الدبلوماسية الصادر في مايو ٢٠٠٤

السيد رئيس الوزراء، نحن - الموقعين - أدناه، السفراء والمندوبون السامون والحكام والموظفون وكبار الموظفين الدوليين سابقا، بعضنا يمتلك خبرة طويلة في منطقة الشرق الأوسط والبعض الآخر اكتسب خبرته في أماكن أخرى، نلاحظ بقلق بالغ السياسات التي اتبعتها في المشكلة العربية الإسرائيلية والعراق، في إطار تعاون وثيق مع الولايات المتحدة، وفي أعقاب المؤتمر الصحفي الذي عقدته في واشنطن والذي أعدت فيه أنت والرئيس بوش تأكيد هذه السياسة، نشعر أن الوقت قد حان لإعلان قلقنا، على أمل مواجهتها في البرلمان وإجراء إعادة تقييم أساسية، إن قرار الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة لإعلان «خريطة طريق» لتسوية النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني عزز الأمل بأن القوى العظمى ستبذل، في النهاية، جهدًا جماعيًا ومحددًا لحل المشكلة التي أدت، أكثر من أي شيء آخر، لتسميم العلاقات بين الغرب والعالمين الإسلامي والعربي، لعقود، إن المبادئ القانونية والسياسية التي يمكن مثل هذه التسوية الاعتماد عليها كانت واضحة: فقد تعامل الرئيس ك्लينتون مع المشكلة خلال رئاسته، والعناصر اللازمة لمثل هذه التسوية مفهومة جيداً كما تم التوصل إلى العديد من الاتفاقيات غير الرسمية حول العديد منها، ولكن الآمال كانت واهية لم يجر أي شيء فعال سواء لدفع المفاوضات إلى الأمام أو الحد من العنف، إن بريطانيا وغيرها من الدول الراحية لخريطة الطريق انتظرت القيادة الأمريكية، ولكن بدون طائل، إن الأسوأ لم يأت بعد، فيعد كل هذه الشهور الضائعة واجه المجتمع الدولي إعلان أرييل شارون والرئيس بوش للسياسات الجديدة أحادية الجانب وغير القانونية التي ستؤدي إلى إراقة مزيد من الدماء الفلسطينية والإسرائيلية، يزيد استيائنا من هذه الخطوة للوراء أنك أيديتها فيما يبدو متخلياً عن المبادئ التي استرشدت بها على مدى نحو أربعة عقود الجهود الدولية لإقرار السلام في الأراضي المقدسة،

هذا التخلي عن المبدأ يأتي في وقت يجرى تصويرنا، سواء بحق أم بغير حق في العالمين العربي والإسلامي، كشركاء في احتلال غير قانوني ووحشي للعراق، إن إدارة الحرب في العراق أوضحت أنه ليست هناك خطة فاعلة للتسوية في مرحلة ما بعد صدام كل هؤلاء الذين يملكون خبرة في شؤون المنطقة كانوا يتوقعون أن احتلال العراق من قبل قوات التحالف سيواجه بمقاومة خطيرة وعنيدة، وهذا ما ثبت فعلا، أما وصف المقاومة بأنها تقاد من إرهابيين ومتطرفين وأجانب فأمر غير مقنع وغير مفيد، ينبغي أن تأخذ السياسة في الاعتبار طبيعة وتاريخ العراق، البلد الأكثر تعقيدا في المنطقة، مهما كان كبيرا عدد العراقيين الذين يتطلعون إلى إنشاء مجتمع ديمقراطي، فإن الاعتقاد أن يوسع الائتلاف إنشاء هذا المجتمع يعتبر ضرباً من السذاجة، فهذا هو رأى كل الخبراء المستقلين والمتخصصين في شؤون الشرق الأوسط في كل من بريطانيا وأمريكا. نود أن ننوه بارتياح هنا بترحيبكم والرئيس بوش بالمقترحات التي طرحها الأخضر الإبراهيمي يجب أن نكون على استعداد لتقديم الدعم الذي يطلبه الإبراهيمي ومنح الأمم المتحدة الصلاحيات اللازمة للعمل مع العراقيين أنفسهم. بمن في ذلك العناصر التي تشارك الآن بنشاط في مقاومة الاحتلال، للخروج من الفوضى. يجب أن يكون العمل العسكري لقوات التحالف منقادا بالأهداف السياسية ومتطلبات المسرح العراقي نفسه وليس المعايير البعيدة عن ذلك ليس من الكافي القول بأن استخدام القوة أمر متروك للقادة العسكريين المحليين، فالأسلحة الثقيلة التي لا تتناسب مع المهمة المطروحة واللهجة الحادة والمواجهات الحالية في كل من النجف والفلوجة ساعدت في مجملها في بناء المعارضة بدلا من عزلها، العراقيون الذين لقوا حتفهم على يد قوات التحالف يتراوح عددهم بين ١٠ و ١٥ ألف شخص لعله من المخزى ألا تكون لقوات التحالف نفسها إحصائية تقريبية فيما يبدو، كما يبدو أن عدد العراقيين المدنيين الذين قتلوا في الفلوجة وحدها خلال شهر قد بلغ عدة مئات بمن في ذلك رجال ونساء وأطفال، عبارات مثل «نحزن لفقدان كل روح إننا نحبيهم ونحیی أسرهم

على شجاعتهم وتضحيتهم»، التي تشير فيما يبدو فقط إلى أولئك الذين قتلوا في صفوف التحالف، لا تساعد في تهدئة الغضب والانفعالات التي أثارها قتل هؤلاء، نشارككم الرأي في أن للحكومة البريطانية مصلحة في العمل عن كثب مع الولايات المتحدة في هذه القضايا وفي ممارسة نفوذ حقيقي كحليف موال لها، نعتقد أن ثمة حاجة ملحة وعاجلة إلى مثل هذا النفوذ. أما إذا بات هذا الأمر غير مقبول أو غير مرحب به، فليس هناك مبرر لتأييد سياسات محكوم عليها بالفشل. السير غراهام بويس (سفير بريطانيا لدى مصر ١٩٩٩ - ٢٠٠١).

- السير تيرنس كلارك (سفير بريطانيا لدى العراق ١٩٨٥ - ١٩٨٩).

- فرانسيس كورنيش (سفير بريطانيا لدى إسرائيل ١٩٩٨ - ٢٠٠١).

- السير جيمس كريغ (سفير بريطانيا لدى السعودية ١٩٧٩ - ١٩٨٤).

- إيفوار لو كاس (سفير بريطانيا لدى سوريا ١٩٨٢ - ١٩٨٤).

- ريتشارد موير (سفير بريطانيا لدى الكويت ١٩٩٩ - ٢٠٠٢).

- السير كر يسبين تيكيل (سفير بريطانيا الدائم لدى الأمم المتحدة ١٩٨٧ - ١٩٩٠).

- السير هارولد ووكر (سفير بريطانيا لدى العراق ١٩٩٠ - ١٩٩١) بالإضافة إلى ٤٤ آخرين.

وأود أن أنهى هذا الموضوع بفكرة راودتني كثيراً كحلم لكنني أؤمن بأن كل حقيقة وفكرة عظيمة كانت في البداية حلماً.

الفكرة تتركز في تكوين رابطة أو جمعية أو انتماء للدبلوماسيين والمسلمين العرب القدامى ويكون أعضاؤها السفراء العرب والمسلمين المحالين إلى المعاش «التقاعد» بعد أن أتموا رسالتهم ببلوغ سن التقاعد وأهم أهداف هذا التجمع للدبلوماسيين القدامى تبادل المؤلفات والمذكرات الشخصية للسفراء الذين سجلوا تجاربهم وآراءهم - وذلك خلال اجتماع دورى يعقد مرة كل سنة في عواصم العالم العربى والإسلامى على أن يكون هناك مقر دائم لسكرتارية أو أمانة عامة وأعتقد وبكل جدية أن يكون المقر في

الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية والتي هي بحق وبحكم التاريخ الوطن الأم للعروبة والإسلام خاصةً وأن جدة هي المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ويمكن النداء والدعوة إلى هذه الفكرة تمهيداً لتنفيذها بالشكل الرسمي أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي في اجتماعه القادم، حيث يفتح باب الدعوة للسفراء القدامى العرب والمسلمين للاجتماع للتباحث وتقرير كيفية إعلان قيام هذا التجمع «رابطة السفراء القدامى العرب والمسلمين» ويتم جمع الأعمال والمؤلفات المقدمة سنوياً وتنشر كنوع من سلسلة «الموسوعة الدبلوماسية العربية والإسلامية» وتشرح للعالم الدبلوماسي العالى موقف الدبلوماسية العربية الإسلامية من القضايا العالمية.

٦- إسرائيل ونهر النيل

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَفَقَنَهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الأنبياء)

نعم الماء سر الوجود، سر الحياة، سر البقاء، بدونه تنعدم الحياة، ومن غيره لا يستطيع الإنسان أن يعيش، لذا يظل موضوع المياه وخاصة فى منطقة العالم العربى وعلى رأسه مصر واحداً من الموضوعات التى تحمل آمالاً بالتعاون المستقبلى، كما تحمل احتمالات أكبر بالنزاع.

ولم يكذب هيرودت عندما قال: إن مصر هبة النيل، فلولاها ما وجدت الحضارة المصرية القديمة بكل عظمتها وسموها وتحديدها للزمن، وهذا أمر رعاه المصريون منذ الوهلة الأولى، لذا جعلوا (حابى) النيل مصدر الحياة والنماء والخصوبة، قدره لدرجة وصلت إلى مرحلة التقديس والتأليه، ولم لا وهو فى عيونهم وعيوننا سر البقاء والخلود؟. وربما يكون ذلك هو الذى دعا أمير الشعراء شوقى إلى أن يقول عن النيل:

من أى عهد فى القرى تتدفق	وبأى كف فى المداين تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت	من عليا الجنان جداولاً تترقق
تابوت موسى لا تزال جلاله	تبدو عليك له ورياً تنشق
وجمال يوسف، لا يزال لساؤه	حوليك فى أفق الجلال يرتق
ودموع إخوته، رسائل توبة	مسطورهن بشاطئيك منمق
وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل	يزكو لذكراها النبات ويسمق
وخطا المسيح عليك روحاً طاهراً	بركات ربك والنعيم العندق
وودائع القاروق ^(١) عندك دينه	ولساؤه وبيانه والمنطق

(١) القاروق هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى دخل الإسلام مصر فى عهده.

وفى وصف عروس النيل ذكر الشاعر أحمد شوقي فى القصيدة نفسها :
ألقت إليك بنفسها ونفيسها وأنتك شيقة حواها شيق
خلعت عليك حياها وحياتها وأعز من هذين شىء ينفق
وقد كانت مصر ولا زالت حريصة على تعظيم علاقاتها بشركائها فى حوض
النيل فعمدت اتفاقية مع السودان عام ١٩٥٩ قبل بدء العمل فى السد العالى
ومضمونها اقتسام المياه التى سيحتجزها السد.

ثم بعد سنوات فكرت مصر فى أن تنشئ منظمة لدول حوض النيل تكون معنية
بأموره، وكان أول اجتماع لها فى الخرطوم فى نوفمبر عام ١٩٨٣ ، وقد أطلق على
هذه المنظمة اسم الإندوجو وتعنى بالإفريقية الإخاء (مصر - السودان - أوغندا
- أثيوبيا - كينيا - تنزانيا).

جدير بالذكر أنه قد سبق كل ذلك اتفاقية عام ١٩٢٩ بين مصر ودول حوض
النيل، والتى كانت بين مصر وأوغندا وكينيا وتنجانيقا (تنزانيا حالياً) وبريطانيا
نايئة عن السودان.

ويهمنى كمؤلف للكتاب أن أتوه وأسجل بأهمية البحث الذى صدر عن معهد
الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية - الدورة ٢٤ فى عام ١٩٩٢ - عن الأطماع
الإسرائيلية فى المياه العربية مع التطبيق على نهر النيل ونقلاً عن هذا البحث
أقول: إن النيل العظيم لم يسلم من المخططات الصهيونية منذ أن دعا هرتزل إلى
إقامة وطن قومى لليهود، فمحاولات الصهيونية للحصول على مياه النيل قديمة
قدم محاولات الاستيلاء على فلسطين، وهو الأمر الذى ظهر فيما تقدم به هيرتزل
للحكومة البريطانية والحكومة المصرية عن طريق المعتمد البريطانى فى مصر اللورد
كرومر (حيث كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩٥٤) بمشروعه
الذى كان يهدف إلى تحويل مياه النيل إلى سيناء بهدف إنشاء مستعمرة يهودية فى
شبه جزيرة سيناء، وقد أحيط المشروع بسرية تامة من المنظمة اليهودية والحكومة
البريطانية واللورد كرومر، وقد قوبل المشروع بالموافقة من قبل لندن، كما أراد

هيرتزل الحصول على تعاقداً لمدة ٩٩ عاماً قابلة للتجديد بحق امتياز اليهود للقناة الموصلة للمياه، بل والحظر على الحكومة المصرية التصرف في بقية سيناء، وقد كون هيرتزل بعثة فنية تضم خبراء جيولوجيين وزراعيين ومهندسين يهودياً بغرض زيارة سيناء في شهرى فبراير ومارس ١٩٠٣ لتدرس الموقف على الطبيعة. وقد قابل هيرتزل بطرس باشا غالى رئيس نظارة الخارجية المصرية حينذاك من أجل المشروع، وقد وافق بطرس غالى باشا من حيث المبدأ ولكن سأله عن مسار القناة.

لكن المعتمد البريطانى اللورد كرومر رفض أن يعطى هيرتزل رداً على هذا المشروع إلا بعد أن يقدم وكيل نظارة الأشغال المصرية آنذاك (السير/ جارستين) تقريراً عن إمكانية المشروع، لكن التقرير جاء مخيباً للأمال الصهيونية، حيث أكد التقرير الأضرار السلبية التى ستقع على مصر وأراضيها بسبب هذا المشروع، مؤكداً على الأنفاق المقترحة تحت قناة السويس ستثير مصاعب فنية ومشاكل ضخمة لأن تمرير ٥٠ متراً مكعباً فى الثانية من خلال النفق يتطلب على الأقل مد ثمانية أنابيب قطر كل منها متران مما قد يؤدى إلى تعطيل الملاحة فى القناة ونفهم من ذلك أن رفض اللورد كرومر للمشروع لم يكن بهدف الدفاع عن أراضى مصر ومياه نيلها وإنما الخوف على المصالح البريطانية المثلة فى الملاحة فى قناة السويس ولهذا السبب قامت بريطانيا باحتلال مصر بالكامل عام ١٨٨٢.

وقد تجددت محاولات تيودر هيرتزل على يد المهندس اليهودى إليشع كيلي، الذى دعا إلى تحويل مياه النيل إلى صحراء النقب بدلاً من سيناء، وقد نشر المشروع فى صحيفة معاريف الإسرائيلية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٨، حيث اقترح كيلي لنقل الماء بواسطة أنابيب تحت قناة السويس بجانب الإسماعيلية، وفى الجانب الآخر تصب المياه فى قناة مبطنه بالخرسانة تقع فى الشمال الغربى بالقرب من طريق العريش حتى خان يونس، وفى خان يونس يتشعب مجرى المياه إلى طريقين واحد لقطاع غزة وآخر نحو بئر سبع، ولهذا تكون القناة من الإسماعيلية إلى خان يونس بطول ٢٥٠ كم.

وأكد كيلى أن حصة مصر من مياه النيل لن تضار إذا حصلت منها إسرائيل على ١٪، فهذا المقدار لا يعنى شيئاً لمصر، لكن الاقتراح لقي رفضاً من الحكومة المصرية والرأى العام المصرى.

ويعد اتفاقية (كامب ديفيد ١٩٧٩ ومعاودة السلام مع إسرائيل) تقدمت إسرائيل إلى السادات بعدة مشاريع بهدف الحصول على ١ ٪ من حصة مصر من مياه النيل، والغريب أن السادات وافق على الاقتراح وأمر بدراسة مشروع يصل مياه النيل بالقدس (وليس سيناء أو النقب كما كان يحلم الإسرائيليون).

وقد أشارت مجلة أكتوبر العدد ٤٦ فى ٢٤ / ١٢ / ١٩٧٩ إلى أن الرئيس السادات أعلن يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٧٩ أنه أعطى إشارة البدء فى حفر ترعة السلام بين فارسكو والتينة عند الكيلو ٢٥ طريق الإسماعيلية وبورسعيد لتتجه نحو قناة السويس لتروى نصف مليون فدان، وقد التفت الرئيس السادات إلى المختصين وطلب منهم عمل دراسة علمية كاملة لتوصيل مياه النيل إلى القدس لتكون فى متناول المؤمنين المترددين على المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة وحائط المبكى وبعد حوالى عام نشرت الصحف فى (١٨ أغسطس ١٩٨٠) نص خطاب الرئيس السادات للملك الحسن - ملك المغرب - الذى أشار فيه أنه وانطلاقاً من هذا المفهوم فقد ذهبت إلى أبعد مدى مع رئيس الوزراء الإسرائيلى فى إقناعه بالتسليم بضرورة احترام حقوق العرب والمسلمين فى القدس وبوجوب وقف النشاط الاستيطانى فى الضفة الغربية وغزة والبدء بإزالة المستوطنات القائمة وكحافز للجانب الإسرائيلى عرضت عليه إمداد إسرائيل بجزء من مياه النيل لاستخدامها فى إعادة تسكين المستوطنين فى منطقة النقب بعد إجلائهم عن المستوطنات من الضفة الغربية وغزة وعلقت هذا الموضوع على شرط تعاون إسرائيل معنا فى حل مشكلتى القدس والمستوطنات.

وقال السادات بالحرف الواحد «نحن نقوم بالتسوية الشاملة للقضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى سيجعل مياه النيل مساهمة من المسلمين تخليداً لمبادرة

السلام؟! باسم مصر وأزهرها العظيم تصيح مياه النيل هي آبار زمزم لكل المؤمنين بالأديان السماوية الثلاثة ، ستكون مياه النيل دليلاً جديداً على أننا دعاة سلام وحياة وخير!؟

لكن الرأي العام المصرى فجر حملة قوية ضد اقتراحات السادات الداعية لاستخدام مياه النيل وسيلة تقارب وسلام مع إسرائيل ، لاسيما فى الصحافة المصرية ، وأثير اقتراح السادات فى مجلس الشعب ، وقد أثاره إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل ، ورد عليه كل من رئيس الوزراء مصطفى خليل ووزير الرى عبد الهادى سماحه نافين وجود الفكرة من الأصل ، وبعد وفاة الرئيس السادات أسرعَت السلطات المصرية المختصة فأوصدت الباب فوراً أمام استمرار الحديث فى أى مشروع مماثل لنقل المياه خارج الحدود المصرية.

وغير خاف على الجميع ما تبذله إسرائيل من مؤامرات خفية داخل دول منابع نهر النيل وعلى رأسها أثيوبيا أكبر المنابع ، فلقد أوعزت إسرائيل لأثيوبيا بأن تبنى خزانا لها على نهر فينشا من خلال صندوق النقد الدولى بدعم صهيونى ، لكن البنك الدولى رفض المشروع لارتفاع تكلفته. وهبت أثيوبيا وإسرائيل إلى البنك الإسرائيلى للتنمية الذى علق موافقته على موافقة حكومتى مصر والسودان.

وغير خاف أيضاً وجود ٨٥ ألف أثيوبى من الحبشة يقيمون داخل إسرائيل ، واتخاذ إسرائيل عام ٢٠٠٣ باستقدام باقى اليهود الأثيوبيين الإسرائيلىين ولاسيما الفئة المعروفة (بالفلاشا موريا) (الحبشة) وهم أثيوبيون يهود تحولوا إلى المسيحية فى وقت سابق خوفاً من الاضطهاد ، فضلاً عن سعى إسرائيل ونجاحها فى فصل الكنيسة المسيحية الأثيوبية عن الكنيسة المصرية ، كما نقلت مسئولية الإشراف على دير سلطان التابع للكنيسة المصرية فى القدس إلى الحبشة وإعلان سيلفان شالوم وزير الخارجية الإسرائيلى فى أديس أبابا فى ٨ يناير ٢٠٠٤ أن إسرائيل وأثيوبيا ستترقبان بموافقتهما المشتركة داخل الساحة الدولية لحماية مصالحهما المشتركة ، وهو الأمر الذى اتضح فى قضية الجدار العازل ، حيث كانت أثيوبيا

الدولة الإفريقية الوحيدة من بين ٨ دول التي صوتت ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتحويل قضية الجدار العازل إلى محكمة العدل الدولية للبت في مشروعية إقامته وذلك مقابل ٩٠ دولة صوتت لصالح القرار في ٨ ديسمبر ٢٠٠٣ ولا يقتصر الأثر الصهيوني على أثيوبيا ولكن ما يحدث في جنوب السودان يؤكد وجود أصابع صهيونية تسعى لفصل الجنوب، فضلاً عن دعم الحركات الانفصالية في إرتريا وكل هذه الدول في جنوب شرق إفريقيا تقابل اليمن والسعودية وتتحكم في مضيق باب المندب.

واستمراراً لسياسة الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية اتجهت إسرائيل بتحويل واستخدام مياه نهر الأردن وحاولت فعلاً الاستيلاء على مياه نهر الأردن ونهر الحصباني ونهر بانياس وتجفيف بحيرة الحولة لإقامة مستوطنات إسرائيلية، فضلاً عن تحويل نهر الدان ونهر اليرموك وكلها أنهار عربية حاولت إسرائيل ولا زالت تحاول تحويل واستغلال هذه الأنهار لمصالحها الشخصية.

واعتقد أن خطورة هذه الأطماع الإسرائيلية للمياه العربية تستوجب علي الأجيال العربية القادمة مسئولية إحباط المحاولات الصهيونية الطامعة في المياه العربية، وعلى المصريين على وجه الخصوص إحباط محاولات إسرائيل للنيل من النيل شريان الحياة في مصر.

وفي رأبي أن هذا الموضوع يجسد إلى أي حد خطورة إسرائيل التي تهدد مصر من الشرق عبر شبه جزيرة سيناء، وهو الطريق الذي اتخذته من قبل غزاة مصر عن طريق الشرق في مختلف العصور.

٧ - وداعاً عرفات

تعود ذاكرتى إلى أيام أن كنت عضواً فى السفارة المصرية لدى جمهورية الصين الشعبية، حيث اعترفت الصين بمنظمة التحرير الفلسطينية التى أنشئت عام ١٩٦٤ كما استقبلت الصين الشقيرى أول رئيس للمنظمة فى مظاهرة سياسية فى العاصمة بكين، حيث أعلن (شوا ين لآى) رئيس وزراء الصين فى كلمة رسمية أن ٧٥٠ مليون صينى (تعداد الصين آنذاك) يقفون وراء منظمة التحرير فلسطين وعودة الفلسطينيين إلى أرضهم وديارهم المغتصبة، كان ذلك فى حفل رسمى دعت إليه الحكومة الصينية جميع الدبلوماسيين الذين يمثلون دولهم لدى الصين، وكان من بينهم أعضاء السفارات العربية وهى «مصر - سوريا - الجزائر - العراق - المملكة المغربية»، وكان لهذا الحدث السياسى آثاره الإيجابية على الساحة الدولية فى التأييد الدولى للفلسطينيين خاصةً وأن موعد هذا الاستقبال السياسى كان عقب قيام الصين بامتلاك الطاقة النووية وتفجير القنبلة الذرية عام ١٩٦٤ وأصبحت عضواً فى النادى الذرى الذى اقتصر أعضاؤه آنذاك على (أمريكا - الاتحاد السوفيتى - إنجلترا - فرنسا)، وأصبح للصين قدر عالمى مميز منذ ذلك الحين.

لقد تركز هذا اللقاء فى وجدانى حتى عام ١٩٨٤ أى بعد مرور عشرين عاماً من لقاء الشقيرى أول رئيس للمنظمة، حيث كنت سفيراً لدى دولة غانا التى قامت حكومتها بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واستقبلت ياسر عرفات رئيس المنظمة استقبالاً رسمياً تمثل فى مظاهرة سياسية لا تعلن فقط تأييد ودعم دولة غانا للمنظمة وإنما تبرز أيضاً تأييد دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لكفاح الشعب الفلسطينى لاسترداد أرضه وتحريرها من الاحتلال الإسرائيلى.

وما بين عامى ١٩٦٤ (لقاء الشقيرى) وعام (١٩٨٤) لقاء عرفات كنت حريصاً على متابعة نشاط ذلك الشاب الفلسطينى اليافع محمد عبد الرؤوف القدوة الحسينى وشهرته عرفات، ذلك الشاب الذى ولد فى حى السكاكينى بالقاهرة عام ١٩٢٩ والمتخرج من مدرسة مصر الثانوية الخاصة ثم من كلية الهندسة جامعة القاهرة

والمنشئ لرابطة الخريجين الفلسطينيين والتي حظيت باهتمام كبير آنذاك، ثم المشترك في المقاومة الشعبية للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، والمؤسس لحركة فتح عام ١٩٦٢.

كنت معجباً بذلك المناضل الذى له الفضل فى تحويل الكفاح الفلسطينى وتغيير نظرة كل دول العالم إلى كفاح الشعب الفلسطينى الذى كان فى نظرهم مجرد أناس لاجئين إرهابيين، لقد تولى عرفات رئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التى اعترفت بها القمة العربية فى الرباط ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطينى فى أكتوبر عام ١٩٧٤.

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٧٤ ألقى ياسر عرفات خطابه التاريخى الشهير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة ٢٩ أكد فيه أن القضية الفلسطينية قضية شعب يناضل مثل الشعوب التى ناضلت وتناضل ضد الاحتلال والاضطهاد، وقال جملته الشهيرة: [جننكم بغصن الزيتون مع بندقيّة الثائر، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي، الحرب تندلع من فلسطين والعلم يبدأ من فلسطين]، أعلن ذلك فى مقر الأمم المتحدة بجنييف المقر الأوروبى لمنظمة الأمم المتحدة بعد أن رفضت أمريكا منحه تأشيرة الدخول لنيويورك!!

ومن المعروف أن الأمم المتحدة قد قبلت الدولة الفلسطينية بصفتها عضواً مراقباً ثم تغير وضع فلسطين فى الأمم المتحدة من عضو مراقب إلى عضو لا يصوت فى ١٩٩٨/٧/٨ ويعنى هذا العضوية الكاملة فى منظمة الأمم المتحدة ولكن ليس لها الحق فى التصويت على القرارات سواءً بالقبول أم الرفض أم الامتناع.

كانت هذه الكلمات جديرة بأن تزيد إعجابى بهذا الرجل الذى يقيم كفاحه من أجل شعبه على محورين أساسيين لاغنى لأحدهما عن الآخر الأول: هو الكفاح المسلح على الأرض، والثانى هو الحوار على مائدة المفاوضات كما فعلت الجزائر كما سبق ذكره، ظل هذا الإعجاب حتى جاءت لحظة مقابلتى مع عرفات فى غانا ١٩٨٤.

ووجدتها فرصة ربما لا تتكرر كى أدير حواراً طويلاً مع ذلك الزعيم، ربما يكون أخطر ما جاء فيه من وجهة نظرى هو ذلك السؤال الذى وجهته مباشرة

لعرفات عن مدى إمكانية منح جوازات سفر دولة فلسطين لجميع الفلسطينيين - ليؤكد أنهم رعاياها - سواء في الأراضي المحتلة أم في خارج فلسطين، حيث تستضيفهم بعض الدول العربية وتمنحهم وثيقة سفر اللاجئين وعلى رأس هذه الدول مصر أو تستضيفهم دول عربية وأجنبية ويحصلون على جنسية جوازات سفر هذه الدول مثل الأردن فتبسم ساخراً وقال سأزيد آلام ومتاعب ومصائب ومشاكل الفلسطينيين إذا ما حملوا جوازات سفر فلسطينية فيجدون كل الصعوبات من قبل دول العالم ولا سيما الدول العربية وقال لي: أنت كسفير مصر تعلم تماماً كيف تعامل الحكومة المصرية الفلسطينيين الذين يحملون وثائق سفر لاجئين صادرة من مصر وحكومة مصر فما بالك يا سيادة السفير إذا حملوا جواز سفر فلسطيني؟! وإزاء هذه الابتسامة والكلمات الحزينة والحاسمة لم أجزؤ على إضافة أى استفسار آخر في هذه المقابلة مع ياسر عرفات والتي كانت بالنسبة لي الأولى والأخيرة تابعت بعد هذا اللقاء باهتمام نشاط وكفاح ياسر عرفات، وقد كانت سعادتني بالغة عندما أعلن في الجزائر في ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ دولة فلسطين في المنفى استناداً إلى قرار التقسيم ١٨١ حيث عقد المجلس الوطني الفلسطيني، كما تابعت بشغف رحلته الطويلة في مفاوضاته مع إسرائيل منذ عام ١٩٩٣ حينما وقع عرفات مع اسحق رابين وفي وجود الرئيس الأمريكي كلينتون اتفاق أوسلو الذي كان له نتائج مهمة على مسيرة القضية الفلسطينية لعل أهمها: اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي لفلسطين واعتراف المنظمة بشرعية وجود إسرائيل وفي اعتقادي أن اعتراف عرفات بإسرائيل نتيجة سياسة الأمر الواقع وما يلاقيه الشعب الفلسطيني من تعنت ولغرض شرعية وجود دولة فلسطين بموجب قرار التقسيم نفسه الذي تحاول إسرائيل إلغائه لغيرها وتأكيدده لنفسها، كما وقع عرفات في ١٩٩٤ مع رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين الاتفاق حول الحكم الذاتي الفلسطيني وتم منح عرفات في العام ذاته مع شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل جائزة نوبل للسلام وعاد عرفات بعد ٣٣ سنة للأرض الفلسطينية ١٩٩٤ لأول مرة وانتخب رئيساً للسلطة الفلسطينية وقد قاد عرفات النضال الفلسطيني من أجل حقوق الشعب الفلسطيني من داخل فلسطين، مؤكداً في كل مفاوضاته على المحافظة على الحقوق

الفلسطينية وحقوق عودة اللاجئين وحق العرب والمسلمين والفلسطينيين في القدس (الانتفاضة)، وبدأ عرفات يجوب العالم كرئيس للمنظمة ويستقبله رؤساء الدول في احتفالات رسمية من أجل دعم الكفاح الفلسطيني حتى قال البعض: إن عرفات يقيم في الطائرة؛ كما استطاع بنشاطه الدبلوماسي من كافة وسائل الإعلام العالمية لنفى ما كان يتهم به من أنه إرهابي وأصبح يعامل كمعاملة رؤساء الدول وأشهد أن عرفات كان له كثير من الكلمات والمواقف التي تدل على جراته؛ ألم يعلن أمام الوفود العربية والأجنبية المشاركة بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد المجيد عام ١٩٩٤ في مدينة بيت لحم مولد المسيح وموقع كنيسة المهد حيث كان عرفات مشاركاً في الاحتفال لأول مرة بصفته رئيساً للسلطة الفلسطينية، أقول ألم يعلن أمام الجميع (أن المسيح فلسطيني).

كما أعلن أكثر من مرة أن الفلسطينيين هم القوم الجبارون الذين كانوا في فلسطين عندما خاف اليهود زمن موسى أن يدخلوها مع موسى لأن بها قوماً جبارين وفي هذا تقول الآية ﴿ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (سورة المائدة).

هذه المواقف أدت إلى أن يحاصر الجيش الإسرائيلي عرفات في مقره في رام الله في ديسمبر ٢٠٠١ لإدراك إسرائيل أن عرفات كان وسيظل نقطة الشرارة التي تلهب الحماس الفلسطيني من أجل الدفاع عن الوطن في عقل واتزان كانت دائماً ابتسامته تسبق فكره وقوله حتى لما طلب شارون أن يشارك في القمة العربية فقال البعض إن شارون سيشارك في هذه القمة (قمة بيروت) تحت مسمى جديد هو اسم (شر وفات) لقد ظل الحصار الإسرائيلي لعرفات في رام الله يمثل تهديداً بمنعه من الخروج من فلسطين لأن إسرائيل أكدت أن خروج عرفات هذه المرة معناه ألا عودة وهو الأمر الذي منعه من المشاركة في القمم العربية من ٢٠٠١ حتى ٢٠٠٤ وفي ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤ تدهورت صحة ياسر عرفات بصورة مقلقة ومفاجئة بعد أن قضى في الحصار ثلاثين شهراً وأعلن الأطباء ضرورة نقله للعلاج بالخارج بعد أن زاره أطباء

مصريون وتونسيون وفي مستشفى بيرسى العسكرى غرب باريس تدهورت حالته بشكل غير مفهوم جعل الكثير من المعلقين يتحدثون عن احتمالات تعرضه للسم من قبل الإسرائيليين أثناء تواجده فى رام الله حتى وافته المنية فى الحادى عشر من نوفمبر ٢٠٠٤ وتحققت للأسف جملة إسرائيل بأن خروج عرفات معناه ألا عودة وهو ما يؤكد وجود الأيدى الإسرائيلية الخفية وراء موت الزعيم لكن عرفات كما كان بطلاً فى حياته كان بطلاً فى مماته حيث أقيمت له ثلاث جنازات اثنتان رسميتان الأولى فى باريس بوداع حكومى رسمى ممثل فى الرئيس جاك شيراك حيث تم عزف السلامين الفلسطينى والفرنسى ورفع العلمين الفلسطينى والفرنسى وهو بمثابة اعتراف دولى فرنسى وهى الدولة الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ الأوروبى والعالمى.

أما الجنازة الرسمية الثانية فكانت فى القاهرة حيث شاءت إرادة الله أن يخرج عرفات إلى مثواه الأخير من البلد نفسها التى كانت مسقط رأسه والتى كان عشقها ساكناً فى قلبه وهى مصر وبالتحديد القاهرة حيث حضر العديد من الزعماء العرب يتقدمهم الرئيس محمد حسنى مبارك وأيضاً رفع العلم الفلسطينى وعزف السلام الوطنى الفلسطينى، أما الجنازة الثالثة فكانت جنازة شعبية مهيبه فى رام الله حيث حملة الفلسطينيون على أعناقهم إلى مثواه الأخير وكأنهم يعلنون للعالم أن الفلسطينيين بجميع فصائلهم متفقون على شخص الرئيس عرفات وأيضاً يردون على تلك الدعاوى والشائعات الكاذبة التى أطلقتها إسرائيل والصهيونية حول الثورة والمال والمليارات الفلسطينية التى كانت فى الحساب الشخصى لعرفات.

وأقول فى النهاية: إنه إذا كان جثمان عرفات قد دفن فى رام الله فهو دفن مؤقت لحين دفن جثمان الرئيس الراحل والزعيم المناضل ياسر عرفات فى القدس العربية عاصمة فلسطين إن شاء الله.

وكتابى هذا لن يتناول الأوضاع الفلسطينية فيما بعد الزعيم عرفات.

٨ - هنود حمر هذا الزمان

إنه من المتوقع أن تطفو على مائدة المفاوضات العربية الإسرائيلية إذا ما تمت الكثير من الإسرائيليات التي شغلت وأغرقت العلاقات الدولية فى بحر من الحيرة والبلبله وتعود لذاكرة الشعوب إلى ماضٍ سحيق تحاول إسرائيل - بعد قيامها - أن تبعثه حياً فى أوائل القرن الواحد والعشرين بعد ميلاد السيد المسيح.

أوحى الصهيونية العالمية إلى العالم الغربى المسيحى بأن كل مسيحي أصله يهودى فالديانة اليهودية بناءً على ذلك هى الأصل، ولها الحق فى أرض المسيح أى: فلسطين، وإنه لا بد من بناء هيكل سليمان، وقيام مملكة ديفيد «داود»، ووجود دولة إسرائيل هو الحجر الأساسى لهذه المملكة، ثم أوحى إلى المسيحيين بالإيمان بأن عودة المسيح إلى الأرض كما يعتقدون وإيجاد مملكة الرب قد قرب حدوده بعد أن تحقق وجود دولة إسرائيل على أرض فلسطين.

يتحدث الإسرائيليون عن الضفة الغربية، بأنها جزء من أرض الميعاد المقدسة، ويطلقون أسماء توراتية: يهودا وسامراء، ويرسمون خرائط سامراء لدولتهم الكبرى الموعودة، حدودها من الفرات إلى النيل، وخذعوا العالم كله بأن فلسطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض، وأن فلسطين كانت أرضاً قاحلة، ولم يعمرها ويزرعها سوى يهود إسرائيل، ويتمسك المفاوض الإسرائيلي بأن القدس هى أورشليم عاصمة اليهود، وستظل لهم عاصمة أبدية.

يطلقون على النجمة السداسية نجمة داود، واتخذوها شعاراً لهم، ووضعوا على علم دولتهم، وبذلك أصبح هذا الرسم الهندسى الذى يوجد على كثير من المباني والآثار المسيحية والإسلامية القديمة أصبح يدل على أن اليهود هم الذين بنوا وشيدوا هذه المباني والآثار التاريخية ذات الحضارة التى يحاولون أن ينسبوها لأنفسهم ويجد القارئ العزيز تفاصيل ذلك فى ملف نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وإسرائيل منذ وجودها تنادى بأنها دولة بلا حدود بمعنى: أنه أينما وجد يهودى فى أى بقعة فى العالم فهى أرض إسرائيلية، وزادوا الأمر تعقيداً بأن قالوا: إن اليهودى الموجود ضمن رعايا أية دولة أخرى، ولم يهاجر إلى إسرائيل عليه واجب الولاء الأول للدولة اليهودية إسرائيل قبل الولاء للدولة التى يعيش فيها بصفته إسرائيلياً يحمل جنسية البلد الذى يعيش فيه، كل هذه الإسرائيليات تتناقلهما أجهزة الإعلام العالمية الصهيونية فى كافة أرجاء المعمورة بطريقة تخدم مصالح الصهيونية العالمية وعلى العرب أن يجابهوا هذه الحملة الإعلانية.

وقد استندت الصهيونية فى دعواها إلى أن فلسطين أرض الميعاد التى وهبها الرب لبنى إسرائيل أى: لأولاد يعقوب - الشعب المختار - فهى أرض ملك لليهود العالم المعاصر وبذلك يكون لهم الحق فى أن تكون لهم دولة باسم إسرائيل على الأرض الموعودة فلسطين وعلى ذلك فإذا كانت الدولة التوراتية ستضع على مائدة المفاوضات: التوراة والتلمود كسند تاريخى يعطيهم الحق فى الأرض فهل لى أن أتساءل: هل سيضع الفلسطينيون والعرب القرآن الكريم والإنجيل؟

ويرتبط بتلك الأكاذيب الصهيونية ما تدعيه الصهيونية العالمية من أن فلسطين كما يقولون كانت أرضاً بلا شعب، جرداء لا زراعة فيها ولا صناعة ولا مدنية ولا تاريخ حتى رجع إليها أصحابها الحقيقيون الذين لهم سند تاريخى فى هذه الأرض وهم اليهود، كما تدعى الصهيونية العالمية أن الاسم الحقيقى للأرض الفلسطينية هو إسرائيل ويهودا وسامراء وأن العبرانيين وبنو إسرائيل هم أجداد رعايا دولة إسرائيل أى الإسرائيليين، كما تدعى الصهيونية أن الفلسطينيين ليسوا هم أصحاب الأرض فيم ينحدرون من قبائل فينيقية، وأن القدس هى أرض معبد سليمان الذى هدمه الغزاة ولايد من إعادة بنائه لتكون القدس عاصمة إسرائيل ويعاد فيها بناء الهيكل الثالث، كما تروج الصهيونية العالمية أن الفلسطينيين هم جماعة من الإرهابيين وليسوا من المحاربين ومشكلتهم مشكلة لاجئين.

وبالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فقد فرضت الدوائر الصهيونية على كافة وسائل الإعلام استخدام تعبير (P.L.O) حتى لا تذكر فلسطين فى سياق الحديث بهدف محو اسم فلسطين من التردد فى وسائل الإعلام فى العالم.

وأخيرًا وليس آخرًا تؤكد الصهيونية العالمية أن الفلسطينيين كالهنود الحمر، قبائل بلا حضارة أو تاريخ يجب القضاء عليها وطردها من أرض الميعاد إسرائيل، أرض شعب الله المختار.

واعتقد أن هذه المقارنة بين الفلسطينيين والهنود الحمر تستسيطر على الفكر الإسرائيلي الذي مارسه المهاجرون من أوروبا، وكان من بينهم الكثير من اليهود – الذين هاجروا إلى القارة الجديدة التي اكتشفت منذ عدة قرون فيما وراء المحيط الأطلسي، ولكننا نعلم، وقرأنا عما فعله المستوطنون البيض، بمن فيهم اليهود بالسكان الأصليين لهذه القارة «أمريكا» وما قاموا به لإبادتهم، أعنى بهم الهنود الحمر الذين شاءت الإرادة الإلهية أن تبقى سلالة منهم لتشهد حتى يومنا الحاضر على أنه كان لأمريكا أهلها، وسكانها الأصليين من الهنود الحمر الملونين، وأعتقد دون الحاجة إلى إثبات أن هذه العقيدة – وأقصد بها إبادة شعب – ستكون مسيطرة على عقل وتصرفات الإسرائيليين، ولا بد وأن تجابه هذه العقيدة بإيمان أقوى من العرب بأن الفلسطينيين ليسوا ولن يكونوا هنودًا حمرًا.

ألم تصبح فلسطين – إسرائيل، والخليل – حبرون – وعسقلان أشكول والقدس أورشليم؟ ألم يحلم كريستوفر كولمبوس مكتشف أمريكا بقيادة حملة صليبية يحرر بها قبر المسيح ويعيد بها الأرض المقدسة إلى أحضان الكنيسة المقدسة؟.

كل ما أخشاه أن يتحول الفلسطينيون إلى هنود حمر هذا الزمان إذا ما لم ينتبه العرب والمسلمون في كل أنحاء العالم أن ذلك يعنى إذا ما حدث أن يصبح الفلسطينيون هنودا حمرًا أن يمتد هذا التحول تدريجيًا لكل عرب ومسلمي العالم فليس الفلسطينيون وحدهم هم المستهدفين ولكن هم بداية مرحلة تؤدي بكل العرب والمسلمين أيضًا إلى أن يكونوا الهنود الحمر لهذا الزمان.

٩ - القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم

لا يقتصر دور الصهيونية العالمية على الاستيطان فى الأراضى العربية فى فلسطين والجزولان وجنوب لبنان فحسب، بل تسعى إلى إيجاد حقيقة، محو خاصية هذه المنطقة من صفتها وكونها العالم العربى.

ومن المعلوم أن اللغة العربية لم تستخدم كإحدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة ومنظمتها إلا بعد انتصار ١٩٧٣، حينما نجح العرب بكفاحهم وتوحدهم وتضامنهم أن يفرضوا احترام العالم وتقديره للعرب وللغة العربية والتي تحتل الترتيب السادس من بين ١٦٠ لغة من اللغات الأم وفقاً لأحدث دراسة أجرتها منظمة اليونسكو بصفة عامة، حيث تأتي العربية فى المرتبة السادسة بعد الصينية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية على الترتيب والمعترف بها والمستخدمه فى المنظمة الدولية للأمم المتحدة وأجهزتها ومطبوعاتها.

أقول كل هذا لأوضح أن يد العنصرية الصهيونية تمتد لتحارب اللغة العربية لغة القرآن.. وذلك بهدف.. إلغاء استخدامها كلغة رسمية فى المنظمات الدولية على مختلف كياناتها وتخصصاتها وتستغل فى هذا الوضع ما تنادى به أمريكا من ضرورة تخفيض ميزانية الأمم المتحدة فأمرىكا المسئولة عن خمس ميزانية الأمم المتحدة فهى بحجة القيام بإصلاحات إدارية ومالية لهذه المنظمة وفروعها ومن هنا تجد الصهيونية العالمية فرصة للمطالبة بتقليص اللغات الرسمية المستخدمة بحجة تحقيق تخفيضات مالية تتحقق بالاستغناء عن أعداد من المترجمين وتقليل التكاليف المترتبة على تحرير الوثائق بعدة لغات ومن هذا المدخل وتحت ستار الإصلاحات المالية يكون من السهل على الصهيونية العالمية المطالبة بإلغاء اللغة العربية على مستوى المنظمة الدولية وفروعها بحجة حداثة استخدام اللغة العربية وبزعم عدم أهميتها وأخشى أن تجد هذه المطالبة استجابة لضعف الأصوات التى

يمكن أن تدافع عن ضرورة الإبقاء على اللغة العربية خاصة في هذه الظروف السياسية العالمية وتأثير القوة العظمى الوحيدة حالياً أمريكا ومساندتها لكل طلبات الصهيونية العالمية - ويكون تركيز هذه الحملة الصهيونية مستنداً إلى نظرية الاقتصار على اللغات الرسمية المستخدمة منذ إنشاء المنظمة الدولية وهي كما ذكرنا الإنجليزية - الفرنسية - الروسية - الأسبانية - والصينية، وأعتقد أنه من المهم على الدول العربية أن تبذل جهوداً قوية لإبقاء اللغة العربية ضمن لغات الأمم المتحدة حتى لو التزمت هي بالتسيّد والمساهمة في النفقات اللازمة.

ومما يؤيد وقوف أمريكا وراء إسرائيل في هذا الموضوع أنها هي نفسها تحاول التدخل في المناهج التعليمية للدول العربية المختلفة ومنها مناهج التعليم للأزهر الشريف بمعاهده وكلياته.

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل تسعى الصهيونية العالمية لترديد نعمة في العالم كله هذه النعمة تردد أن اللغة العربية تفرض نفسها في شكل غزو ثقافي على شعوب دول العالم الإسلامي غير العربي، وكذلك على أي إنسان غير عربي يرغب في دخول الإسلام، مستشهدين على ذلك بأن الصلاة لا تصح إلا بالتلاوة العربية للقرآن الكريم، وتضيف الصهيونية العالمية أن العرب يقومون عن طريق هذا المبدأ بغزو واستعمار ثقافي لشعوب العالم ليتعلموا اللغة العربية ويتحدثوا بها ويفكروا بواسطتها وبذلك يتحقق هدف زيادة عدد المتحدثين باللغة العربية وأن هذا يحقق مبدأ «إن كل من يتكلم اللغة العربية هو عربي وهذا يضيف عنصراً هاماً إلى ثقل العرب في ميزان القوى العالمي».

ومن الخطورة بمكان أن هذه النعمة الصهيونية تركز في دعوها أن تمسك العرب بعروبة القرآن هو محور الغزو الثقافي العربي.

وأرى واجباً على أن أدعو زملائي في الوطن العربي العاملين بالدبلوماسية والمشتغلين بالسياسة الدولية الاهتمام بهذه النعمة الصهيونية والرد عليها حتى لا يتأثر بها المسلمون من غير الناطقين بالضاد وحتى لا يبعد هؤلاء المسلمون عن

القرآن الكريم كما أنزله الله بلسانٍ عربي مبين وحتى لا يكون هناك - أبداً - قرآن بلسانٍ أعجمي، والقرآن لا يكون قرآناً إلا كما أنزله الله باللغة العربية وأى ترجمة لمعاني القرآن بأى لغة أجنبية ليست قرآناً، ولكن هناك تفسيرات وشرحاً باللغات الأعجمية لمعاني آيات القرآن الكريم وهنا يلزم على كافة دور النشر الإسلامية التي تطبع معاني القرآن الكريم بلغة أعجمية أن توضح للقارئ بوضوح تام أن هذه الترجمة ليست قرآناً.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الدول الإسلامية غير العربية تقوم بطبع القرآن الكريم كما أنزله الله باللغة العربية وبجوار النص القرآني تفسير المعاني بلغتها المحلية مما يعنى ويؤكد أن تفسير المعاني ليس قرآناً.

وأعتقد أن هذه أفضل طريقة في تأكيد أن القرآن هو بلسان عربي، ولعل الدول العربية الغنية يمكنها أن تفرض هذه الطريقة على نفقتها الخاصة لتأكيدھا.

وبصفتي مسلماً كنت في هذا المجال دائماً أردد أن اختلاف لغات الإنسان هو أية من آيات «الله» في خلقه كما جاء بالآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الروم).

ولا يستطيع أحد أن يفضل بين آية من الآيات وأخرى بمعنى لا يفضل لغة على لغة فكل لغة هي من آيات الله فالمسلم يؤمن بأن كل اللغات هي معجزة من الله، ولا فضل لإحدهما على الأخرى وفي هذا رد على من يدعون أن المسلمين العرب يفرضون اللغة العربية على غيرهم من المسلمين ولكن الحقيقة أن القرآن معجزة من الله ورسالة بلغة عربية تعتبر من المعجزات ولا يمكن أن يكون القرآن بأية لغة أخرى مختلفة عن لغتهم الأم وتعلم اللغات الأجنبية غير اللغة الأم يزيد من الأفق الثقافي ويساعد على زيادة التعارف والتفاهم بين الجنس البشرى ويحضرني بهذه المناسبة مثل تركي يقول: «بير لسان بير إنسان» أى إن كل لغة

يتحدثها الإنسان هي إضافة لشخصيته وإنسانيته فمن يتحدث التركية والعربية والإنجليزية مثلاً هو ثلاثة أشخاص وليس شخصاً واحداً - فكل لغة تساوي إنساناً وهذا المثل الشعبي التركي مكون - كما ترى - من ثلاثة كلمات: كلمة تركية هي بئر «أى واحد» وكلمتين عربيتين هما لسان وإنسان ولسان هنا يقصد بها اللغة.

إن على العرب واجب الحفاظ وحماية ونشر لغة القرآن الكريم مهما كلفهم ذلك من أموال وجهد، ومهما كانت قوة ضراوة هذه النعمة الصهيونية ولا بد من العمل على وقف نجاح هذه النعمة التي استطاعت في الماضي - مع كل أسف - أن ترغم شعوباً كثيرة من المسلمين على نيل اللغة العربية كلغة وكذلك ترغمهم على عدم استخدام الأبجدية العربية لكتابة لغتهم الوطنية ونجح الأمريكيون والأوروبيون في أن يفرضوا الحروف الأبجدية اللاتينية لتحل محل الأبجدية العربية وفي هذا ما فيه من قطع الصلة بين العالم العربي والعالم الإسلامي خاصة في تلاوة القرآن الكريم وأبرز مثال على ذلك ما حدث للغة التركية التي تحولت كتابتها إلى حروف اللاتينية بدلاً من الأبجدية العربية بعد القضاء على الإمبراطورية الإسلامية العثمانية واضطر رئيس تركيا أتاتورك يهودى الديانة أن يوجد أبجدية جديدة مشتركة ما بين الأبجدية العربية والأبجدية اللاتينية سميت بأبجدية تلاوة القرآن الذى يطبع الآن فى تركيا بالأبجدية اللاتينية المعدلة بإمكانية نطق القرآن نطقاً عربياً صحيحاً ولتوضيح ذلك فإن الأبجدية اللاتينية ليس فيها حروف تنطق بالحروف العربية مثل الح والـع والـغ والـف والـق والـك والـد والـج..... الخ، وهذا الموضوع يحتاج إلى دارس متخصص، ولكنى أعلم مدى مشقة هذا الموضوع عندما كنت أعمل نائباً لـقنصل الجمهورية العربية المتحدة (بعد وحدة مصر وسوريا) فى ميناء مرسين جنوب تركيا، وفيما يلى شرح لهذه الأبجدية اللاتينية التى تنطق حروفاً عربية.

KUR'ÂNİ KERİYM ELİFBASI VE TECVİD

Arabî harfleri

VE KARŞILIĞI TÜRK HARFLERİ

Harfler, aşağıdaki lavhada yazılıdır. Kur'ân elifbası sırasıyla. Yukardan aşağıya okunur:

ا	آ	h خ	ş ش	ğ غ	n ن
b ب	d د	s س	f ف	v و	
t ت	z ذ	đ ض	k ق	h ه	
s ث	r ر	t ط	k ك	y ی	
c ج	z ز	z ظ	l ل		
h ح	s س	ع ع	m م		

Yukarda görüldüğü üzere, Kur'ân elifbasında 28 harf vardır. Bunlardan; 16 tanesi Türk alfabesindeki harflerin aynıdır.

1 — Bu 16 harf, aynı Türk harfleri gibi okunur. Bunlardır: b, c, d, f, g, h, l, m, n, r, s, t, v, y, z.

2 — Kalan 12 harf, Türk alfabesinde yoktur. Bu 12 harfin nasıl okunduğu, arka sahifede yazılıdır.

oo

Harfler ve adları

Kur'an elifbasındaki harflerin adları aşağıdaki lavhada yazılıdır. Yukardan aşağıya okunacaktır:

.	أ	hemze dot	د	د	dal	د	ض	dad	ك	ك	kef
b	ب	be	ز	ذ	zel	ط	ط	tı	ل	ل	lâm
t	ت	te	ر	ر	rı	ظ	ظ	zı	م	م	mim
s	ث	sa	ز	ز	ze	ع	ع	ayın	ن	ن	nun
c	ح	cim	س	س	sin	غ	غ	gayım	و	و	vav
h	ح	ha	ع	ع	şun	ف	ف	fe	ه	ه	he
h	ح	hı	س	س	sad	ق	ق	kaf	ي	ي	ya

12 HARF

Türk alfabesinde bulunmayan 12 harf ve okunuşları, misallerile birlikte gösterilmiştir:

1: (') Adı hemze elifdir. Bir kelimenin arasında bulunduğu vakit, o kelimeyi ikiye böler gibi okutur. Meselâ (mü'min) kelimesi bir kelimedir. Fakat mümin gibi okunmaz mü min diye okunur.

2: (š) Adı se dir, ince okunur: **şevâb** kelimesindeki gibi.

3: (š) Adı sad dır, kalın okunur: **şavâb** kelimesindeki gibi.

4: (h) Adı ha dır, okunurken boğazdan getirilerek kalınca **ha** gibi okunur: **evhad** daki gibi.

5: (h) Adı hı dır, gırtlaktan gelir, hı sesi verir: **âhiret** daki gibi.

6: (z) Adı zel dir, ince okunur: **zîkr** daki gibi.

7: (z) Adı zı dır, kalın okunur: **nâzum** daki gibi.

8: (t) Adı tı dır, kalın okunur: **bâh** daki gibi.

9: (d) Adı dad dır, **fâdil** daki gibi.

10: (š) Adı ayın dır, boğazdan gelir, kalın ş sesi verir **nâşim** daki gibi.

فالذاكرة لا تنسى ما حققته اللغة العربية من انتشار أثناء المد الإسلامي لاسيما في تركيا وجمهوريات وسط آسيا التي استخدمت الأبجدية العربية، فضلاً عن باكستان وبنجلاديش (ألباشتو والأوردو) واللغات الإفريقية (السواحيلي والهوسا). كما لا تنسى الذاكرة ما قام به اليهودى مصطفى كمال أتاتورك من قضاء على استخدام الأبجدية العربية فى اللغة التركية وتحويلها إلى الأبجدية اللاتينية من أجل إحداث قطيعة معرفية بين الشعب التركى وبين تاريخه الإسلامى العظيم الذى استمر عدة قرون والذى كان يؤرخ بالأبجدية العربية وأصبح التاريخ الإسلامى لتركيا مجهولاً للأجيال التركية الحديثة، الأمر الذى حدث مع الأسف فى الجمهوريات الإسلامية التى كانت تحت السيطرة الروسية (أوزباكستان - طاجكستان - تركمانستان - كازخستان - قرغيزستان فضلاً عن تركستان الشرقية) التى احتلتها الصين وغيرت معالمها الإسلامية واللغوية وأطلقت عليها (الصين الجديدة) وكذلك الدولة القوقازية المسلمة أزر بيجان.

أهدف من كل هذا ألا ينشغل العرب فى كل أقطارهم ودولهم عن الدفاع بكل الوسائل عن لغتهم فى أروقة الأمم المتحدة وعلى الصعيد العالمى، لاسيما فى ضوء تلك الحملة الصهيونية التى تعرف جيداً ارتباط اللغة العربية بالإسلام والعروبة. كما أنه لا يعيب عن المسلمين فى كل العالم محاولات أمريكا وإسرائيل نشر وطبع مصاحف تحت اسم الفرقان تحتوى على تحريف خطير للآيات القرآنية وحذف الآيات القرآنية التى تتحدث عن تاريخ اليهود وانحرافهم وتحريفهم للتوراة التى أنزلها الله على موسى، كما أن هناك نسخاً باللغة العبرية للقرآن الكريم يحررها الحاخامات اليهود تحاول إسرائيل بها تحريف آيات القرآن وتضع فيها آيات باللغة العبرية للتضليل والتشويه دون أن يؤكدوا ويذكروا أن هذا لا يعتبر قرآناً ولكن يعتبر تفسيراً للآيات القرآن باللغة العبرية تأكيداً للمبدأ أن نزول القرآن باللغة العربية.

كما تقوم إسرائيل بطبع القرآن الكريم كما هو باللغة العربية ولكن تحذف منه الآيات التى تتحدث عن مساوى اليهود بعد انحرافهم وتحريفهم التوراة وتخفى

الآيات التي تتحدث عن محاربتهم لأنبياء الله ورسله وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم.

كل هذا يستوجب اهتمام الهيئات الإسلامية في كافة الدول الإسلامية وعلى الأخص الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وأقترح شخصياً أن تقوم بالاهتمام لنشر المصحف المرتل بصورة جماعية لصعوبة تحريف القرآن المسجل على أشرطة، كما على الدول الإسلامية أن تستخدم المنابر الدولية في الأمم المتحدة لإصدار قرارات دولية تمنع محاولات تحريف القرآن الكريم فالدفاع عن اللغة لا يقل أهمية ولا قدسية عن الدفاع عن الأرض والعرض.

وأختم حديثي هذا أن اردد الحمد لله الذي قال في كتابه الكريم: ﴿وَلِئِنَّهُ

لِنَنْزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾ (سورة الشعراء).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ (سورة يوسف).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦﴾﴾ (سورة الحجر).

صدق الله العظيم

١٠ - ولايات الشرق الأوسط المتحدة (USME)

ترجع أهمية هذا الملف إلى ظهور هذه الفكرة من وجود ولايات الشرق الأوسط المتحدة أو بتعبيراته الأخرى الشرق الأوسط الجديد أو الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الحديث حيث تعود الذاكرة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م والتي تزامن معها القضاء على الإمبراطورية العثمانية وأعقبها ظهور جيل من رجال الفكر والسياسة في أوروبا الذين قاموا بتقسيم العالم العربي الذي كان جزءاً من هذه الخلافة، وأقاموا حدوداً داخلية اتفقت عليها دول الغرب في ذلك الوقت بريطانيا وفرنسا فيما يعرف باتفاقية (سايكس بيكو).

ومع هذه الحقبة من التاريخ ظهرت أيضاً أفكار أوروبية عن تقسيم شرق العالم إلى شرق أقصى، وشرق أدنى وشرق أوسط، ووضعوا هذا التقسيم موضعاً للحوار والمناقشة ولأبحاث وكتب ملأت المكتبات وشغلت العالم بما وراء هذا التقسيم ومغزاه وأهدافه حتى الآن.

وفيما يخصنا نحن العرب أدخلنا بعض الساسة في الشرق الأدنى، والبعض الآخر - وهم الأهم - أخرج العالم العربي، وطمس حقيقة وجوده كجزء مستقل من تقسيمات العالم الجغرافية والسكانية والحضارية.

وحدث جدال كبير ونقاش طويل حول تحديد ماهية الدول التي يطلق عليها وتكون الشرق الأوسط وهم في هذا كانوا يضيفون مرة ويحذفون مرة أخرى دولاً خارج نطاق الدول العربية بما أسماه الدول الهامشية مثل: أفغانستان، وإيران، والباكستان وبنجلاديش (وحتى الهند نفسها)، وتركيا، وقبرص، والحبشة.

كما كانوا يتعمدون دائماً أن يسقطوا من «الشرق الأوسط» شمال إفريقيا، والتي تبدأ من تونس وتنتهي بالمملكة المغربية على المحيط الأطلسي هذا الجزء من العالم في رأيهم منطقة لها خصائص، وتاريخ يبعدها عن المنطقة العربية كما تقضى بذلك

المفاهيم الأوروبية بأن شعوب هذه الدول ليسوا عرباً أصليين ثم قام بين المفكرين والساسة الأوروبيين جدال حول ما هي الدولة التي تعتبر نواة الشرق الأوسط هل هي شبه الجزيرة العربية أو الشام؟ وبالنسبة للعراق «أرض ما بين النهرين» فقد جادلوا أكثر وأكثر في مدى حقيقة عروبة العراق كما أنه بالنسبة لدولة لبنان زعموا أن أهلها من الفينيقيين وليسوا عرباً وأخطر من ذلك قاموا بالتشكيك في عروبة مصر بزعم كونها دولة فرعونية ذات حضارة مصرية قديمة لا تمت بصلة إلى العروبة.

كل ذلك وكان عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وتعود بي الذاكرة أيضاً إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥م حيث قاموا أى: الأوروبيون وانضمت إليهم أمريكا في أعقابها بتأييد الحركة الصهيونية العالمية في إقامة دولة يهودية في الشرق الأوسط أسكنوا فيها يهوداً من كل جنسيات دول العالم المختلفة وبمختلف انتماءاتهم كاليهود الإشكينايز واليهود السفراديم تحت اسم «إسرائيل» وذلك تحقيقاً للتخلص من مشكلة اليهود والمسلمين.

تعود بي الذاكرة إلى كل هذه الذكريات لتوضح فكرة إقامة مفاوضات بين الدول العربية وبين إسرائيل ستكون في رأبي مناسبة أوجدها الغرب ليعود إلى الحياة تحقيق وتنفيذ الأفكار القديمة عن ماهية منطقة الشرق الأوسط، وعدد ونوعية الدول التي يشملها هذا الشرق الأوسط وأتصور - وأرجو أن أكون مخالفاً للحقيقة - أن في جعبة السياسة الأمريكية أن ينشأ مستقبلاً تجمع إقليمى تحت اسم «ولايات الشرق الأوسط المتحدة».

ولإشباع حب الأمريكان فى اختصار الاسم إلى حروف يكون اسم هذا التجمع بالحروف اللاتينية المختصرة USME، وفى اعتقادى أيضاً أن هذا الكيان السياسى الجديد ستكون ركائزه تجمعاً اقتصادياً «شرق أوسطى» مبنياً على أساس أن الدول العربية وشعوبها هى الأرض، والقوة العاملة، ورءوس الأموال، وأن إسرائيل هى ممثل الغرب فى الخبرة والتخصص، والإبداع والتكنولوجيا - ويكون لها القيادة والريادة فى كل المنطقة تحت زعامة أمريكا.

وهكذا يمكن تصور ولايات الشرق الأوسط المتحدة USME بأنها كيان سياسى واقتصادى يحقق أهداف العالم الغربى فى الأمور الآتية:

أولاً: إنهاء حالة الصراع القائم بين إسرائيل وجيرانها العرب ودمج إسرائيل ككيان معترف به ضمن كافة دول الشرق الأوسط، وتكون بمثابة الرأس الذى يسيطر ويحكم المنطقة بشكل ديموقراطى غربى !!

ثانياً: إيجاد حالة من الطمأنينة فى الشرق الأوسط فى خدمة الاقتصاد الغربى عامة، ولأمريكا بصفة خاصة بدون أية مشكلات أو تناقضات أو صراع وتأكيد قبضة التحكم الأمريكى فى البترول العربى كما وقيمة لاسيما فى العراق والسعودية.

ثالثاً: القضاء على أى تخوف مما قد يحدث فى المستقبل من تطور القومية العربية، مما يستوجب العمل على اختفاء «جامعة الدول العربية» من خريطة العلاقات الدولية، وبذلك تنتهى المشكلة التى تؤرق العالم الغربى من احتمالات بعث القوة والحضارة العربية الإسلامية والتى سيق الغرب محاولة التخلص منها عن طريق حرب صليبية مع بداية الألفية الثانية والتى استمرت لمدة مائتى سنة وبعدها ظل العداء الدفين فى قلوب وعقول الغرب، الأمر الذى لا يتناول كتابى هذا تفاصيل هذه الحقبة من التاريخ.

وتعود الذاكرة بى إلى عضويتى فى سفارة مصر فى بروكسيل عاصمة بلجيكا ومقر التجمع الأوروبى حيث أمضيت ٤ سنوات من (٧٠ - ١٩٧٤) دار خلالها مباحثات واجتماعات الحوار العربى الأوروبى على أساس أن جامعة الدول العربية هى المقابل للمجموعة الأوروبية الاقتصادية آنذاك «التي كانت تسمى من قبل السوق الأوروبية المشتركة وأصبحت اليوم تسمى الاتحاد الأوروبى» وأن الحوار بين هاتين المنظميتين الإقليميتين يهدف إلى تحقيق اتفاق أو معاهدة تنظم شكل العلاقات الاقتصادية بين أوروبا الغربية وبين العالم العربى لتأكد حيادها تجاه الصراع العربى الإسرائيلى وإيجاد علاقة متوازنة بين علاقتهما مع إسرائيل وعلاقتها مع العرب وهى خدعة لم تتحقق حتى الآن.

وشعار الحوار العربى الأوروبى أطلقته أوروبا الغربية عندما كانت فى ذلك الوقت تنظم علاقاتها الاقتصادية مع الدول الإفريقية ودول الكاريبى كمجموعات إقليمية.

وفى ذلك الوقت أيضاً كانت المجموعة الأوروبية تعقد مع كل دولة عربية على حدة اتفاقاً تفضيلياً أو انتساباً حسبما تراه مصلحة أوروبا فى الوقت نفسه كانت ترتبط هذه المجموعة الأوروبية مع الدول العربية البترولية باتفاقيات وصفقات مستقلة - أساسها من الجانب العربى سلعة واحدة هى البترول.

وفى الوقت الحالى وبعد أن دخل الحوار العربى الأوروبى فى طى النسيان منذ مدة طويلة واقتصر على عقد دورة أو دورتين من المباحثات انتهت إلى لا شىء - تقول: إن هناك حالياً مشاورات لعدة أشكال من العلاقات ظهرت على مسرح العلاقات الأوروبية العربية منها إنشاء مجموعة حوض الأورو متوسطى وليس الأورو العربى المتوسطى حتى تدخل إسرائيل ضمن الاتفاقية ويقصد به دول حوض البحر الأبيض المتوسط مع إلغاء العالم العربى وعقد اتفاقيات مشاركة وأخيراً تم الإعلان من جانب دول أوروبية محددة هى أسبانيا - وإيطاليا وفرنسا.. الخ.

بإنشاء قوة انتشار سريع فى البحر المتوسط دونما إشارة إلى السبب أو أهداف معلنة ودون توضيح عن مشاورة مع دول جنوب وشرق البحر الأبيض! أى الدول العربية بما فى ذلك إسرائيل.

حيث تتلخص فى شعار أوروبى يقول باللاتينى *nostra mare* أى «بحرنا» ويرجع تاريخ هذا الشعار إلى زمن الإغريق والرومان ويعنى أن أوروبا التى هى فى شمال البحر الأبيض هى التى لا بد وأن يكون البحر الأبيض كله تحت سيطرتها بل وملكها حسب نص الشعار دونما حساب لدول جنوب وشرق هذا البحر أى الطرف العربى فى جنوب وشرق البحر المقابل للطرف الأوروبى فى شمال البحر. كما أتذكر دائماً مبدأ أوروبياً يقول: إن مياه البحر المتوسط الندفئة محرمة على الاتحاد السوفيتى سابقاً «الذى انحصر فى روسيا الاتحادية حالياً».

وكذلك كانت أوروبا تنظر دائماً بطرف خفى إلى الأسطول الأمريكى الذى يتجول فى موانئ البحر الأبيض المتوسط بنظرة عدم الرضا والأمل فى إجلائه فى المستقبل (وإن لم يتحقق ذلك).

فأين مصر والعرب من كل هذا خاصة وأن إسرائيل أصبحت من دول شرق البحر المتوسط القوية والتي تهتم أمريكا حمايتها.

وأخيراً لا ننسى اقتراح بريطانيا الأخير من خلق وإيجاد منظمة التعاون والأمن لمنطقة الشرق الأوسط على غرار وتقابل منظمة التعاون الأمني الأوروبي ولعل هذا يكون في هذا التوقيت مؤشراً إلى تصميم أوروبا على أحكام وربط السيطرة على جنوب وشرق البحر المتوسط بمعاونة إسرائيل !!

بل أكثر من هذا هناك سياسات ترسم لمذمومة حلف شمال الأطلسي على منطقة العالم العربي التي يعبرون عنها بالشرق الأوسط ، وتوسيع الشرق الأوسط إلى ما يقال له الشرق الأوسط الكبير !!!

١١ - هل مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية؟!

يدور في خلدى دائماً ما أتوقع أن يحدث مستقبلاً للمنظمة العالمية (الأمن المتحدة)، وعلى الأخص جهازها الرئيسى مجلس الأمن، الذى يقوم بدوره فى حكم العالم من خلال القوى العظمى صاحبة حق الفيتو .

(أمريكا - روسيا - إنجلترا - فرنسا - الصين) إلا إن المشاهد فى السنين الأخيرة وبعد أن ظهرت أمريكا القوة العظمى الأولى إن لم تكن الوحيدة فى العالم وسواء، أكان ذلك واقعاً أم غير واقعى، كما أن الظاهر على الساحة العالمية حالياً أن إسرائيل تحكم وتتحكم فى أمريكا وسياساتها الخارجية وذلك الأمر تثبته وقائع ومجريات الأحداث منذ عهد ترومان إلى عهد بوش كما لا يستطيع أحد - ومنهم الدبلوماسيون الأمريكيون الذين عرفتهم خلال عملى فى الدبلوماسية المصرية - أقول لا يستطيع أحد من هؤلاء الدبلوماسيين أن ينكر أن نفوذ الأمريكان اليهود (اللوى اليهودى) هو السلطة العليا على الرئيس الأمريكى وحكومته، وهذا أمر أصبح علنياً وانتشر عالمياً بعد أن قام عدد من السفراء الأمريكيين بمخاطبة بوش برسالة يستطيع القارئ العزيز أن يعلم تفاصيلها من خلال ما تضمنه ملف رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين فى كتابى هذا، فضلاً عن أن النظرية الصهيونية تقول: إن أى يهودى من أى جنسية فى العالم ولاؤه الأول لإسرائيل. كما إن أى يهودى فى العالم إسرائيلى هو من مواطنى دولة إسرائيل قبل جنسيته من الدولة التى يعيش فيها!! وبهذا المنطق فإن كل اليهود فى أمريكا هم مواطنون إسرائيليون ولاؤهم الأول لإسرائيل ويعملون لحساب ومصصلحة إسرائيل بالرغم من حملهم الجنسية الأمريكية.

أعود فأقول: إنه - وإن كان فى الظاهر أن أمريكا هى المحرك حالياً - لمجلس الأمن - فإن إسرائيل من وراء الستار الأمريكى تمارس فترة تدريب إلى أن يأتى اليوم

- وفي ظني وخيالي أنة سيكون قريباً - حين تكشف إسرائيل عن نفسها بأنها هي التي ترأس وتتحكم في مجلس الأمن وفي هذا تحقيق لما تنادي به بروتوكولات حكماء صهيون من إيجاد حكومة يهودية عالمية واحدة تحكم العالم كله !!!
لعل القارئ العزيز يتعجب ويتساءل كيف ولماذا أعتقد بهذا وأتخيل هذه الأحداث!؟

وعلى رغم اعتقادي أن الغرب (أوروبا وأمريكا) هو الذي أوجد فكرة الصهيونية العالمية وصنع دولة إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي لإنهاء «المسألة اليهودية» - «المسألة الإسلامية» - والتخلص منهما إلا أن اليهود استغلوا ذلك وأصبحوا قوة داخل أوروبا وأمريكا لهم سلطة التأثير والتحكم في دول هذا الغرب كما أن الصهيونية لا تنسى أن تنتقم من الغرب عما ارتكبه من اضطهاد لليهود عبر القرون الماضية وهذه فرصتها بعد أن قويت واستحكمت.

وربما لا أكون مبالغاً إن قلت: إن تكوين منظمة الأمم المتحدة كان من أهدافه المستترة الرئيسية هو انفراد هذه المنظمة بقرار إنشاء دولة لليهود، وسبق لليهود أن قاموا بدور عالمي في إنشاء عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) والتي من خلالها تمكنوا من السيطرة على فلسطين خلال الانتداب البريطاني وتنفيذ وعد بلفور ١٩١٧ وهذا القرار هو قرار التقسيم، وهو من أخطر وأغرب القرارات التي يمكن أن يصدر في تاريخ البشرية، ذلك لأنه قرار إنشاء دولة على أسس دينية نادت بها منظمة صهيونية عالمية، وجرت الأحداث التاريخية أن الدول تنشأ بوجود شعب على أرض محددة الحدود وأن الجيوش لا تخلق دولاً ولكن الدول توجد الجيوش.

إن ما يؤكد لي أن هناك ارتباطاً بين إنشاء أمم متحدة وإنشاء دولة يهودية على حساب أرض وشعب عربي هو ذلك التقارب الفكري والزمني بين إنشاء المنظمة سنة ١٩٤٥ وصدور قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧.

إن من أراد أن يتأكد من كل هذه الأفكار التي ترى أن مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية المقبلة عليه فقط أن يتصفح بروتوكولات حكماء صهيون التي تؤكد

فى كل نصوصها أمل اليهود فى أن يكون لهم حكومة عالمية وتحكم وتتحكم فى مصير العالم وشعوبه وخيراته بصفتهم شعب الله المختار وأن بقية الشعوب هم خدم لليهود.

أدعو الله أن ينقذ شعوب العالم كلها من هذه الحكومة، حكومة اليهود الذين يدعون ظلاماً وبهتاناً أنهم شعب الله المختار، مع ملاحظة أن إسرائيل فى الآونة الأخيرة بدأت تتحرك لتكون إحدى الدول العشر غير الدائمة فى مجلس الأمن حيث إنها حتى الآن ليس لها الحق لأنها غير مرتبطة بمنطقة جغرافية، فمن المعروف أن مجلس الأمن يتكون من الخمسة عشر عضواً خمسة دائمين هم أصحاب حق الفيتو وعشرة غير دائمين تكون مدة عضويتهم فى المجلس عامين، ويمثلون مناطق جغرافية على سطح الأرض وهى قارات (آسيا، إفريقيا، أوروبا، أمريكا اللاتينية، أمريكا الشمالية، والعالم العربى ومجموعة الدول الإسلامية) وتعتبر هذه الخطوة الإسرائيلية بداية لتحقيق هدف اليهود الأسمى فى وجود دولة لهم تحكم وتتحكم فى العالم وكل الشواهد الحالية فى العالم تؤكد أن اليهود سيصلون إلى هدفهم، ولكن الله خالقهم قادر على أن يزيل قوتهم وبأسهم بمظاهر لا يعلمها إلا الله، وهذا هو إيمانى الشخصى كما أؤمن بأن الله تعالى سيجمى المسجد الأقصى من غدرهم ومحاولاتهم هدمه بحجة إعادة بناء الهيكل الثالث وليس ذلك على الله بعسير. ولقد حمى الله المسجد الأقصى من خطر أكبر من الصهيونية العالمية وهو خطر الحملات الصليبية.

١٢ - دور النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات

مع إسرائيل

لا أريد أن يخلو كتابي هذا من ذكريات عن النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات، فكل هذه المظاهر من سلوك الإنسان هي بالتأكيد لها أهدافها ودوافعها ولا يخلو أى مجتمع إنسانى منها لذلك يجد القارئ فى صفحات من كتابي هذا بعض ما تذكرته.

النكتة السياسية

النكتة بصفة عامة والنكتة السياسية على وجه الخصوص هدف وغاية، «شر البلية ما يضحك كما يقولون»، تستخدم للتعبير والنقد عن المعتقدات والأفكار السياسية والاجتماعية، تلجأ إليها الشعوب تنفس عن طريقها ما لا تستطيع أن تبيح به ومن ذكرياتي الدبلوماسية أننى استمعت لأول مرة إلى نكتة سياسية (بعنوان الشيطان مستشار سياسى) ألقاها دبلوماسى لزملائه الدبلوماسيين، وكان ذلك فى عاصمة إحدى الدول الإفريقية جنوب الصحراء عام ١٩٨٣ وقالها سفير دولة الفاتيكان (ويطلق عليه قاصد رسول) لدى هذه الدولة وكان راهباً كاثوليكياً من أصل هندي يتمتع بشخصية مرحة وواسع الاطلاع على الرغم من حداثة سنه بالنسبة لمنصب سفير، وكان له رأى خاص لا يخفيه عن «دولة إسرائيل» وهو يؤمن بضرورة الاعتراف بها كدولة علمانية وليست دولة يهودية، وكانت النكتة تقول:

قررت حكومتنا كل من القوتين العظميين - آنذاك وهما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي - قررتا التعاون مع «الشيطان» بدور المستشار السياسى لكل منهما، ويقدم لكل منهما نصائحه فى الأمور السياسية الدولية، كما يقدم لكل منهما الخطط التى يجب على كل منهما - على حدة - اتخاذها إزاء المشكلات الدولية بما يتفق ومصالح كل منهما ويتمشى مع استراتيجية التحكم فى

العالم بصفتها القوتين العظميين فى هذا العالم - وأنه يكفى أن يقوم كل منهما بتقديم طلب رسمى للشيطان - الذى وافق على تقديم خدماته واستشاراته السياسية بالمجان وبدون مقابل لكل طرف إلا فى حالة طلب الاستشارة مستعجلاً عن طريق الاتصالات التليفونية - وفى هذه الحالة فقط يقدم الشيطان فاتورة حساب المكالمات التليفونية إلى كل طرف فى نهاية كل عام.

وفى نهاية إحدى السنوات بعث الشيطان بفاتورة الاتصالات التليفونية عن الاتصال مع «البيت الأبيض فى واشنطن» بمبلغ مليون دولار أمريكى وبعث عن المدة نفسها بفاتورة التليفونات عن الاتصالات مع «الكرملين فى موسكو» بمبلغ ألف رويل «تعادل مائة دولار أمريكى» فقط!.

وفوجئ الشيطان باتصال تليفونى عاجل من الكرملين وكان رئيس الكرملين يتحدث بلهجة غاضبة ساخطة قائلاً: «لقد علمنا يا شيطان أن اتصالاتكم التليفونية مع البيت الأبيض تكلفت مليون دولار وهذا يعنى مقارنة بفاتورتك لنا ومبلغها مائة دولار فقط - أنك تتحدث تليفونياً مع البيت الأبيض أكثر وبالتالي فهذا يعنى أنك تقدم للأمريكان خدمات أكثر ونصائح وخططاً تتطلب وقتاً طويلاً فى المكالمات معهم، وذلك فى الوقت الذى لم تتكلف اتصالاتك معنا هنا فى الكرملين أكثر من مائة دولار فقط طوال السنة، وهذا المبلغ الزهيد يدل على عدم اهتمامك بتقديم نصائح للكرملين، وهذا أمر نرفضه يا شيطان، وسكت رئيس الكرملين عن الحديث منتظراً رداً وتفسيراً من الشيطان الذى كان هادئاً طوال سماعه لحديث رئيس الكرملين الساخط الغاضب.

بعد برهة صمت قال الشيطان بصوت رزين: «سيدى رئيس الكرملين أنا أخدم الاتحاد السوفيتى بكل إخلاص وبطريقة فعالة، والصلة معكم أكثر من الصلة بالبيت الأبيض هذه حقيقة يا سيادة رئيس الكرملين ولكنك تعلم أن الاتصالات بيننا وبينكم هنا فى الكرملين عن طريق (خط داخلى بيننا) يا سيادة الرئيس بينما اتصالاتنا مع البيت الأبيض فى أمريكا عن طريق خط دول!!!!.

وفيما يخص سياق كتابنا هذا تتعدد النكات التي تعكس وجهة النظر العربية تجاه القضية الفلسطينية بصدق وأمانة، وجهة نظر ربما يعجز عن ذكرها الدبلوماسيون والسياسيون.

ولعل لا شيء أدل على ذلك من نكتة ذلك الرجل العربي الذى وجد مصباح علاء الدين فى الصحراء، وعندما خرج له المارد وقال له شبيك لبيك فطلب منه العربي بناء كوبرى يربط بين القطبين الشمالى والجنوبى. نظر المارد إلى العربي فى ذهول يعبر عن العجز قائلاً: مستحيل. فقال له العربي ساخراً: إيه، ألم تقل: إنك سوف تنفذ أى أمر، فرد المارد، أطلب شيئاً معقولاً، هرش العربي فى رأسه وقال: هناك أمر آخر، رد المارد: هذه المرة أنا تحت أمرك، قال العربي: حاول أن تقيم سلاماً بين العرب وإسرائيل، هنا رد المارد على الفور: سيدى الكوبرى الذى تريده بين القطبين الشمالى والجنوبى اتجاه واحد أو اتجاهان!!.

وبرغم ما تتسم به الحوارات الدبلوماسية من جدية وحزم ودقة تعبيرات وحسابات كثيرة، إلا إن هذه الحوارات لا تخلو من النكات كنوع من التخفيف لحدة وصرامة هذه الحوارات، فضلاً عن عدم خلوها من المغزى السياسى من هذه النكات التى تخص تعليق المجتمع على شخصية الإسرائيلى تلك النكتة التى تصف اللقاء الذى جمع سفراء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى بلد إفريقي يتكلم الفرنسية، وعندما جاء ميعاد العشاء اجتمع السفراء الثلاثة وعلى مائدة العشاء جاء السفرجى ليسألهم وفى يده زجاجتان الأولى نبيذ أحمر والثانية نبيذ أبيض، جدير بالذكر أن هناك كلمتين فرنسيتين تتحدان فى النطق وتختلفان فى الحروف والمعنى هما: (vin) بمعنى نبيذ، وكلمة (vingt) بمعنى عشرين، وعندما سئل السفير الفرنسى عما يفضل طلب (vin rouge) أى (نبيذ أحمر) أما السفير البريطانى فطلب (vin blanc) أى نبيذ أبيض أما السفير الإسرائيلى فنظر إلى السفرجى قائلاً إبنى أفضل (le vingt pour cent) أى أفضل نسبة العشرين فى المائة.

نكتة أخرى عن ليفى أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى فى الستينات تقول: إن وزير الزراعة جاءه حزينا، فسأله ليفى ماذا حدث؟ فأجاب هناك كارثة اقتصادية فى إسرائيل، فأجاب ليفى على الفور: الحمد لله أنها مش فى أمريكا.

نكتة أخرى عن عبور موسى عليه السلام مع اليهود إلى سيناء شمالاً في اتجاه إلى أرض الميعاد، حيث عبّر أحد خبراء الطاقة الإسرائيليين عن أسفه وندمه على الخطأ الاقتصادي والاستراتيجي الذي وقع فيه موسى باتخاذ طريق الشمال الشرقي وكيف أن الوضع كان يمكن أن يصبح أفضل لإسرائيل لو اتخذ اتجاه الجنوب الشرقي حيث بتروك منطقة الخليج.

نكتة أخرى، يروي في عصر الخرافات: إنه في يوم من الأيام قال الثعلب للأسد: إن الحيوانات جميعها تخاف مني.

قال له الأسد: كيف ذلك وأنت لست أقوى حيوان في الغابة؟!

قال الثعلب: امشى معي في الغابة وسترى بنفسك.

فمشى الأسد مع الثعلب في الغابة: وعندما ترى الحيوانات الأسد والثعلب تخاف وتهرب لا من الثعلب ولكن خوفاً من الأسد.

فيقول الثعلب للأسد: الآن صدقت أن الحيوانات كلها تخاف مني، ومغزى هذه القصة تعكس موقف إسرائيل وأمريكا على الساحة الدولية.

ونكتة أخرى عن استخدام علم الجبر في السياسة، سأل الأستاذ التلميذ وقال له: كيف تفسر النص الجبري ٢ ص؟ فأجاب التلميذ هي أن، ٢ ص تعني حاصل جمع (١ ص + ١ ص) فسأله الأستاذ ماذا تعني الـ (ص)، فأجاب التلميذ: أن الـ (ص) الأولى هي رمز الصهيونية والـ (ص) الثانية هي رمز للصليبية.

هكذا تصبح النكتة وسيلة للتعبير المباشر عن المعتقدات والأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتعتبر في أوضاع أخرى وسيلة للتعبير عن آمال وآلام الشعوب.

هذه أمثلة للنكات عن إسرائيل رأيت أن أضفها في كتابي هذا كنوع مما يدور حول اليهود دون أن يعتبر ذلك هجوماً أو معاداة لليهودية كدين، وغيرها كثير جداً من النكات يحتاج إلى كتاب كما فعل الصحفي المصري عادل حمودة في الكتاب الذي أصدره بعنوان «النكتة اليهودية».

ومن الملاحظ أن عادل حمودة اعتمد على عدد من الكتب والمراجع لكتاب يهود وجمع مادته من عشرات المراجع التي عنيت بالنكتة اليهودية وبالأخص حين لفت نظره كتاب ذائع في أمريكا بعنوان «موسوعة النكتة اليهودية» لمؤلفه اليهودي (هنرى سبالدنچ) جمع فيه كل ما سمعه من حكايات ونكات من اليهود وعنهم، بالإضافة إلى عشرات من الكتب الأخرى ليقدم كتابه هذا.

وقد كان للشاعر الإنجليزي شكسبير وعالم النفس المشهور سيجموند فرويد رأى خاص في هذه القصة ليس هنا مجال سرده.

والنكات التي تهمنى في هذا الكتاب هي النكات التي تعبر عن المشكلة الأساسية والتي تتركز في اغتصاب وطن عربي هو فلسطين واحتلاله بقوات إسرائيلية بدعوى حق اليهود الإلهي لأرض الميعاد للشعب المختار.

وإضافة إلى ملف النكات، من المفيد أيضاً استعراض الأفلام السينمائية، والمسلسلات التليفزيونية، والكتب، والمسرحيات، الأمر الذي أشير به في كتابي هذا ليس على وجه الحصر ولكن على وجه الأمثلة.

أولاً: المسلسلات التليفزيونية والأغاني:

المسلسل السوري (الثقات) عرضته قناة المنار التابعة لحزب الله اللبناني هذا المسلسل تراه إسرائيل أنه يعمل على ترويح دعائي معادٍ للسامية من شأنه أن يزيد العنف في المنطقة ضدها بينما يقول منتج المسلسل: إنه قائم على واثق وحقائق تاريخية، وتؤكد صحة ودقة المعلومات التي وردت في المسلسل فهو يزيد على ٢٥٠ مرجعاً تاريخياً وطبعاً أمريكا أيدت إسرائيل في رفض المسلسل لأن حزب الله بالنسبة لها منظمة إرهابية.

والمسلسل المصري (فارس بلا جواد) عرض بالتليفزيون المصري وأرى أنه من المفيد ربط أحداث هذا المسلسل مع أحداث المسلسل السوري ونذكر القارئ بأن هذين المسلسلين ذكرا في كتابنا هذا بملف مؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون لما هناك من صلة بين الموضوعين الأفلام السينمائية والمسرحيات.

ومن المسلسلات أيضاً مسلسل (رأفت الهجان ثلاثة أجزاء) ومسلسل (دموع في عيون وقحة).

والأغنية الشعبية الشهيرة (بكره إسرائيل) لشعبان عبد الرحيم (شعبولة) والتي احتجت دولة إسرائيل على إذاعة هذه الأغنية واتهموا شعبولة بمعادة السامية. ومن المهم بيان أن الأفلام والمسلسلات المصرية قبل إنشاء إسرائيل لم تكن ضد اليهود ولا تدل على الكره لهم بل بالعكس كانت تظهر مدى تألف الديانات المختلفة من إسلام ومسيحية ويهودية.

ثانياً : الأفلام السينمائية والمسرحيات:

ومن أشهر الأفلام والمسرحيات التي عايشتها في شبابى بوطنى، فيلم لعبة الست، ومسرحية (حسن ومرقص وكوهين).

وفيلم (فاطمة وماريكا وراشيل)، ونعلم أنه من أشهر وأهم الأفلام التي عايشتها حديثاً (the passion of the Christ)، فيلم آلام المسيح وهو أول فيلم ندى طابع دينى يثير مثل هذه الضجة فى تاريخ السينما الأمريكية هذا الفيلم فقرة من «إنجيل متى» والتي تجئ فى سياق الفيلم هى مصدر من مصادر الاتهامات المتعددة لليهود على مر الأزمان لأنها تشير إليهم جماعياً على أن الجريمة تقع على رؤوسهم، لذا هو مثار كل هذه المعارك المتصلة ضده من قبل غلاة اليهود الذين استطاعوا بكل وسيلة أن يحصلوا من الفاتيكان على صك براءة من دم المسيح، وقد أعلنت بعض الجماعات اليهودية اعتراضها على قصة الفيلم بدعوى أنها تتهم اليهود بقتل المسيح.

وقصة الفيلم الذى يرون أنها تحرض على كراهية اليهود ومعاداة السامية، علق عليه بابا الفاتيكان قائلاً: إن الفيلم يروى القصة الحقيقية للساعات الأخيرة فى حياة المسيح وتتفق قصة الفيلم التى تركز على الاثنى عشر ساعة الأخيرة فى حياة المسيح متفقة مع ما تذكره كتب الدين المسيحى تقول مجلة «نيوز ويك» الأمريكية أن اعتماد قصة الفيلم على روايات الإنجيل كمصدر رئيسى للمعلومات التى ينقلها الفيلم حول ساعات المسيح الأخيرة، يعيد إلى الأذهان قضية مثيرة حول الإنجيل.

وتضيف المجلة أن جذور الخلاف حول الاتهامات الموجهة إلى المسيحيين بمعادة السامية ترجع إلى الفهم الخاطئ لبعض ما كتب في (العهد الجديد) وخاصة فيما يخص مسئولية اليهود عن مقتل المسيح، فاليهود المذكورون في «العهد الجديد» لا يقصد بهم جميع اليهود، بل يهود المعبد الذين اعتقدوا أن وجود المسيح قد يؤثر على الأمن في البلاد، فمعظم المسيحيين الأوائل كانوا يهوداً قبل أن يؤمنوا بالمسيحية وكانوا يؤمنون بأنهم يهود ومسيحيون.

كما أنه من الأفلام الحديثة أيضاً فيلم (مملكة السماء) وفيلم (الوصايا العشر) وفيلم (شفرة دافينشي) وفيلم (تاجي العلي) وفيلم (مهمة في تل أبيب) وفيلم (السفارة في العمارة) وكلها من أهم الأفلام التي عرضت على العالم وفيها موضوع القضية من زوايا مختلفة، لذلك أرى الإشارة إلى أهمية هذه الأفلام مع التحفظ على أي خطأ تاريخي تضمنته هذه الأفلام وموقفى الشخصى الحيادى من كل هذه الأفلام.

ومن المسرحيات التي عايشتها هي مسرحية (تاجر البندقية) للمؤلف الكاتب الشهير وليم شكسبير فى القرن السادس عشر وأحداث المسرحية التي عرضت فى فينسيا عام ١٥٩٦ بـ (إيطاليا)، وفى هذا الزمن كان القانون الإيطالى يحرم الربا وكان فى أوروبا الشعور باضطهاد اليهود منتشرا بصفتهم يعملون فى مهنة المرابى وقصة المسرحية لم تكن من خيال المؤلف المحض وإنما تعبر عن الواقع الاقتصادى، ذلك الصراع الذى أدى إلى ظهور المسألة اليهودية فى المجتمع الغربى ودفعهم إلى التوقيع وقد تم تقديم هذه المسرحية للسينما مرة واحدة عام ١٩٥٢ م فى فيلم إيطالى فرنسى مشترك، وليس مجال كتابى هذا عرض المسرحية أو الفيلم ولكن المهم ذكر هذه المسرحية أنها تظهر إلى أى مدى كان اضطهاد اليهود، فضلاً عن كره الكاثوليكىة لليهود بصفتهم مسئولين عن قتل المسيح الأمر الذى قام بابا الفاتيكان مؤخراً بالاعتذار عنه.

وأستطيع أن أؤكد أن نشاط اليهود المصريين فى إنتاج الأفلام السينمائية التى يشترك فيها الممثلون والممثلات اليهود كان ظاهرة واضحة فى مصر فى عدة عقود

قبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ الذي لم يمنع استمرار النشاط السينمائي اليهودي لمدة سنوات في الخمسينات وقد تزامن هذا عندما كانت أمريكا هي المصدر الدولي الرئيسي لنشاط إنتاج الأفلام السينمائية، خاصةً وكانت أمريكا هي أول من أنتج الأفلام السينمائية بالألوان بعد أن كانت مقتصرة على الأبيض والأسود وفي ذاكرتي دائماً أنني قرأت في شبابي كتاب صدر في مصر بعنوان «السفير الأمريكي بالألوان الطبيعية» ولم أستطع عند تأليف كتابي هذا أن أستدل على اسم المؤلف وتاريخ نشر كتاب «السفير الأمريكي بالألوان الطبيعية» ولكني رأيت أن أشير إلى عنوان هذا الكتاب لعمق احتفاظ ذاكرتي به.

مسلسل (حتى لا تضيع فلسطين)

ختاماً لهذا الملف أقول: إن الذكريات الدبلوماسية تشمل فيما تشمله ذكريات عن القراءة والاطلاع على أمهات الكتب عربية كانت أو أعجمية ولا شك أن واجب الاطلاع والقراءة أمر حيوي للغاية في العمل الدبلوماسي.

ومن هذه الذكريات أود أن أشير في كتابي هذا أنني أطلعت وقرأت التقرير الذي أعدته شعبة حقوق الفلسطينيين في الأمانة العامة للأمم المتحدة للجنة المعنية للممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف وإرشادها عملاً بقرار الجمعية العامة ٤٠/٣٢ المؤرخ ديسمبر ١٩٧٧ - أعدت تقريراً تحت عنوان «منشأ القضية الفلسطينية وتطورها (١٩١٧ - ١٩٨٨)»، و صدر هذا التقرير من مكتب الأمم المتحدة في نيويورك ١٩٩٠.

ويعتبر هذا التقرير في رأيي من أفضل وأخطر وأصدق ما يعبر عن المسألة التي أدت إلى ظهور دولة إسرائيل على خريطة العالم ومحو اسم فلسطين بعد أن احتلت كافة الأراضي الفلسطينية.

ويتميز هذا التقرير بأنه يظهر موقف القوى العالمية المختلفة في فرض الفكرة الصهيونية لخلق دولة يهودية سميت «بِدولة إسرائيل» كما يظهر التقرير بوضوح الدور العربي بما فيه شعب فلسطين الذي حاول قهر استطاعته وإمكانياته الحيلولة

دون تحقيق الفكرة الصهيونية باغتصاب فلسطين أرضاً وشعباً، كما يظهر التقرير إلى أى مدى عملت القوى الغربية أوروبا قديماً ومعها أمريكا حديثاً فى التخلص من مسألتين تؤرقهم وأقصد بها المشكلة اليهودية المزمّنة فى أوروبا منذ اتخذت روما الديانة المسيحية الكاثوليكية وما قبل ذلك، واعتبرت اليهود عدواً يجب التخلص منه واضطهاده بحجة قتل المسيح - هذه مسألة - والمسألة الثانية التى كانت تؤرقهم هى المسألة الإسلامية، حيث وصلت الجيوش الإسلامية إلى فيينا فى شرق أوروبا وإلى أبواب باريس فى غرب أوروبا ومنذ القدم وهذه الظاهرة الإسلامية تؤرقهم، خاصة أنهم لم يستطيعوا القضاء على الإسلام فيما يعرف بالحروب الصليبية الأوربية، وهكذا أوجدت أوروبا فكرة إنشاء دولة يهودية فى قلب العالم العربى والإسلامى لينتهى أرقهم من المسألتين.

لهذه الأسباب وحتى لا تضيق فلسطين إلى الأبد ولتعميق هذه القضية فى الأجيال القادمة من العرب والمسلمين وحيث إننا فى حاجة إلى وسائل إعلامية تستغل كل المبتكرات الحديثة إلى جانب الكتب والمراجع فى شتى أنحاء العالم وبكل اللغات المختلفة للبشر أعتقد أنه من المفيد جداً أن يتبنى التلفزيون المصرى أو السورى بإنتاج مسلسل تاريخى عن «قضية فلسطين بعنوان» حتى لا تضيق فلسطين» من واقع ما تضمنه هذا التقرير الدولى الذى يعتبر مؤلفاً علمياً دولياً موثقاً يمكن الاعتماد عليه فى إخراج هذا المسلسل التلفزيونى التاريخى ليكون مرجعاً بالصورة وبالكلمة وبالوقائع عن كيفية ضياع فلسطين التى حلت محلها دولة إسرائيل على خريطة العالم.

والتقرير ترجع أهميته أيضاً إلى أنه سجل تفصيلى لقرارات دولية وتصريحات لزعماء وقادة دول ومنظمات أوردتها التقرير بطريقة فريدة تبرز حجم مأساة اغتصاب وضياع أرض وشعب فلسطين وقد ورد كل هذا بالتقرير بشكل درامى يصلح ليكون نواة للحوار التاريخى الذى يمكن أن يتضمنه المسلسل التلفزيونى.

والاسترشاد بالمعلومات التى جاء ذكرها بالقرار رقم (٤١) الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٩٨ فى الدورة رقم (٥٣) حيث إن فكرة إنشاء دولة

إسرائيل تعود إلى عام ١٨٩٧ أى منذ أكثر من مائة عام ولا شك أن تفاصيل أحداث هذه المأساة ستكون فى طى النسيان فيما هو قادم من سنين، خاصة وأن الأجيال القادمة ستفقد خاصية الرجوع إلى كتب الماضى والدليل على ذلك أنه بالنسبة لوقتنا الحاضر قد ظهر واضحاً قلة نسبة قارئى الكتب بالمقارنة مع مشاهدى التليفزيون. وأعتقد أن تحقيق هذا المسلسل بكل البراعة المصرية فى الإنتاج والتمثيل سيكون له أثر كبير عربياً، أما بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية وغيرها من الدول فأعتقد أنه من المهم دبلجة عدة نسخ من هذا المسلسل إلى اللغات الخمس المعمول بها فى الأمم المتحدة وهى (الإنجليزية - الفرنسية - الأسبانية - الصينية - الروسية). كما أنه من المهم أن أشير إلى أن - الهيئة العامة للاستعلامات المصرية أصدرت ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية فى جزئين عام ١٩٦٩.

١٣ - إسرائيل منذ عام ١٨٩٧

لعل القارئ يتعجب من هذا العنوان ولعله يتساءل لماذا عام ١٨٩٧ بالذات؟

عام ١٨٩٧

حيث اجتمع المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل «السويسرية» برئاسة تيودور هرتزل «الأب الروحي للحركة الصهيونية» وتقرر إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام تأكيداً لحق الشعب اليهودي في بعثة قومية في بلدة، وفي نهاية المؤتمر أعلن هرتزل ولقد أسست في بازل الدولة اليهودية» وهنا يجب الإشارة إلى ما كان يثار حول كيان الدولة اليهودية المزمع إيجادها، وحدودها على خريطة العالم كما رسمها المؤتمر الصهيوني العالمي وهي تشمل شبه جزيرة سيناء، حتى الضفة الشرقية لقناة السويس، بما في ذلك صحراء العقبة، وخليج العقبة (من الأراضي المصرية) والجزء الشمالي الغربي. (من السعودية)، وشرق الأردن والجزء الجنوبي من سوريا إلى تخوم مدينة دمشق بما في ذلك هضبة الجولان والساحل الجنوبي المتاخم لفلسطين من أرض لبنان، هذا بالإضافة إلى كل أراضي فلسطين، وهذه الخريطة لم ينتبه إليها الساسة والزعماء وحكام العرب آنذاك ولم يضعوها في تقديراتهم ودراساتهم تلك الخريطة التي رسمها المؤتمر ١٨٩٧ قد تحققت إلى حد كبير وتندر بتحقيق ما لم يتحقق من خريطة إسرائيل الكبرى التي هي من النيل إلى الفرات كما هو واضح في هذه الخريطة.

تفسر لفظ إسرائيل بالحروف اللاتينية (israel) على أساس أن حروف هذا اللفظ تجميع لحروف أوائل أسماء البلاد العربية التي ستكون جزءاً من إسرائيل الكبرى بعد الاحتلال الإسرائيلي وهذه الدول هي:

١ - العراق IRAQ - I

٢ - سوريا SYRIE - S

٣ - المملكة الهاشمية (الأردن) RAUYUM HACHMITE - R

٤ - المملكة العربية السعودية ARABIE SEOUDITE - A

٥ - مصر EGYPTE - E

٦ - لبنان LIBAN - L

وطبعاً لم تذكر فلسطين ضمن الحروف لأن إسرائيل تنفى وجود فلسطين. في عام ١٩٩٧ احتفلت إسرائيل بالعيد المئوي لوجودها على خريطة العالم منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، (كما احتفلت أيضاً فيما بعد بمرور ٣٠٠٠ سنة على عاصمتها اورشليم).

الحقيقة أنني أفكر في هذا التاريخ «منذ سنين طويلة» ويرجع ذلك إلى أن «قضية فلسطين» التي تشغل بال جميع شعوب العالم - والعرب منهم بصفة خاصة - هي الشغل الشاغل «للدبلوماسي» سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي، وأياً كانت دولته التي يمثلها.

وإذا كانت قضية فلسطين بهذه الأهمية على مسرح السياسة العالمية منذ ذلك التاريخ فإن مستقبل هذه القضية لا بد وأن يكون على درجة أعلى من الأهمية.

وسبب اهتمامي «بإسرائيل» يعود إلى «الذاكرة» التي يترسب فيها ما حدث عام ١٨٩٧ كما يترسب فيها وبعثت أيضاً الأحداث التي تتابعت بعد عام ١٨٩٧. ولا بد أن نستعيد ما في «الذاكرة» منذ عام ١٨٩٧ حتى نستطيع أن نتبين أهمية وخطورة «إسرائيل الآن» ولعله من المهم أن نستعرض معاً أهم ما تحتزنه «الذاكرة» باختصار شديد ولن شاء المزيد أن يعود إلى الكتب والمراجع عربية كانت أم أعجمية والأفضل من ذلك أن يعود إلى أضيابير وملفات «الأمم المتحدة»

التي أنشئت في ٢٦ يونيو ١٩٤٥ (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أى بعد إنشاء الجامعة العربية بـ ٩٩ يوماً) ومن قبلها عصبة الأمم (التي أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى ١٤ - ١٨) فهي صورة تعكس وتشهد على حجم المأساة التي أدت إلى «وجود إسرائيل».

أولاً: عام ١٩١٧

صدر تصريح بلفور (وعد وزير خارجية بريطانيا) نصه كالآتي:
عزيزي اللورد روتشلد: يسرني جداً أن أبلِّغكم بالنيابة عن حكومة جلالتكم
التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانى اليهود وقد عرض على
الوزارة وأقرته..

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي
في فلسطين وستبذل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية - على أن يفهم جلياً أنه
لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف
غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع
به اليهود في أي بلد آخر وسأغدو ممتناً لو تكرمتم بإحاطة الاتحاد الصهيوني
بهذا التصريح.

المخلص آرثر جيمى بلفور.

وبهذا التصريح «الوعد» أصبحت بريطانيا العظمى التي كان لديها صكّ الانتداب
على فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى ١٤ / ١٩١٨ هي المسئولة عن توطين يهود
العالم في فلسطين.

ثانياً: عام ١٩٤٧

صدر القرار ١٨١ من الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العادية الثانية
ويقضى القرار بتقسيم فلسطين إلى «دولة يهودية» و «دولة عربية» وقسمت فلسطين
إلى ثمانية أقسام ثلاثة لليهود وأربعة للعرب والقسم الثامن «لمدينة القدس» بصفتها
كيانا مستقلاً يخضع لإدارة مجلس الوصايا التابع للأمم المتحدة وتم اتخاذ القرار
بأغلبية ٣٣ ضد ١٣ وامتناع ١٠ دول (مجموع دول الأمم المتحدة آنذاك ٥٦ دولة)

التي تم ذكرها في ملف الجامعة عند الحديث عن قرار (١٨١).
وكان قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أول نشاط للأمم المتحدة بعد تكوينها عام ١٩٤٥
على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية في ١٥ مايو ١٩٤٥.

ثالثاً: عام ١٩٤٨

وبهذا القرار تم إنشاء دولة إسرائيل التي ظهرت إلى الوجود في ١٥ مايو ١٩٤٨
بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل على يد
العصابات الصهيونية في فلسطين.

رابعاً: عام ١٩٤٩

أصبحت دولة إسرائيل «عضواً في الأمم المتحدة صاحبة قرار الإنشاء» في
١٥ مايو ١٩٤٩.

قراران (أ): ١٩٤ الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين (ب): ٢٧٣ الخاص
بشأن عضوية إسرائيل إلى منظمة الأمم المتحدة وانضمامها إلى المنظمة.

خامساً: عام ١٩٦٧

قامت إسرائيل بحرب «الأيام الستة» في ٥ يونيو ١٩٦٧ احتلت فيها إسرائيل
كافة وجميع أراضي فلسطين بما فيها القدس العربية، بالإضافة إلى احتلال سيناء
من مصر والجولان من سوريا.

بعد أن تم لإسرائيل احتلال الأرض صدر القرار المشهور ٢٤٢ من الأمم
المتحدة في نوفمبر ١٩٦٧ الذي نادى بتسوية سلمية «لمشكلة الشرق الأوسط» تقوم
على مبادئ:

انسحاب القوات الإسرائيلية من «أرض» احتلتها في النزاع (وهناك خلاف في
النصوص هل هي أرض أم الأرض).

إنهاء جميع حالات الحرب.

تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين، (ولم يذكر لفظ الفلسطينيين).

ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية في المنطقة.

وهكذا أصبح قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ هو البديل لقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ الخاص بتقسيم فلسطين وصار هو الأساس الذي تتم عليه تسوية سلمية لمشكلة لشرق الأوسط! (على أساس الحدود الجديدة بعد حرب ١٩٤٧).

أما القراران رقم ٣٣٨، ٤٢٥ وما تعرضه تلك القرارات من انسحاب إسرائيلي كامل من الجولان السورية وجنوب لبنان والأراضي الأردنية والضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة والمستوطنات وحل مشكلة اللاجئين وفقاً لقرارات الشرعية الدولية والذين صدر بشأنهم قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٩) لعام ١٩٩٨ للدورة (٥٣) والذي ينص على تكوين لجنة حقوق الشعب الفلسطيني، والقرار رقم (٤٠) لدعم شرعية الحقوق الفلسطينية، والقرار رقم (٨٩) لمساعدة الشعب الفلسطيني.

هناك أحداث وقرارات أخرى هامة منها اشتراك إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في العدوان على مصر عام ١٩٥٦ - وحرب عام ١٩٧٣ بين إسرائيل وسوريا ومصر - واتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ - واحتلال إسرائيل لجنوب لبنان عام ١٩٨٢ وغير ذلك من أحداث وقرارات ومؤتمرات ولكنها كلها لم تغير من حقيقة أن إسرائيل عبر سنوات ١٨٩٧ و ١٩١٧ و ١٩٤٧ و ١٩٦٧ قد وجدت على خريطة العالم واحتلت كافة وجميع فلسطين ولا ننس أن اتفاقية كامب ديفيد قد جعلت جزءاً من سيناء منزوع السلاح مما قد يكون سبباً في إعادة احتلال إسرائيل لها في أي وقت.

عزيزي القارئ: هل تدرك أن خريطة إسرائيل الكبرى في صدر الكنيست ما زالت تضم الأراضي العربية من النيل إلى الفرات، الفرات الذي صار أسيراً للقوات الأمريكية أو قل أسيراً للصهيونية العالمية إن شئت الدقة.

وهل يا ترى يمكن أن نتصور من منظور آخر أن إسرائيل ستتنازل عما حصلت عليه أو عن أجزاء بسيطة وثانوية مما حصلت عليه في أكثر من مائة عام مضت، أو أن أي تنازل منها يحتاج لمائة عام قادمة وربما أكثر.

ومما يزيدني حزناً ما قرأته في مجلة أكتوبر العدد ١٠١٧ في ٢١ أبريل عام ١٩٩٦، في صفحة (كانوا سنة ١٩٤٦)، قرأت ما أحب أن يشاركني فيه القارئ:

ذكرت المجلة تحت عنوان «قطار فلسطين» (استأنفت مصلحة السكك الحديدية المصرية أمس تسيير قطار فلسطين يغادر القاهرة في المساء، يقل جمهوراً كبيراً من المسافرين من بينهم طلبة كليتي النجاح في نابلس والطب في بيروت وسيصل قطار فلسطين القادم من حيفا في الساعة الثامنة من صباح اليوم إلى القاهرة وقد أعد قطاران خاصان يغادران حيفا اليوم ويصلان إلى القاهرة صباح غد مقلين حجاج فلسطين). .

هل تصدق يا عزيزي القارئ أن هذا كان يحدث منذ ستين عاماً فقط؟، هل يا ترى خلال الستين عاماً القادمة يمكن أن يعود الحق لأصحابه؟، ويعود قطار فلسطين الذي يقوم من القاهرة ليصل إلى نابلس وحيفا أي يربط ما بين فلسطين ومصر أتمنى!! وإن كنت لست متفائلاً، بل أبدي مخاوفى من أن تقوم إسرائيل بما يأتى فى الستين عاماً القادمة:

– طرد كافة الفلسطينيين وإبعادهم من فلسطين بما فى ذلك من يطلق عليهم «عرب إسرائيل».

– إجهاض القوة العسكرية لسوريا.

– التواجد الإسرائيلي تحده المصالح الأمريكية على أرض العراق.

– القيام بعمل عسكري مع مصر على أرض سيناء يحقق لها السيطرة الكاملة على سيناء التى عليها تلقى موسى التوراة كتاب اليهود المقدس. وأعتقد أن هذه الإجراءات ليست بمستحيلة على إسرائيل والله أعلم.

١٤ - شيخ الأزهر والحاخام

إن ممارسة العمل الدبلوماسي خاصةً ما يتصل به التواجد في سفارات وقنصليات مصر في عواصم الدول المختلفة يظهر ويبرز أهمية الأزهر كمؤسسة دينية مصرية منذ ما يزيد على ألف سنة والتي يحدثنا التاريخ أن صاحب الفضل في إنشاء هذا الكيان الديني الهام هو حكم الفاطميين الذي بدأ نشاطهم فيما يعرف الآن بالملكة المغربية ذلك الجزء من شمال أفريقيا الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ويفصل ما بينه وبين الجزء الأوروبي المعروف بشبة جزيرة إيبيريا (إسبانيا - البرتغال) ويفصل ما بين الجانبين مضيق يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي يعرف باسم مضيق جبل طارق نسبة إلى القائد الإسلامي طارق بن زياد، الذي عبر هذا المضيق بقواته إلى شبة جزيرة إيبيريا وقال لهم:

«العدو أمامكم والبحر خلفكم والشهادة في سبيل الله أملككم»

وأسس ما يعرف في التاريخ بدولة الأندلس الإسلامية التي استمرت ثمانية قرون وانتهت منذ خمسة قرون ولازالت آثار هذه الدولة الإسلامية موجودة في كثير من المدن الأندلسية تحكي ماضياً مجيداً كان له أثر كبير في نقل أوروبا من حضارتها القديمة (الرومانية - اليونانية) إلى النهضة الأوروبية الحديثة التي يتحدث عنها التاريخ لمن يريد أن يعلم، ولقد انتهزت فرصة عملي بسفارة مصر في الجزائر الذي بدأ في منتصف عام ١٩٧٦ فقامت بزيارة المملكة المغربية وعبرت مضيق جبل طارق وزرت مدن الأندلس بآثارها ومساجدها وحدثتها ومبانيها الإسلامية لمدة شهر في إجازتي السنوية عام ١٩٧٧ وهي أى هذه الزيارة تحتاج إلى كتاب آخر غير كتابي هذا.

وأعود فأقول: لا يختلف اثنان على الدور التاريخي والديني والثقافي والحضاري الذي قام به الأزهر الشريف ولازال يقوم به منذ أن أسس عام (٩٧٢ م)، فضلاً عن الدور الوطني الذي قام به علماء الأزهر في الدفاع عن أرض مصر وحريرتها

تحت شعار الأزهر منبراً للحرية ونقطة انطلاق الثورات الوطنية الراضة للاحتلال ولا أخفى سراً أنى قد لاحظت بنفسى أثناء عملى الدبلوماسية فى البلاد المختلفة عربية وإسلامية أفريقية وآسيوية وأوروبية مدى المكانة التى يتمتع بها الأزهر كجامعة إسلامية عريقة كانت ولا زالت أقدم جامعة عالمية إسلامية، أقول لا أستطيع أن أصف تلك المكانة الرائعة التى يحتلها الأزهر فى نفوس وعقول مسلمى العالم من شتى الجنسيات والشعوب، فضلاً عن دوره الرائد لنشر الإسلام فى العالم عن طريق المبعوثين من رجاله إلى الدول واستقباله لطلاب فى منح دراسية.

هذه مقدمة لابد من ذكرها كى تكون مدخلاً للحديث عن الأزهر الآن من منظور التطورات والتغيرات التى حدثت ولا زالت تحدث على الصعيد العالمى، وأخص بالذكر فى كتابى اللقاء الذى تم بين شيخ الأزهر فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوى والحاخام الإسرائيلى مائير لاو فى رئيس طائفة اليهود الإسكناز يهود الغرب فى إسرائيل علماً بأن هناك أيضاً فى إسرائيل (حاخام ليهود الشرق السفرايم).

هذا اللقاء ثارت حوله زوبعة تخلط ما بين السياسة والدين، تخلط بين ما هو موضوعى وعقلى وعاطفى، برغم التصريحات التى أكدها شيخ الأزهر بعد لقائه من تأكيد على أن الحاخام جاء كما يجىء سائر الناس، ومؤكداً على أن منهجه فى الحياة أن يكون قلبه ومكتبه مفتوحين لكل من يريد مقابلته لا فرق فى ذلك بين حاخام وغير حاخام، خاصة وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقابل اليهود بالرغم من مواقفهم المعروفة ضد الإسلام ورسول الإسلام.

وعندما سُئل شيخ الأزهر عن إمكانية اعتبار هذا اللقاء نوعاً من أنواع التطبيع بين مصر وإسرائيل كان رده دبلوماسياً ولباقة: التطبيع موجود ولا يمكن إنكاره ولمصر سفير فى إسرائيل وإسرائيل سفير فى مصر، وأكد على أن لقاءه بالحاخام يعبر عن موقف فردى لا علاقة له بالحكومة وفى نهاية المقابلة قام الحاخام بدعوة شيخ الأزهر لزيارة القدس (المحتلة)، فكان رد شيخ الأزهر (أتريدنى أن أذهب إلى السفير الإسرائيلى لأحصل منه على تأشيرة دخول إلى القدس، هذا لن يكون إلى

أن ألقى الله عز وجل، وعندما أفكر في زيارة القدس سأذهب للسلطة الفلسطينية الممثلة بسفارة فلسطين في مصر لأخذ منها تأشيرة دخول للقدس).

هذه المقابلة بين شيخ الأزهر والحاخام ذكرتني بما دعوت إليه من خلال منبر بريد الأهرام منادياً فيه المسؤولين المصريين بضرورة طبع رسالة دكتوراه فضيلة شيخ الأزهر والتي ناقشها في ٥ سبتمبر ١٩٦٦، والتي نتج عنها مرجع يعد من أعظم المراجع الدينية التي تقوم بعملية تأصيل وتوثيق لليهود في التراث الإسلامي وعنوان الرسالة هو (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) وصدر عنها كتاب من دار الشروق في نوفمبر ١٩٩٧، وازداد تأكيدى واهتمامى بهذا الكتاب بعد ما جاء في تصريحات شيخ الأزهر أن الحاخام سأله عن هذه الرسالة وهذا الكتاب مما يظهر إدراك إسرائيل لخطورة مثل هذا الكتاب في تأصيل الرؤية الإسلامية لبنى إسرائيل واليهود منذ عهد موسى عليه السلام حتى العصر الحديث، وهو الأمر الذى أكد لى ضرورة طبع هذا المؤلف الدينى (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة) فى مهرجان مكتبة الأسرة بطبعة شعبية بأسعار زهيدة كى يطلع عليها شباب وشيوخ مصر والمسلمون جميعاً، وحبذا لو تمت ترجمته إلى اللغات العائنية الأجنبية المستخدمة فى منظمة الأمم المتحدة الخمس ولعل ندائى هذا فى كتابى هذا يكون له صدى ويتم تحقيقه خدمةً للمسلمين فى مصر وفى أنحاء العالم كى يتعلموا ويدرسوا ويفهموا مدى خطورة المخطط الغربى والصهيونى ضد الإسلام والمسلمين خاصة بعد وجود دولة صهيونية باسم إسرائيل فى قلب العالم العربى والذى هو قلب العالم الإسلامى.

وقد ارتبط لمدة قصيرة لقاء شيخ الأزهر بحاخام رئيس طائفة اليهود الاشكيناى فى إسرائيل بموضوع زيارة السفير الأمريكى السابق فى مصر ديفيد وولش (وأعتقد أنه يهودى) لشيخ الأزهر وكانت المقابلة على أثر تصريح قد نشرته الصحافة المصرية لأحد علماء الأزهر أن الحكومة العراقية الحالية حكومة غير شرعية لأنها لا تعبر عن اختيار ديمقراطى للشعب العراقى ومن ثم لا يجوز التعامل معها، الأمر الذى دعا بعض الجهات الأمريكية بالتأكيد على أنه فى حالة عدم تراجع

رجال الأزهر عن مثل هذه التصريحات سوف يتم وضع الأزهر على قائمة المنظمات الإرهابية العالمية ولا أعرف تفاصيل اللقاء الذى جمع بين شيخ الأزهر والسفير الأمريكى ديفيد وولش (الذى صار بعد ذلك المسئول الأمريكى عن العلاقات الشرق أوسطية فى وزارة الخارجية حتى كتابة كتابى هذا).

ولا أريد أن أعرف، ومن أراد أن يعرف فليرجع إلى أخصير وزارة الخارجية المصرية.

وإن كنت متأكدًا فى نفسى أن فضيلة شيخ الأزهر لا بد وأنه كان حريصا كل الحرص على حفظ كيان الأزهر الشريف ورسالته وماضيه العريق، ليس فقط فى مقابلته مع الحاخام الإسرائيلى والسفير الأمريكى ولكن أيضا فى كل اتصالاته العالمية.

وبهذه المناسبة أسجل أننى قد سبق وأن أكدت فى أكثر من مقام ضرورة ضم أعضاء من الدبلوماسيين المصريين والعرب من خريجي الأزهر الشريف لاسيما خريجى الشريعة والقانون، ودور الثقافة الدينية فى إثراء العمل الدبلوماسى لاسيما على صعيد الصراع العربى الإسرائيلى والذى تدعى فيه إسرائيل زوراً اعتمادها على حيثيات دينية توراتية لأسباب وجودها وأى مفاوضات بين العرب وإسرائيل ستوضع التوراة الأمر الذى يستلزم أن يضع العرب القرآن والإنجيل.

بل أكثر من ذلك على ضرورة تفعيل دور الأزهر على الصعيدين الآسيوى والإفريقي وإقامة لجان حوار الأديان التى تسعى للتقارب بين المفاهيم الدينية القائمة على التكامل وإنشاء جمعيات لخريجي الأزهر الشريف فى عواصم الدول الإسلامية المختلفة لاستمرار ربط هؤلاء الخريجين مع الأزهر. وكذا جمعية دولية.

وربما لا أكون مبالغاً عندما دعوت على منبر بريد الأهرام أن يقوم شيخ الأزهر إلقاء خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل توضيح المفاهيم الحقيقية للإسلام للرد على الحملة الموجهة من الصهيونية العالمية والدوائر الغربية للربط بين الإسلام والإرهاب والفاشية (كما صرح رئيس أمريكا مؤخراً)، وليس تحقيق هذه الفكرة بجديد، فلقد سبق وأن ألقى بابا الفاتيكان (الممثل للمسيحية الكاثوليكية

فى العالم) من قبل بياناً أمام الجمعية العامة مما يجعل تحقيق هذه الدعوة المشار إليها قريبة المآل إذا فكرت السلطات المسؤولة فى مصر فيها بشكل موضوعى واتخذت خطوات جادة فى تحقيقها دون التحجج بأن بابا الفاتيكان رئيس دولة، وأن شيخ الأزهر ليس كذلك فدولة الفاتيكان تسمية شرفية يرمز بها. حفظ الله الأزهر الشريف منارة الإسلام ومشعل التنوير الدينى فى كافة شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية.

وأخيراً أعبر عن أملى فى لقاء خاص مع فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر وأنا أتشرف بأن أهدى لفضيلته مؤلفاتى وآخرها كتابى هذا - لأزداد من حديثه الهام الذى كنت أحظى به فى مقابلاتى مع فضيلته فى الاجتماعات العامة.

١٥ - سيناء والسياحة الإسرائيلية

إسرائيل والسياحة العامة

فى طريقى إلى واشنطن فى موعمة رسمية عام ١٩٧٥ تتعلق بعلاقات مصر مع منظمة الدول الأمريكية التى تضم الولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية (فيما عدا كوبا) وعضوية صفة مراقب لكل من كندا وإسرائيل ومصر والذى استلزم المرور على مدريد عاصمة أسبانيا واقتضى اللحاق بالطائرة التى تغادر مدريد وتعبر المحيط الأطلسى فى طيران يستغرق ثمانى ساعات لتهبط فى مطار نيويورك (الذى يبدأ منها خطوط طيران داخلية أمريكية). اقتضى الأمر الانتظار فى مدريد عدة ساعات من النهار سمحت بالاشتراك مع وفد من السياح لزيارة مدينة طليطلة (توليدو كما ينطقونها باللغة اللاتينية الأسبانية) وهى مدينة قديمة من المعالم السياحية فى أسبانيا والتى يعود تاريخ إنشائها إلى الحضارة الإسلامية فى الأندلس التى كانت متمركزة فى جنوب ما يعرف جغرافياً بشبه جزيرة «إيبيريا» (وهى تضم أسبانيا والبرتغال).

شاركت السياح الأتوبيس الخاص برحلة طليطلة حيث جاء مكاني فى المقعد الأخير من الأتوبيس ومع بداية تحرك الأتوبيس وقفت المرشدة السياحية بجوار السائق وأخذت تحدثنا بلغة فرنسية عبر الميكروفون فى يدها عن تاريخ المدينة مع الإشادة بمبانيها وقصورها وحدائقها الفخمة والتى تدل على حضارة ومدنية اشترك فى بنائها وتصميمها أهل أسبانيا ويهود أسبانيا.

هكذا و بدون خجل أو شعور بالحرج من أنها لم تذكر حقيقة التاريخ ودور العرب والبربر المسلمين ومن انضم إليهم فى الإسلام من أهل شبه القارة إيبيريا الأمر الذى انزعجت منه وشعرت بالضيق لأنه لا يمكن لى أن أوقف المرشدة السياحية عن استرسالها فى هذه الأكاذيب عن تاريخ حضارة إسلامية عريقة ليس من السهل

إخفاء الحقائق عنها بهذه البساطة التي أظهرت بها المرشدة السياحية فضل اليهود
الأسبان مما يدل على تغلغل الأصابع الصهيونية فى المكاتب السياحية.
عندما توقف الأتوبيس السياحى فى وسط مدينة طليطلة بدأ نزول السياح مروراً
بالمُرشدة وهى تقف على مقدمة الأتوبيس لتشرف على راحة السياح عند نزولهم
وكنت آخرهم وهمست لها قبل نزولي باللغة الفرنسية التى كانت تتحدث بها
وقلت «أرجو أن تعلمى أنى مصرى مسلم وأرجو أن تصحى المعلومات أثناء العودة
وشكراً مقدماً».

أثناء تجول الفوج السياحى بين معالم وآثار مدينة طليطلة قامت المرشدة السياحية
بالإشادة بالحضارة الإسلامية التى سادت ربوع الأندلس لما يقارب من ثمانية قرون
وربطت بين المعالم السياحية فى طليطلة مع مدن الأندلس الأخرى المشهورة مثل
قرطبة وغرناطة ولم تشر من بعيد أو قريب ليهود أسبانيا .

كان ذلك عام ١٩٧٥ ومن يومها تابعت التسلل الصهيونى فى مجالات السياحة
فى العالم وأستطيع فى هذه الذكريات أن أذكر بعضاً من أهم ما لفت نظرى
وشد انتباهى: أولاً: إنشاء مركز لتدريب العاملين بالسياحة فى الشرق الأوسط
- بالتنسيق بين مصر، الأردن، إسرائيل، لبنان، تركيا ودول الخليج للتسويق
الجماعى والرحلات الشاملة للمنطقة، هذا فضلاً عن مشاريع السياحة وتسمية
المنطقة (بالريفيرا الشرقية) كما أنه هناك مشروع منظمة حوض البحر الأبيض
المتوسط لتنشيط التعاون فى مجال السياحة وتضم فى عضويتها كلا من مصر،
وإسرائيل، تركيا.

ووجدت أيضاً أن إسرائيل تقوم فى دعايتها السياحية بالربط بين أهرامات مصر
وإسرائيل فى شكل عبارة مستديمة تقول (إسرائيل قديمة قدم الأهرامات) وفى هذا
يذكر جميع شعوب العالم ويحضر فى أذهان الأجيال الجديدة دائماً القمص الدينية
فى العهد القديم، الذى هو المكمل للعهد الجديد والتى تحكى قصة بنى إسرائيل
وموسى وخروج أتباعه لليهود من مصر.

وهكذا تتركز أيضاً الدعاوى الصهيونية التي تقول: إن اليهود هم بناء الأهرام وبالتالي هم بناء الحضارة الفرعونية القديمة.

ثانياً: وجدت أن إسرائيل تذيب عن نفسها أنها هي الأرض التي ولد فيها المسيح و أنه يهودى وأمه يهودية، كما تركز فى دعاياتها السياحية على توزيع منشورات سياحية فيها صور للمساجد الإسلامية القديمة والكنائس المسيحية العربية والقلاع والحصون التاريخية فى فلسطين ويكتبون تحت الصور «هذه هي إسرائيل» دون أن تتضمن هذه المنشورات السياحية أية آثار يهودية قديمة فى فلسطين (لأنه فعلاً لا توجد أى آثار يهودية) وللقارئ أن يعود إلى ملف القدس للتعرف إلى الصور التي تخص هذه القضية.

كما وجدت بعد توقيع اتفاقية السلام بين مصر و إسرائيل بموجب اتفاقية كامب ديفيد أن إسرائيل تقوم بالترويج للرحلات السياحية إلى إسرائيل لتشمل وتمتد وتضم شبه جزيرة سيناء وفى هذا ربط صريح وعلنى بين إسرائيل وسيناء أمام العالم خاصة ومعظم السياح الأمريكيين والأوروبيين يؤمنون بأن أرض سيناء هي الأرض التي تلقى عليها موسى نبي اليهود التوراة ويطلق عليها العهد القديم الذى هو جزء من الكتاب المقدس للمسيحيين بعد إضافة الإنجيل، وبذلك تكون أرضاً إسرائيلية فى اعتقادهم وفى نظرتهم لها.

كما أنه ومن ناحية أخرى تبني إسرائيل دعايتها السياحية فى دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على أساس أن إسرائيل هي الأرض المقدسة وأن الأفارقة المسيحيين فى حماية إسرائيل التي لا تمارس التفرقة العنصرية ضد الأفارقة السود وأن كل مسيحي هو أصلاً يهودى وبذلك تحضر فى أذهان الأفارقة حديثى الاستقلال من الاستعمار الغربى العنصرى أن إسرائيل موجودة قديمة قدم العهد القديم (التوراة) وأنه لا وجود لفلسطين معتصبة أو محتلة بل الماضى والحاضر والمستقبل هو دولة إسرائيل !! وترتبط بين اضطهاد الغرب لليهود واضطهاد الرجل الأبيض الأوروبى للزنوج الأفارقة.

سيناء دينياً:

كما يكون من المفيد أن يتضمن كتابي هذا موقع شبه جزيرة سيناء من الناحية الدينية حيث عبرها النبي إبراهيم في زيارته لمصر مع زوجته سارة قادمين من أرض الرافدين (بلاد العراق) وعبرها في العودة مع السيدة هاجر، كما عبرها يعقوب وأولاده ومنهم يوسف للاستقرار في مصر قادمين من أرض كنعان، وعبرها المسيح مع أمه مريم هرباً من الحكم الروماني على فلسطين وعاد عن طريقها إلى القدس، هذا وللمسيحية الأرثوذكسية الشرقية لها دير سانت كاترين في سيناء التابع لليونان وتم منح رهبان سانت كاترين وثيقة لضمان أمنهم وسلامتهم، ومن ناحية أخرى ورد في القرآن ذكر سيناء في سورة الطور:

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُمْ مَّسْطُورِينَ ﴿٢﴾ ﴾

وسورة الأعراف :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

وسورة القين:

﴿ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾

كما أنه ومن المهم أن نبرز أن النبي موسى تلقى فيها رسالة السماء (التوراة)، وخرج بنو إسرائيل وموسى من طغيان فرعون مصر الذي لم يستمع إلى القول اللين من موسى وهارون ، هذا هو التاريخ القديم.

إسرائيل والسياحة في سيناء

ومما لا شك فيه أنه إذا استخدمت إسرائيل سيناء ضمن برنامجها السياحي ستسارع وتدفع بمئات الألوف من اليهود للمشاركة فيها لأنهم أحق الشعوب

بزيارتها، أن تلك المسيرات السياحية المزمع إقامتها ستتيح الفرصة لإسرائيل أن تنشر سيطرة عقائدية على أرض سيناء، ولا يمكن التنبؤ بالسلوك اليهودى وما سيجرى فى الاختلافات من مبالغات واستفزازات بصورة أعم وأشمل وأضحى مما يحدث وخبرناه فى مولد «أبى حصيرة» بمحافظة البحيرة فى قرية «دميتوه»، وأن أية محاولات لفرض الانضباط على سلوكهم فى سيناء سيضعها اليهود فى قوالب انتهاكات حرية العقيدة وحقوق الإنسان إلى آخر المصطلحات الدولية، ومن المناطق التى يتردد عليها الإسرائيليون بكثرة حمامات موسى بمدينة الطور ويعتبرونه رحلة للاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتزمية، وتدعى إسرائيل أن سيناء أرض دينية ترتبط بإسرائيل اليهودية ومن يريد السياحة فى إسرائيل فلا بد أن يزور سيناء وذلك يعنى أنها سياسياً ممكن أن تحتل سيناء مرة ثالثة لأهميتها فى نظر اليهود الذين يقدسون منطقة جبل الطور جنوب سيناء لاعتقادهم أنه المكان الذى كلم الله فيه نبيه موسى، كما أن منطقة الطور هى الأرض التى احتوتهم عندما خرجوا من مصر ولهذه المنطقة حب وحنين لدى اليهود، والغريب أن السلطان العثمانى سليم الأول أصدر فرماناً عام ١٥١٧ (وهو العام الذى دخل فيه مصر)، بمنع اليهود من الاستيطان فى هذه المنطقة، وأصدر ابنه السلطان سليمان القانونى فرماناً يؤكد فرمان والده، ويحدده، على أرض سيناء.

سيناء سياسياً:

وفى نهاية القرن التاسع عشر جاء هرتزل يفكر فى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين نتيجة لزيادة هجرة اليهود إلى فلسطين منذ عام ١٨٨٢ تاريخ احتلال بريطانيا لمصر، وكان اليهود الأشكنازى المهاجرون من شرق أوروبا هرباً من الاضطهاد، وكانت الدولة العثمانية من واقع الدين الإسلامى تستقبلهم اعترافاً بحق اليهود فى الحماية فى ديار إسلامية كأصحاب ديانة موسى نبي الله، وكان هذا لا يلزم الدولة بإنشاء وطن لهؤلاء اللاجئين.

وهكذا كانت عين هرتزل على أرض سيناء أيضاً واقترابهم من قناة السويس لهدف زحف الحلم الصهيونى شرقاً إلى فلسطين حيث التراث اليهودى كما

يقولون، و فى العصر الحديث امتد الخيط لحروب ثلاث فوق رمال سيناء ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، وانسحبت إسرائيل كل مرة من سيناء إلى خارج الحدود، إلا أنه يلاحظ أنه منذ توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل يدخل ألوف من الإسرائيليين إلى سيناء فى سياحة لها دون أية تأشيرات، وليس هناك لأى سلطة مصرية رقابة أو مراجعة أثناء دخولهم وإقامتهم وتصرفاتهم على أرض سيناء التى يمكن اعتبارها منطقة منزوعة السلاح، ويحظر وجود قوات عسكرية مصرية فيها (بحكم اتفاقية كامب ديفيد) سوى قوات أجنبية متعددة الجنسيات برئاسة أمريكا للتأكد من أنها منطقة منزوعة السلاح.

ولتوضيح ذلك يهمني أن أذكر أن هناك دعابة خاصة هى الأنباء والأخبار التى تصدر عن إسرائيل سواء من بعض المسؤولين أم من الأجهزة الإعلامية الإسرائيلية، أجد لزاماً علىّ فى كتابى هذا ومن واقع إيمانى العميق بخطورة الصهيونية العالمية ومبادئها الملعونة، خاصة أن طور سيناء يجعل من شبه جزيرة سيناء أرضاً مقدسة لليهود سواء قبل أن تكون لهم أم بعد أن خلقت لهم دولة باسم إسرائيل هى أى (سيناء) تحت الميكروسكوب الدينى الصهيونى الدائم، فضلاً عن كون شبه جزيرة سيناء جزءاً جغرافياً يقع فى أرض إسرائيل الكبرى التى هى من النيل إلى الفرات كما يحلمون، ولكل ذلك ولغيره فليس من المستبعد خاصة مع التزايد السكانى اليهودى فى إسرائيل أن تقوم باحتلال سيناء مرة ثالثة وكان الاحتلال الأول عام ١٩٥٦، وخرجت بأمر من الرئيس الأمريكى أيزنهاور، والاحتلال الثانى ١٩٦٧ فيما يعرف بحرب الأيام الستة وبذلك تم إغلاق قناة السويس أمام الملاحة الدولية لوجود القوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس حتى استطاعت القوات المصرية باختراق خط بارليف عام ١٩٧٣ ومما أعقبه من مفاوضات ومباحثات واتفاقيات حتى تم جلاء القوات الإسرائيلية إبريل عام ١٩٨٢، وأخيراً تم استرداد طابا بحكم محكمة العدل الدولية، وفى مقابلها احتلت إسرائيل أم رشراش على خليج العقبة وأقامت عليه ميناء إيلات مما يشرحه كتابى القادم بكل التفاصيل عن ما جرى لأم رشراش.

وهنا أرى من واجبي أن أذكر القارئ بما قرأه في كتابي هذا عن ذكريات عملي بسفارة مصر في بلجيكا عندما كنت مستشاراً فيما رواه عن قصة طبيب العظام البلجيكي معي.

وعلى هذا يمكن التنبؤ بإمكانية الاحتلال الثالث مستقبلاً خاصة أن تصريحات الرسميين الإسرائيليين عام ١٩٨٢ توضح ما يجول في خاطرهم وما يمهدون له بالإدعاء بأن لهم حقاً في سيناء فهم الذين قالوا، إن إسرائيل ستسحب من سيناء الأرض التي يزعم المصريون أنها حقهم التاريخي، وهم أيضاً الذين قالوا: إن مجلس الوزراء الإسرائيلي قرر الانسحاب، أى إن انسحابهم جاء تنفيذاً لقرار مجلس وزرائهم وليس تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد أى إن انسحابهم يكاد يرقى في نظرهم إلى مرتبة التنازل من جانبهم عن شيء يملكونه، ومن يملك أن يتنازل يملك أن يسترجع ويسترد ما يملكه متى شاء وربما كيف شاء، ومن هذا المنطلق يردد الإسرائيليون طالبين بإعادة احتلال سيناء بدعاوى مختلفة وحسب الظروف السياسية.

ومن المهم أن نذكر هنا أن إسرائيل اشترطت قبل انسحابها الثاني ١٩٨٢ من سيناء أنها لم تنفذ ذلك إلا بوجود ووصول القوات متعددة الجنسيات وتمركزها في قلب سيناء بادعائهم لحفظ السلام، الأمر الذي يعنى في رأبي أن ذلك حرصاً منهم بعدم دخول قوات عسكرية مصرية إثر انسحابهم من سيناء، هذا هو المقصود من وجود القوات المتعددة الجنسيات وإن كانت بعض الدوائر ذات الصلة بهذه القوات تصرح بأن وجودها لا يمنع فقط القوات المصرية ولكن أيضاً القوات الإسرائيلية. وهذا تفسير اعتقد أنه لا يمثل الحقيقة بالنسبة للقوات الإسرائيلية إذا ما رغبت العودة لاحتلال سيناء مرة أخرى ففي هذه الحالة ستسحب هذه القوات الدولية تاركة سيناء لهم كما انسحبت بريطانيا تاركة فلسطين للعصابات الصهيونية ١٩٤٨.

١٦ - البابا شنودة وإسرائيل

ينتهي ويتخلص الشخص من عبء الوظيفة الرسمية ببلوغه سن التقاعد (التي هي في الأعم ٦٠ عاماً) حيث يشعر بحالة من الارتياح حتى ولو كانت هذه الوظيفة هي العمل الدبلوماسي بما فيه من إجهاد ودقة وإصرار وبريق ربما يتعناها الكثيرون في أنحاء العالم، وربما يكون هذا هو الذي دفعني أن أحرص على عدم الالتزام بأى عمل رسمي بعد أن وصلت إلى كل ما أتمناه في عملي الدبلوماسي وهو بلوغ قمة الدبلوماسية بدرجة سفير ومنصب السفير يمتاز بأهمية خاصة لأنه وهو يتقلد منصبه يتسلم من رئيس دولته خطاب الاعتماد موجهاً إلى رئيس الدولة الموفد إليها يعبر عن أن هذا السفير مفوضاً من قبل رئيس دولته لدى رئيس الدولة الموفد إليها كما يتضمن خطاب الاعتماد الصفات التي يتمتع ويتميز بها السفير والتي أهلته لأن يشغل هذا المنصب، فضلاً عن كونه مسئولاً عن كل ما يخص دولته من مصالح خارج وطنه وهي تلك التي يتولاها داخل الوطن مجلس الوزراء الذي كما نعرف يتم تشكيله من عدة وزراء متخصصين كل في مجاله، والمجلس يتمتع بسلطته عن إدارة شؤون الدولة وهو مسئول كحكومة أمام رئيس الجمهورية في الدول الرئاسية أو أمام البرلمان في الدول الأخرى.

والمفروض أن السفير بمعاونة أعضاء السفارة الدبلوماسيين ومن الغنيين يعارس الاهتمام بقضايا وطنه بالعلاقات الثنائية بين وطنه والبلد الذي أوفد له، وهذا لا يمنع أن يكون السفير في غالب الحالات مهتماً بالأمر السياسي العامة وعلى الأخص فيما يخص المنطقة الواقع فيها وطنه وكذا العلاقات الدولية العامة، وأعتقد أنه بالنسبة لسفراء مصر في كافة عواصم العالم - وأنا منهم - فإن قضية فلسطين هي أهم القضايا التي يهتم بها السفير المصري ويشاركه في ذلك سفراء الدول العربية الأخرى.

وابتداءً من ٥ مارس ١٩٩٠ تاريخ التقاعد أثرت أن أتفرغ للعمل الاجتماعي والصحفي والقراءة المتأنية والتأمل العميق لتلك الرحلة الدبلوماسية الطويلة التي امتدت على ما يزيد عن ثلاثين عاماً، وقررت ألا ألحق بأى عمل رسمي آخر

كما يفعل الزملاء، وأتفرغ للكتابة سواء في الصحف أو بإصدار كتب عن ذكرياتي الدبلوماسية كما حدث فعلاً، حيث صدر لى كتاب عام ١٩٩٥ من دار أخبار اليوم بعنوان الوجه الآخر للدبلوماسية، وفى عام ١٩٩٨ صدر لى الكتاب الثانى عن دار ابن سينا للنشر بعنوان حكايات دبلوماسية ومواقف سياسية، وأعيد طبعه عام ٢٠٠٧ فى الهيئة العامة للكتاب وهذا النشاط فى الكتابة لم يمنعنى من القيام بإلقاء محاضرات وحضور ندوات والاشتراك فى جمعيات متفرقة، وأخص بالذكر أنه تم اختيارى مستشاراً لجماعة الإخاء الدينى التى بذلت فيها مجهوداً ونشاطاً أدى إلى أن أكون أحد أعضاء مجلس إدارة هذه الجمعية، وأستطيع أن أوجز عدة أسطر لهذه الجمعية جماعة الإخاء الدينى مشهرة برقم ٢٤٣٩ بتاريخ ٦ إبريل ١٩٧٨ ومن أهدافها:

نشر التآخى والتآزر بين المؤمنين والتسامح والأخوة فى الله بين أهل الأديان السماوية ونشر المعرفة والثقافة بما يحقق أهداف الجماعة والاهتمام ببعض مشكلات الحياة التى تحتاج نور الدين بأسلوب يتمشى مع روح العصر وتنقسم عضوية الجماعة إلى عضو عامل، عضو منتسب، وعضو فخرى، وتتكون إيرادات الجمعية أساساً من اشتراكات الأعضاء والتبرعات والهبات والوصايا والإعانات الحكومية.

وفى نهاية كل اجتماع تعقده الجماعة يقف المجتمعون ويرددون دعاء الجماعة وهو: «اللهم.. إليك نتوجه، وعليك نتوكل، وبك نستعين وإياك نسأل: أن ترزقنا قوة الإيمان بك، وحسن الاهتداء بهدى أنبيائك ورسلك.

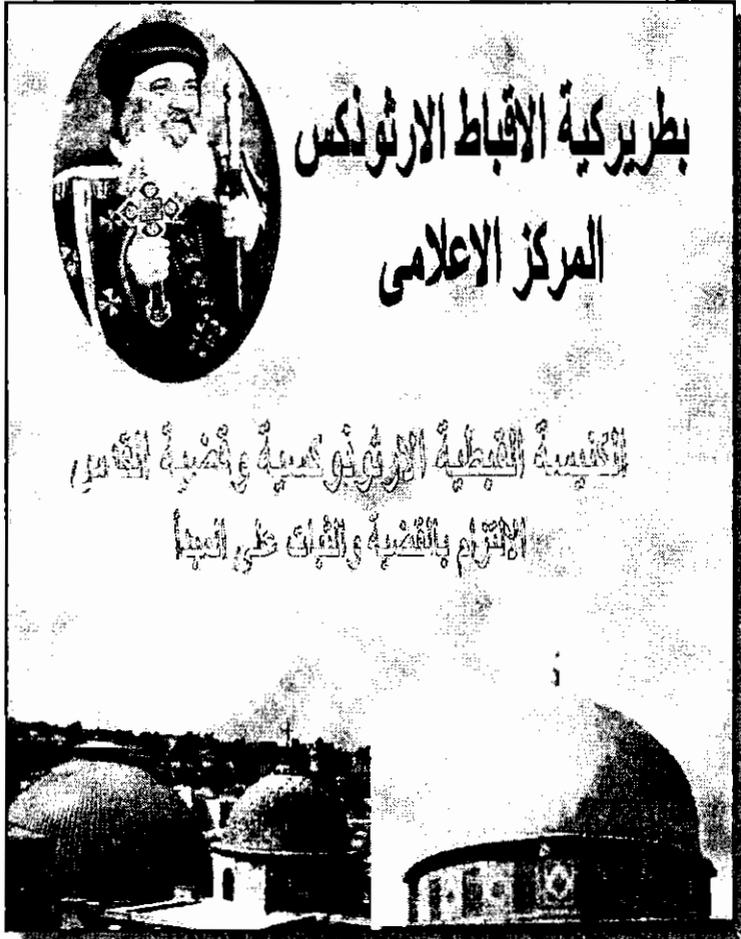
ونسألك يا الله - أن تجعل كل فرد منا وفيماً لعقيدته، أميناً على دينه، فى غير تزمتم نشقى به فى أنفسنا ولا تعصب يشقى به مواطنونا ونضرع إليك - يا ربنا - أن تبارك إخاءنا الدينى.

وأن تجعل الصدق رائدنا إليك والعدل غايتنا منه والسلام ذخيرتنا فيه «يا حى يا قيوم.. يا ذا الجلال والإكرام».. آمين.

وهكذا أتاحت لى هذه الجمعية أن أكون على علاقة قريبة مع شخصيات دينية سواء من الأزهر الشريف أم من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ويهمنى فى هذا الملف أن أركز على أن بطريركية الأقباط الأرثوذكسية المركز الإعلامى قد أصدرت ثلاثة كتب هى:

الأول: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وقضية القدس - الالتزام بالقضية والثبات على المبدأ - بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٩٥.
 الثاني: هو مقالات وآراء حول موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من قضية القدس قضية الرأي الواحد بتاريخ ١ / ٨ / ١٩٩٥.
 الثالث: هو المسيحية وإسرائيل - البابا شنودة الثالث



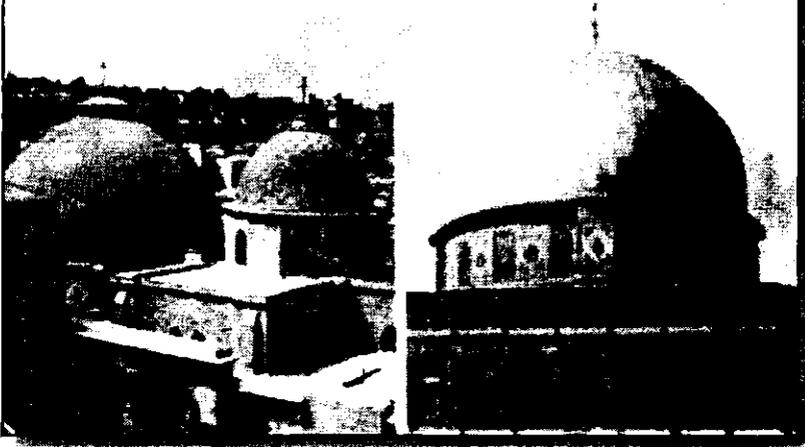


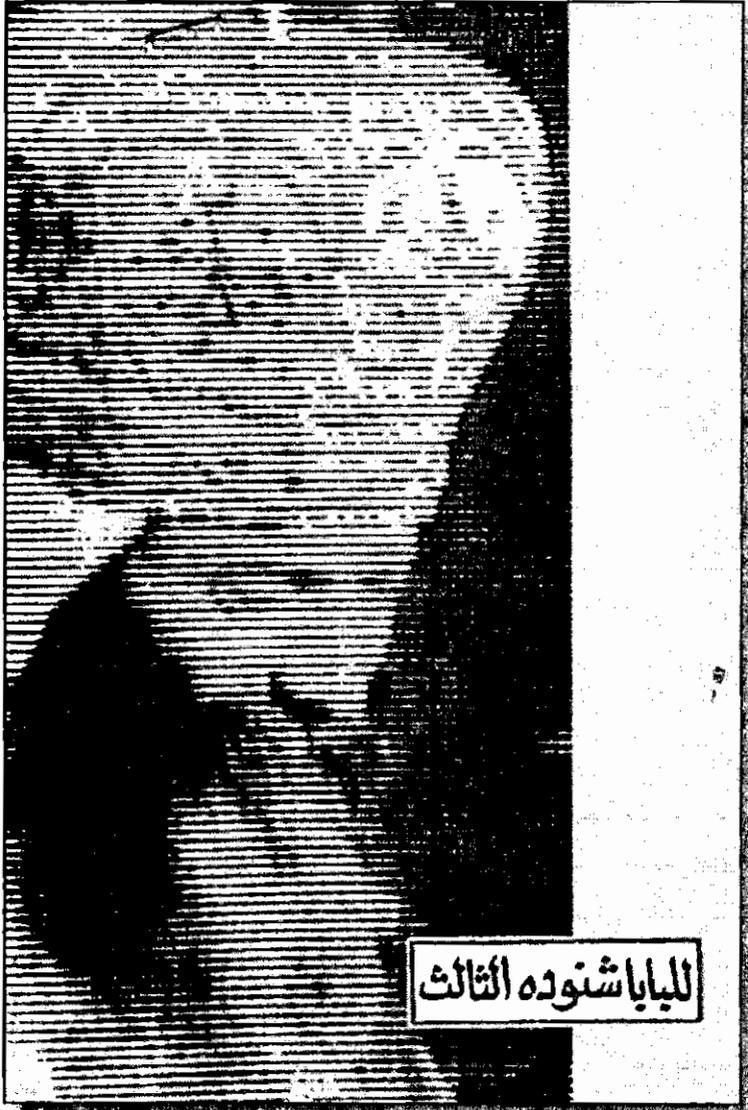
بطيريركية الأقباط الأرثوذكس المركز الإعلامي

مقالات و آراء

حول موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من قضية القدس

قضية الرأي الواحد





للإبائشودة الثالث

«عن كلمة الإبائشودة في نقابة الصحفيين ٥ ديسمبر ١٩٧١»

وقد دفعنى الكتاب الأول أن أكتب تعليقاً يهمنى أن أبرزه فى السطور التالية ونصه كالتالى :

« الكنيسة القبطية وقضية القدس ذلك هو عنوان الوثيقة التى أصدرتها بطريركية الأقباط الأرثوذكس مؤخراً.

والوثيقة تشتمل على محاضرات قدااسة البابا شنودة الثالث فى نقابة الصحفيين فى يونيو ١٩٦٦ عن «إسرائيل فى المسيحية» وتركز وتجاوب عن التساؤلات التالية :
متى بدأت قصة إسرائيل؟ وماذا كان الوعد الذى أعطاه الله لإبراهيم وأولاده؟ من هم هؤلاء اليهود؟ هل هم شعب الله المختار؟ هل هم حقاً أبناء إبراهيم؟ وهل هم حقاً دولة لها كيانها؟ هل هم حقاً أصحاب المواعيد للإلهية أم أن الله رفضهم وانتهى أمرهم من زمن؟

وانتهت هذه المحاضرة التاريخية بقرار بابا وبطريك الكنيسة الأرثوذكسية بعدم الاعتراف باليهود كأصحاب ديانة قائمة فمن الناحية الدينية كانت اليهودية ممهدة للمسيحية فلما أنت المسيحية لم يعد لليهودية وجود كديانة قائمة بذاتها أما من جهة الملكة فلا يمكن فى ضوء الكتاب المقدس الاعتراف بمملكتهم المزعومة.
كما تتضمن الوثيقة إجابات قدااسة البابا بشأن القدس فى اللقاءات الصحفية والمؤتمرات والندوات الدولية وآخرها ندوة القدس مدينة السلام التى عقدت تحت لواء جامعة الدول العربية فى مارس ١٩٩٥ والتى حضرها فضيلة شيخ الجامع الأزهر والأمين العام لكل من جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى.
والوثيقة بما تضمنته تعتبر وثيقة تاريخية وفى غاية الأهمية وتحدد بشكل قاطع موقف بطريركية الأقباط الأرثوذكس مما له انعكاسات إيجابية لصالح القضية الفلسطينية.

والأمر يستدعى أن تكون الوثيقة مرجعاً هاماً ورئسياً لكل المنشغلين بالسياسة والدبلوماسية والإعلام فى داخل مصر وخارجها وبالنسبة للأجيال القادمة الذين هم فى مراحل التعليم لابد وأن تدخل فى المناهج الدراسية.

إن هذه الوثيقة لابد أن تكون مصدراً هاماً ورئيسياً لكل السادة الزملاء العاملين بسفارات مصر وقتصلياتها في خارج الوطن خاصة وقداسة البابا عضو في مجلس الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وعضو المجلس الكنائسى العلمى.

مرت الأيام ولم أشرف بلقاء مع قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، [حيث دخلت المسيحية الأرثوذكسية مصر عن طريق أحد حوارى عيسى وهو مرقص وقد طلب البابا من الفاتيكان إعادة رفات القديس مرقص وقد تم ذلك].

أقول مرت الأيام ولم ألتق بقداسة البابا جسداً وإن كنت قد التقيت معه روحاً وفكراً لا سيما بعد اطلاعى على تلك الوثيقة المهمة التى أصدرتها بطريركية الأقباط الأرثوذكس والسابق الإشارة إليها التى أكد فيها البابا أن القدس حكمها العرب سنة ٦٤٢ م طوال القرون التى مرت عليها، أربعة عشر قرناً من الزمان، ثم جاء اليهود وبدءوا يدعون أنها مدينة لهم وأنها عاصمتهم، مؤكداً على أن اليهود يسمون فلسطين أرض الميعاد ويقولون: إنهم عاشوا فيها بوعد من الله، وأنا (أى البابا) أقول لهم إنهم جاءوا إليها ليس بوعد من الله وإنما بوعد من بلغور وكان ذلك عند لقائه بالرئيس الأمريكى بوش، وهذا يذكرنى أنه فى عام ١٩٧٧ عندما قام البابا بمقابلة الرئيس الأمريكى جيمى كارتر وفى خلال الحديث معه، قال له يا سيادة الرئيس: لو كان اليهود لا يزالون شعب الله المختار حالياً يبقى لا أنا ولا أنت أيها الرئيس من شعب الله المختار، لأن إحنا الاثنين مش يهود، فرد الرئيس بابتسامه ساخرة.

وأعتقد أن الرد الساخر على البابا من الرئيس كارتر يوحى بالمسيحية لليهودية التى تطورت إلى المسيحية الصهيونية فى أمريكا، خاصة وأن الرئيس كارتر يوصف بأنه مسيحى أصولى بما يترجم معه فى أمريكا بأن الأصولية هى اليهودية التى هى أساس المسيحية.

وبهذه المناسبة أذكر القارئ بما ذكرته عن هذا الموضوع فى ملف تركيا عندما كنت أعمل نائب قنصل للجمهورية العربية المتحدة فى مرسين كما أكد قداسة البابا

أن الوعد الذى أعطاه الله للآباء كانت له ظروف أولاً وله شروط ثانياً، أما الظروف فهى أن العالم كانت تسوده الوثنية وعبادة الأصنام فأراد الله أن يحفظ مجموعة من الناس بعيدة عن التأثير الوثنى فأعطى الله اليهود هذا الوعد، فلما عصى اليهود الله وعبدوا الأصنام حتى أيام موسى انتهى هذا الوعد، وتأكد هذا الانتهاء عندما جاء المسيح وقال (هو ذا بيتكم خراب) وخربت أورشليم عام ٧٠ م والذى شئت فيه اليهود فى أرجاء الأرض كلها ولم تعد لهم دولة فيما بعد مما يؤكد أسطورية فكرة وعد الله للشعب المختار وأرض الميعاد فقد أنتهت هذه الفكرة لأنهم كانوا شعب الله المختار عندما كان العالم كله وثنياً وكان اليهود يعبدون الله عن طريق الأنبياء كما فى العقيدة المسيحية. وأكد البابا أن بعد مجيء المسيح وانتشار المسيحية أصبح شعب الله المختار هو جميع المؤمنين بالله.

الأخطر من ذلك أن البابا أكد أن موقفه من منع زيارة الأقباط للقدس لم يتغير بالرغم من تغير سياسات عديدة، وأنه لن يدخل القدس إلا مع شيخ الأزهر وبرىض العرب والمسلمين والفلسطينيين جميعاً وقراره هذا مازال قائماً برغم معارضة الكثيرين لهذا القرار، بل أكثر من ذلك ردد البابا شنودة الكلمة التى قالها مطران القدس: «إن الذين يذهبون إلى القدس من الأقباط ليسوا حجاجاً وإنما عصاه»، معتمداً على أن القضية لم تنته، وأن القدس لازالت محتلة، والمركة قائمة، ولم تكن دولة فلسطينية، واليهود يؤكدون فى كل لحظة بأنه لا دولة فلسطينية وهو مجرد حكم ذاتى تحت مظلة إسرائيل، وفى هذا إشارة من قداسة البابا إلى إدعاء اليهود المستمر بأن القدس الموحدة قد عادت لهم وستظل العاصمة الأبدية لإسرائيل.

لقد أعاد موقف البابا شنودة الدال على توحد المصريين مسلمين وأقباطاً إلى ذاكرتى ما كانت تحكيه أُمى عن ولادتها لى، حيث تمت الولادة بعملية جراحية قام بها طبيب نساء دمنهورى، لكن هذا الطبيب أكد على ضرورة انتقال أُمى إلى أحد المستشفيات فى القاهرة مخافة حدوث مضاعفات بعد العملية (لا تنس عزيزى القارئ أن هذه الأحداث كانت عام ١٩٣٠)، واختار الطبيب المستشفى القبطى

بالقاهرة (والتي تأسست عام ١٩٢٦) حيث كان بها طبيب مسيحي كان أشهر أطباء النساء والتوليد في القاهرة آنذاك، وهو الدكتور نجيب محفوظ باشا، وعلى الفور أيد جدى لأمى الشيخ عبد العزيز الزواوى اقتراح الطبيب، ووافق على دخول أمى المستشفى القبطى دون أى تردد، ولازلت حتى الآن أذكر هذا الموقف عندما أستمع إلى أى حوار غير منطقى عن العلاقة بين مسلمى وأقباط مصر.

وأعود لأقول: إن هذه الوثيقة بما تتضمنه من آراء للكنيسة القبطية المصرية تعتبر وثيقة تاريخية وفى غاية الأهمية وتحدد بشكل قاطع موقف بطريركية الأقباط الأرثوذكس مما له انعكاسات إيجابية، وهنا أكرر ما سبق أن ذكرته فى مقالى المشار إليه آنفاً من أن الأمر يستدعى فى رأى أن تكون الوثيقة مرجعاً مهماً ورئيسياً لكل المنشغلين بالسياسة والدبلوماسية والإعلام فى داخل مصر وخارجها، بل وتدخل فى المناهج الدراسية وتكون مصدراً رئيسياً للعاملين بسفارات مصر وقنصلياتها فى خارج الوطن ومن المهم أن ألفت نظر القارئ العزيز فى كتابى هذا، إلى نص الحوار الشيق الذى أجراه قداسة البابا مع المذبةقة الوقورة د/ درية شرف الدين فى مارس ٢٠٠٢ على القناة الفضائية حيث إن البابا شنودة رجل دين.. وشاعر.. مؤرخ.. ومؤلف لأكثر من أربعين كتاباً.. الحوار معه بحر بلا شطآن.. وقد انفردت د/ درية فى هذا الحوار عن قضايا الدين والسياسة والمجتمع وحصل هذا الحوار على جائزة مهرجان الإذاعة والتليفزيون.. وأخيراً سجلته د/ درية فى كتاب لها بعنوان (إبحار فى عقل وقلب البابا شنودة) وجاء صدور هذا الكتاب مع الاحتفال بعيد الميلاد رقم ٨٠ للبابا أمد الله فى عمره.

كما كان هناك حوار آخر رد فيه قداسته على المزاعم الشيطانية الصهيونية وكشفها فى حوار مع سناء السعيد فى كتابها «البابا شنودة دنيا ودين» وتناول فى هذا الكتاب قضية الهولوكوست وشعار معاداة السامية وادعاء اليهود أنهم الشعب المختار.

وهنا أرى من المفيد أن أشير إلى ما احتفظته ذاكرتى عندما كان البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية فى كل إفريقيا والشرق الأوسط

وقد اجتمع مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ حسن مأمون، وتم إصدار بيان مشترك موجه إلى أصحاب الضمائر الحرة في أنحاء العالم أن العرب أباة لا يقبلون الضيم، أحرار يرفضون الذل، وأنهم يؤمنون بالله ثم بمقدساتهم التي يرونها رمز إيمانهم، ووسائل دفعهم إلى الخير والحق والعدل لنا ونحن في جو من الأخوة والصقاء، النابعين من قلوب عامرة بالإيمان بالله، مليئة بالمحبة الصادقة، والإخلاص لأمتنا ولوطننا، نرى أن نتوجه في هذا الجو العصيب الذي هدد فيه السلام نتوجه إلى العالم نخاطب شعورهم ووجدانهم وضمائرهم بما اتفقت عليه كلمتنا وما استقر عليه أمرنا: إن الصهيونية العالمية قضية جنس لا تمت إلى الأديان بصلة وهي تعادى الإسلام والمسيحية، وليست هذه العداوة جديدة ولا مستحدثة وإنما هي وليدة تاريخ طويل.

وأختم حديثي هذا بشعوري بالسعادة أن تنشر صورة تذكارية لي مع قداسة البابا شنودة الثالث في اجتماع بالنادى الدبلوماسي قبل طبع كتابي هذا.

١٧ - إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة

المسيحية الكاثوليكية

من المثير لأى دبلوماسى فى العالم أن يقرأ فى القائمة الدبلوماسية أن هناك سفراء يوفدون وأن هناك سفراء يمثلون دولة الفاتيكان، وهناك فرق بين السفراء الذين يوفدون إلى الفاتيكان ويمثلون دول العالم المختلفة ولا يتميزون بأى مظهر دينى على عكس السفراء الذين يمثلون دولة الفاتيكان لدى الدول الأخرى فكلهم يتميزون بكونهم رهبانا كاثوليكاً فى زيهم التقليدى وهذا الأمر يثير تساؤلاً لماذا فقط الديانة المسيحية الكاثوليكية هى الوحيدة فى العالم التى تستقبل السفراء وتوفد سفراء إلى مختلف دول العالم ويطلق عليهم القاصد الرسول: وإذا كان عنوان هذا الملف إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية فإنه خير عنوان للتشابه العميق والقاسم المشترك الذى تتميز به الدولتان وهو الديانة لكل منهما ولكنى أقول: إن هناك اختلافاً واحداً وهو أن سفراء إسرائيل دولة اليهود ليسوا حاخامات، كما أن هناك فرقاً آخر هو أن سفير الفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية الراهب يتمتع بعبزة مطلقة فهو عميد مجموعة السفراء فى الدول التى تتميز بأن معظم وغالبية شعبيها يدينون بالمسيحية الكاثوليكية أما سفير إسرائيل دولة اليهود فليس له أية ميزة على بقية سفراء الدول الأخرى.

وهذه مقدمة ضرورية قبل أن نعرف دولة الفاتيكان (أو المقر البابوى أو الكرسي المقدس) تطلق على دولة صغيرة يرأسها بابا الكاثوليك وهيكلمها من الرهبان الكاثوليك وتقع هذه الدولة على تل يدعى الفاتيكان فى مدينة روما عاصمة إيطاليا، ومنذ ما يزيد على مائة سنة أصبح لهذه الدولة الدينية كيان دولى معترف به بعد اعتراف إيطاليا بوجودها داخل الأراضى الإيطالية وليس كتابى هذا مجالاً لشرح وضع دولة الفاتيكان الدولى، ويمثلها سفراء كلهم من الرهبان لدى معظم دول العالم ويطلق

على سفير دولة الفاتيكان فى العواصم الأجنبية لقب «القاصد الرسولى» وهو يتمتع بكونه عميداً للمجتمع الدبلوماسى فى عواصم الدول التى تتخذ الكاثوليكية ديانة مسيحية رسمية لها. أما بقية الدول الأخرى، فيكون القاصد الرسولى عميداً للمجتمع الدبلوماسى إذا كان أقدم السفراء المعتمدين طبقاً للعرف الدبلوماسى السائد.

هذه المقدمة لابد من ذكرها قبل الحديث عن الضغوط التى مارستها - ولا زالت تمارسها الصهيونية العالمية ضد الفاتيكان - فللمرة الثانية خضع الفاتيكان للضغط الصهيونى العالمى وأصدر البابا السابق يوحنا بولس الثانى فى ١٢/٣/١٩٩٨ «وثيقة حول الاعتذار عن دور الكنيسة الكاثوليكية خلال مذابح الإبادة التى ارتكبها النظام النازى الألمانى ضد يهود أوروبا»، والوثيقة تركز فقط على ضحايا النازية الألمانية من اليهود وتنسى الضحايا الآخرين الذين ماتوا فى الحرب العالمية الثانية ٣٩ - ١٩٤٥ بنفس القوة النازية وعددهم عشرات الملايين، أى أضعاف مضاعفة من عدد اليهود الضحايا الذين تحاول الصهيونية العالمية تثبيت عددهم بأنهم ستة ملايين. (وهذا الرقم مشكوك فيه ومثار جدل)، وهذه الوثيقة التى تتعدى مرحلة الاعتذار إلى مرحلة الندم وطلب العفران من أكبر هيئة دينية كاثوليكية فى العالم تذكرنا بوثيقة التبرئة التى صدرت أيضاً عن مجمع الفاتيكان الكاثوليكي فى أوائل الستينات ٢٨/١٠/١٩٦٥ التى تبرئ اليهود من دم المسيح عليه السلام، والتى جاء فيها عن تبرئة اليهود من دم المسيح:

والمجمع إذ يعمن الفكر فى سر الكنيسة تتراءى له الأوصاف الروحية التى تصل شعب العهد الجديد بذرية إبراهيم، فكنيسة المسيح تعترف بأن باكورة إيمانها ودعوتها لسر الخلاص الإلهى تمتد إلى الآباء وإلى موسى والأنبياء، وبأن جميع أتباع المسيح هم أبناء إبراهيم بحسب الإيمان قد شملتهم دعوته، وبأن الكنيسة رمز إلى خلاص شعب الله المختار من أرض العبودية.

ولا تستطيع الكنيسة أن تنسى أنها تسلمت وحى العهد القديم بواسطة هذا الشعب الذى شاء الله برحمته التى تفوق كل وصف أن يبرم ميثاق العهد القديم،

وأنها تتغذى من أصل الزيتون الجديدة، وتؤمن بأن المسيح سلامنا قد صالح بصليبه بين اليهود والأمم وجعل في ذاته الاثنين واحداً.

وتضع الكنيسة دائماً نصب الأعين كلمات الرسول بولس في بنى أمته إذ يقول: «الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والعبادة والمواعيد رؤساء الآباء ومنهم المسيح ابن العذراء مريم بحسب الجسد..» (رومية ٩ : ٤ - ١٥).

وتذكر أيضاً أن الرسل أساس الكنيسة وعمدها، ولدوا في الشعب اليهودي وكذلك عدد كبير من التلاميذ الأولين الذين بشروا العالم بإنجيل المسيح.

بيد أن أورشليم بشهادة الكتاب المقدس لم تعرف زمن افتقادها، فلم يقبل غالبية اليهود بشارة المسيح بل تصدى كثيرون منهم لانتشاره ومع ذلك فاليهود كما يقول الرسول: لم يزالوا من أجل الآباء محبوبين عند الله الذى لم يندم على هباته ودعوته.

ومع الرسول ذاته ترتقب الكنيسة - كما ارتقب الأنبياء - ذلك اليوم الذى لا يعلم به إلا الله وحده، حيث يجتمع فيه الشعوب كلها لتدعو بصوت واحد باسم الرب وبشفاه نقية ويعبدوه بكتف واحدة (صوفيا ٣ : ٩ - ١٢).

وإزاء هذا التراث الروحي العظيم، المشترك بين المسيحيين واليهود، يرغب المجمع في تبادل الاحترام والمعرفة فيما بينهم وبالأخص من خلال دراسات الكتب المقدسة واللاهوتية وفي منهج حوار أخوى.

ولئن كان ذوو السلطان والأتباع من اليهود عملوا على قتل المسيح إلا أن ما اقترف إبان الآلام والصلب لا يمكن أن ننسبه في غير تمييز إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك ولا إلى اليهود المعاصرين لنا وإن كانت الكنيسة هي شعب الله الجديد فلا يعني ذلك أن اليهود قد أصبحوا شعباً مردولاً أو ملعوناً من الله كما لو كان ذلك منصوصاً عليه في الكتاب المقدس.

فليحرص الجميع إذن في التعليم المسيحي وفى الوعظ بكلمة الله، ألا يعلموا شيئاً لا يتفق مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح.

فالكنيسة التي تستنكر كل ألوان الاضطهاد لجميع الناس، أياً كانوا، لا قيل لها بأن تنسى التراث المشترك بينها وبين اليهود، وليست وراء ذلك دوافع سياسية البتة، وإنما بدافع المحبة الإنجيلية الدينية، ونأسف للأحقاد والاضطهادات ومظاهر العداء للسامية في أى عهد ومن أى صدرت.

والكنيسة التي اعترفت، - ولا تزال تعترف - بأن المسيح قد خضع باختيابه للآلام والموت بدافع من حبه اللامتناهي ومن أجل خطايا جميع البشر لكي ينال الناس أجمعون نعمة الإخلاص.

ومن ثم فواجب الكنيسة أن تبشر بصليب المسيح آية بحب الله الشامل وينبوعاً لكل نعمة

أنا بولس

أسقف الكنيسة الكاثوليكية

تتبع (توقيعات آباء المجمع)

روما - كنيسة القديس بطرس

في ٢٨ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٥ - انتهى نص وثيقة التبرئة وفى مذكرات السفير الزميل المرحوم محمد التابعى فى كتابه الصادر عن دار المعارف تعليق على وثيقة الفاتيكان لتبرئة اليهود من المفيد الاطلاع عليها فقد كان يشغل سفيراً لمصر لدى دولة الفاتيكان.

ولست مؤرخاً أو مفسراً للخضوع الفاتيكانى للصهيونية العالمية وإنما هذه الأسطر تذكرة فقط لتظهر مدى خطورة يهود العالم تحت لواء العنصرية الصهيونية وهم الذين لم يعترفوا بالمسيح منذ ألقى سنة كما لم يعترفوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وينادون بأنهم شعب الله المختار وأن بقية الشعوب الأخرى مجرد خدم للشعب المختار.

جدير بالذكر أن الفاتيكان وإسرائيل وقعتا فى ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٣ وفى مدينة القدس المحتلة «وثيقة اتفاق» تؤكد العلاقات المعيزة بين الكنيسة الكاثوليكية

والشعب اليهودى وبعملية المصالحة التاريخية وبحسن الصداقة والتفاهم المتبادل والمتزايد بين الكاثوليك واليهود، وقد تم التبادل الدبلوماسى بموجب هذا الاتفاق بين إسرائيل والفاتيكان (وتحاول السلطات حول بابا الفاتيكان بطريقة خفية أن تشير إلى أن التبادل الدبلوماسى مع إسرائيل هو بصفتها دولة مدنية وليست دينية)، ثم جاء الاتفاق الثانى بين الطرفين فى ١٠ / ١١ / ١٩٩٧ والذى تمنح إسرائيل بموجبه الكنيسة الكاثوليكية فى الأراضى المقدسة وضعاً قانونياً كما تضمن الاتفاق تهويد القدس واستبدال المفتاح العربى للمدينة بالمفتاح العبرى.

يأتى ذلك فى الوقت الذى لم يقدم فيه الفاتيكان أى اعتذار عن الحروب الصليبية كما يطلقون عليها التى أعلنها البابا أو ريان الثانى فى ديسمبر ١٠٩٥ م من دير كلير مونت بفرنسا والتى استمرت حتى ١٢٩١ م وسقط خلالها آلاف الضحايا من المسلمين والمسيحيين العرب، كما لحقت بالمسلمين من جرائمها أضرار مادية ومعنوية تواصلت قرونًا، بل وكانت تلك الحروب الصليبية كما يطلقون عليها سبباً مباشراً فى الفجوة الكبرى بين الشرق و الغرب.

وبرغم زيارة بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثانى لمصر والأردن والأراضى المقدسة فى الفترة ما بين (٢٤ - ٢٦) فبراير عام ٢٠٠٠ وبرغم زيارة البابا للمسجد الأموى بدمشق وإقامة قداس بابوى، برغم كل ذلك إلا أن صفحة الحروب الصليبية كما يطلقون عليها لم تطو بعد ولا زالت جراح المسلمين قائمة حتى تلك اللحظة.

كما أنه جدير بالذكر أن البابا الراحل تعرض لهجمات يهودية صهيونية منذ الستينات تنتقص البابا وتتهمه مباشرة بالتورط فى إبادة اليهود أو المساعدة عليها، وربما يكون ذلك أحد أبرز الأسباب التى دفعت البابا الراحل آنذاك إلى إصدار وثيقة التبرئة.

أكثر من ذلك عندما قرر البابا زيارة (حائط البراق العربى) الذى يطلق عليه اليهود حائط المبكى أثناء زيارته للقدس فى عام ٢٠٠٠ طلب الحاخام اليهودى المسئول عن زيارة البابا عدم ارتداء الصليب، لأن دخول البابا يوحنا بولس الثانى خليفة بطرس

رسول المسيح وتلميذه الأول إلى الهيكل مرتدياً الصليب - رمز جريمة اليهود في حق يسوع حسب العقيدة المسيحية - لا يعني فقط إحياء هذه الذكريات الدينية، ولكن يعني أيضاً إقرار ضمنى اضطرارى من جانب حراس العقيدة اليهودية بالمسيح والمسيحية وهو ما ينكرونه تماماً.

وأذكر القارئ بنص البروتوكول السابع عشر من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية.

تأليف د/ أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر «في ذلك الوقت».

الناشر/ مكتبة الناظفة (٢٠٠٣) والذي جاء به the papal court ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوى ستظهر أصابع يد خفية تشير إلى الأمام أن هيا بنا إلى ذلك البلاط، فإذا تكالبت الأمم عليه فسنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة في حقن الدماء وبهذه اللعبة سندس أيدينا فى أحشائه ولن نخرجها إلا بعد أن تتبدد قواه، فلا يستطيع إذن التحرك.

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للأرض كلها وبطربرك كنيسة عالمية. ولا أقول: إن بابا الفاتيكان الراحل مسئولاً عن الأخطاء السياسية التى ارتكبتها الفاتيكان فى حق المسلمين، لكن أقول: إن الفاتيكان أقدم على اتخاذ مبادرات اعتذارية، فقد اعتذر بابا الفاتيكان لليهود واعتذر لشعوب أمريكا اللاتينية بسبب ما لحق بها من حملات متتالية على يد أوروبا والكنيسة كما اعتذر لعالم الرياضيات والفلكى جاليليو الذى تعرض لظلم كبير من الكنيسة بعد أن تجرأ وتحدث عن حقيقة علمية وهى أن الشمس هى مركز الكون وليست الأرض، مما دعا البابا يوحنا بولس الثانى الراحل إلى تقديم اعتذار للعالم الجليل الذى قتل على يد الكنيسة بسبب الجدل العلمى، واعتذر للصين بسبب الأخطاء التى ارتكبتها البعثات التبشيرية هناك، فلماذا لا يعتذر الفاتيكان للمسلمين عن حروب استمرت مائتى سنة؟.

ولا يفوتنى فى نهاية هذا الملف أن أسجل ظاهرة كان بطلها بابا الفاتيكان الراحل حيث كان يحرص عند نزوله من طائرته الخاصة فى مطار الدولة المستقبلية

له أن يسجد البابا فور نزوله من سلم الطائرة، يسجد على الأرض كما يسجد المسلمون في صلاتهم كركن أساسي لإتمام الصلاة. وكانت هذه الظاهرة التي رأيتها بعيني رأسي في عدة مناسبات من بابا الفاتيكان الراحل مثار اهتمامي لإبرازها في مناقشاتي مع غير المسلمين الذين يؤدون صلاتهم دون السجود ويبدون تعجبهم من سجود المسلمين في صلاتهم وهكذا كان سجود البابا الراحل على الأرض خير دليل لي في إبراز أهمية سجود المسلم في صلاته والغريب أن البابا الراحل عندما بلغ سن الشيخوخة التي تعوقه من السجود على الأرض كان أحد الرهبان المرافقين له يقدم أمامه قطعة من الخشب لكي يحني رأسه عليها ساجداً رمزاً للأرض.

١٨ - فى واشنطن تعرف ما هى المنحوتة وما هى الماسونية

برغم ما فى العمل الدبلوماسى من متعة عظيمة ، إلا إن الإنسان عندما يتخلص من قيود الوظيفة - حتى ولو كانت مهنة الدبلوماسية - يكون أكثر قدرة على القيام بأشياء ربما لا يستطيع أن يقوم بها من قبل ، هذه مقدمة أردت بها التوطئة للحديث عن زيارة قمت بها إلى أمريكا بعد سن التقاعد ، كان الهدف الأساسى منها زيارة ابنى الذى كان يعمل دبلوماسياً بسفارة مصر بواشنطن وقتها عام ١٩٩٥ ، مع شىء من المتعة والاكتشاف لأهم المعالم السياحية بالعاصمة الأمريكية ، خاصة وأننى قد قمت عام ١٩٧٥ بزيارة رسمية لواشنطن مقر منظمة الدول الأمريكية (OAS) وقد سبق وأن تحدثت عن هذه الزيارة فى كتابى هذا .

وقد قمت فى هذه الزيارة الثانية بالتوجه للمحكمة العليا الأمريكية بصفتها من أهم معالم واشنطن وتشتغل مبنى عريقاً يمتد عمره إلى ما يقرب من مائة عام ، وبعد أن تفتقدت المحكمة من الداخل سمح لى باعتبارى سفيراً سابقاً دخول قاعة الاجتماعات والمداولات غير المسموح بدخولها للزائرين وكانت المفاجأة عندما وجدت على أعلى جدران القاعة من الداخل عدة رسومات منحوتة لأشخاص أولهم لشخص عربى بزىة التقليدى وعلى رأسه العقال وفى إحدى يديه كتاب وفى اليد الثانية السيف ، والأكثر مفاجأة عندما دقت النظر فوجئت أنها منحوتة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، حيث وضعت هذه المنحوتة داخل إفريز يضم ١٨ منحوتة لشخصيات من حكماء البشرية على رأسهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والنبي موسى وشخصيات أجنبية مختلفة ليسوا من الأنبياء مثل كونفو شيوس والملك شارل مان وآخرون .

مما يذكرنى بالكتاب الذى صدر بعنوان «الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم» الصادر من مكتبة الزهراء للإعلام العربى ترجمة وتقديم أنيس منصور

والمؤلف عالم فلكى رياضى يعمل فى هيئة القضاء الأمريكية اسمه مايكل هارت. ومما زاد تعجبى وجود تشخيص نحتى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان، وهو أمر نعلم جميعاً أنه غير مسموح فى الدين الإسلامى، ليس بالنسبة للرسول فقط وإنما أيضاً لكثير من الشخصيات الدينية الإسلامية، بل أكثر من ذلك كنت دائماً فى تجوالى حول العالم أرى مختلف الرسومات والصور للسيد المسيح ومريم العذراء بمختلف الألوان والأشكال، وكان هذا يمثل بالنسبة لى نوعاً من أنواع المساس لقداسة عيسى عليه السلام، بل أكثر من ذلك تناقش معى كثير من الأفارقة من الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى متعجبين لماذا لا يكون المسيح فى إحدى صورته ورسوماته على هيئة رجل إفريقى زنجى، وفى ذلك تعصب من الرجل الأبيض عندما يحدد شكل المسيح فى صورته البيضاء ثم تساءلت بينى وبين نفسى من الذى سمح للأمريكان بتشخيص صورة الرسول فى المحكمة العليا؟ وما موقف المسلمين فى أمريكا والعالم من هذا التشخيص؟ .

وعرفت بعد ذلك أن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية أعرب عن استيائه لوجود منحوتة النبى محمد صلى الله عليه وسلم داخل ساحة المحكمة العليا الأمريكية بواشنطن، وعرفت أيضاً أن هذه المنحوتة موجودة منذ عام ١٩٣٥، وقد سبق عدة مرات طلب سحب المنحوتة التى تجسد النبى محمد صلى الله عليه وسلم من قبل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ولكن المحكمة الأمريكية رفضت ذلك بحجة أن ذلك سيؤثر على شكل الإفريز الذى يضم ١٨ منحوتة شخصية ولازال الحال كما هو عليه حتى كتابة هذه السطور.

هذه هى المفاجأة الأولى فى زيارتى الثانية السياحية لواشنطن، أما المفاجأة الثانية فإنى فوجئت بها أيضاً أن هناك ضاحية خارج واشنطن تسمى بالإسكندرية يرجع أهميتها فى رأى لوجود ربوة عالية على رأسها مبنى ذو طراز شرقى بقبابه وملامحه المعمارية الشرقية، كما وجدت على المبنى أيضاً نجمة داود، فلما سألت عن هذا المبنى عرفت أنه مقر الماسونية العالمية، ولم يسمح لى فى بداية الأمر

بالدخول لكن عندما أكدت كوني سفيراً سابقاً فى زيارة خاصة لأمريكا سمح لى بدخول المبنى ووجدت داخل المبنى عرضاً تصويرياً عن نشأة وتطور الفكر الماسونى العالمى، وفى نهاية البهو وجدت صالة كبيرة تنتهى بباب مكتوب عليه قاعة الاجتماعات، فحرصت أيضاً على الدخول بعد استئذان شخصيات لم أقابلها، فوجدت قاعة رهيبة بآثارها ورسومها وجدرانها وفخامتها، ولقت نظرى صور ولوحات زيتية لزعماء الماسونية فى العالم من بينهم شخصيات عربية وإسلامية مشهورة، ووجدت أن رسوم الشخصيات المصرية تحتل ركناً بارزاً.

كانت هذه الزيارة دافعاً أن أبحث فى تاريخ الماسونية خاصة بعد أن دارت فى ذهنى أسئلة كثيرة منها: ما هى الماسونية أين نشأت؟ وما أهدافها؟!

عرفت بعد ذلك أن الماسونية تطرح نفسها على أنها مؤسسة خيرية وجمعية فكرية تسعى إلى استقطاب ذوى النفوس الحرة والأخلاق الحسنة، وتقوم دعواها على تخطي الحدود السياسية والجغرافية بل والحواجز العقائدية، وأن نشاطها يظل محاطاً بسرية وكتمان شديدين.

تعيد الماسونية نفسها إلى أربعة آلاف عام قبل المسيح أى إلى التاريخ الذى تعتبره التوراة بداية العالم، وهى تعتبر بناء هيكل القدس فى عهد سليمان أول عمل عظيم تم تنفيذه، ويصعب على الصعيد العالمى تحديد أصولها نظراً لانعدام الوثائق بهذا الشأن ولنشاط الحركة السرى.

وقد جاءت كلمة الماسونية من MASON بمعنى البناء، ويتردد أيضاً أن ماسون اسم شخص، ولا يعرف أى الروايتين أدق، وبالنسبة لنشاط الماسونية فى مصر اكتشفت أن أول من كان ماسونياً فى مصر هو نابليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية على مصر بقيادته والذى كان أحد أبطال الثورة الفرنسية ذات الجذور الماسونية والصهيونية وقد عمل بونابرت على إنشاء أول محفل ماسونى فى مصر عام ١٧٩٨ كما أنه صاحب أول دعوه لقيام دولة يهودية على أرض فلسطين كما ذكرنا من قبل فى ملف الجامعة بكتابى هذا.

ومن جانب آخر انتشرت الماسونية فى مطلع العشرين عن طريق تركيا حيث قامت الماسونية بدور أساسى فى ثورة كمال أتاتورك اليمودى الذى قضى على الخلافة الإسلامية مما أدى إلى الربط بين الحركة الماسونية والحركة الصهيونية، فكلاهما يعمل من أجل تشكيل حكومة عالمية يهودية، وهى حكومة يمتد نفوذها وسيطرتها على الأمم والدول.

وقد جاء فى مجلة القوات المسلحة المصرية فى عام ١٩٦٤ الذى نقلته مجلة المصور فى عددها بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠٠٥ أنه تم الاحتفال فى إسرائيل بوضع الحجر الأساسى لأكبر محفل ماسونى فى العالم، وقد قال الحاخام الإسرائيلى الأكبر فى هذا الاحتفال:

أيها الأخوة الماسون من كل بلاد العالم، نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساسى لأكبر محفل ماسونى فى العالم سيضىء الطريق أمام الماسونية لتحقيق أهدافها، أننا نعمل من أجل العودة لكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على الأرض أنه الدين اليهودى، وما عدا ذلك من أديان فهو باطل، سيأتى اليوم الذى يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامى، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطلة.

ونقلت مجلة المصور فى العدد نفسه أن الصحف المصرية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ أن المحفل الماسونى البريطانى تقدم إلى بلدية القدس بهدف شراء المسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان مكانه.

هكذا نجد أن الماسونية كانت إحدى أنياب الصهيونية العالمية، وكان لها دور كبير من أجل إنشاء دولة إسرائيل فهى ليست وليدة الصدفة، بل هى نتيجة تخطيط رهيب من قبل الصهيونية العالمية.

وفى إبريل عام ١٩٥٢ نشرت مجلة المصور تحقيقاً صحفياً داخل المحفل الماسونى المصرى بالقاهرة، وقد كان هذا التحقيق إنجازاً صحفياً غير مسبوق نظراً للسرية التامة التى كانت تفرضها الحركة الماسونية فى مصر على نشاطها وطقوسها،

وكان رئيس الحركة الماسونية فى مصر الدكتور فخر الدين السبكى بك، والغريب أن عملية انضمام العضو الماسونى الجديد كانت تحاط بحالة من الطقوس الغريبة، منها مثلا أن العضو الجديد يملك معصوب العينين داخل حجرة مظلمة ثم يستعرضه الأعضاء أثناء سحبة من رقبتة بالحبل، وتنزع منه جميع المعادن من نقود وساعات أو أقلام، ثم يقسم القسم الأعظم للماسونية، وتتدرج رتبته فى الماسونية من مبتدى إلى شغال إلى أستاذ إلى الأخ الفائق الاحترام ثم الأخ الكلى الاحترام.

والغريب أنه رغم الاحتياطات الأمنية التى كانت تقوم بها السلطات المصرية خاصة بعد قيام ثورة الجيش ١٩٥٢ ونتيجة التغلغل الصهيونى فى مصر الذى صاحب إنشاء دولة إسرائيل، أقول أنه من الغريب أن المحافل الماسونية فى مصر لم تغلق إلا فى ١٧ إبريل عام ١٩٦٤، حيث تم صدور قرار وزير الشؤون الاجتماعية بإغلاق وحل الجمعيات الماسونية فى مصر وكان عددها ٢٦ محفلا (أكبر من عدد محافظات مصر) نتيجة رفض أعضائه الخضوع لتفتيش الوزارة لاعتقادهم أن ذلك التفتيش يتعارض مع سرية الحركة والتى ربما أحسست الحكومة علاقتها الوثيقة بحركة شهود يهوه اليهودية فى مصر ولكى نكون منصفين نقول أنه ربما كان معظم المصريين المنتمين إلى المحافل الماسونية لا يعرفون هذه الحقائق التى تؤكد أن الحركة الماسونية منبثقة من الأفكار والمبادئ الصهيونية والتى أعلنت فى مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ بقيادة هرتزل، وأن الصهيونية استخدمت المحافل الماسونية فى كافة أنحاء العالم لخدمة وتحقيق مصالح الصهيونية العالمية قبل الإعلان عن نفسها فى مؤتمر بازل، فهل كان هؤلاء الذين انضموا إلى الحركة الماسونية من العرب والمسلمين تابعين للحركة الصهيونية العالمية، أم أنهم اتخذوا بالشعارات الزائفة للمحافل الماسونية وما بها من دعاوى تدعى العمل من أجل تحسين الشروط المادية والمعنوية للبشرية، والارتقاء إلى مستوى ثقافى وحضارى أرقى؟!.

وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث خاص ربما لا يستطيع كتابى أن يتعمق فيه، بل أعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث علمى ممثل فى رسالة ماجستير أو دكتوراه.

هذا البحث يدور حول تطور المحافل الماسونية فى البيئـة المصرىة، وعن انخداع عدد من الزعماء السياسيين والدينيين والقنانيين وراء هذه الهيئات التى ارتدت شكل مؤسـة خيرية، بل أكثر من ذلك يكون هذا البحث عن الجمعيات والمؤسسات الأجنبية التى ظهرت وستظهر فى مصر والبلاد العربية والإسلامية والتى ربما كانت نواياها غير سليمة واتخذت من الشعارات الزائفة شكلا وعنوانا لها، فضلا عن بعض الديانات المستهجنة مثل البهائية والأحمدية وليس هذا موضوع كتابى. هكذا كانت زيارتى لقر الماسونية فى واشنطن السبب فى الكشف عن نشاط الماسونية فى مصر سابقا والكشف عن الرباط الذى يربط ما بين الماسونية والصهيونية والذى أرجو أن يكون مفيدا لقارئى كتابى هذا، وأختتم حديثى عن الماسونية بتذكير القارئ العزيز أن نص البروتوكول الثالث من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية تأليف د. أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر.

الناشر/ مكتبة الناظدة (٢٠٠٣).

- يشرح العلاقة بين الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى، وتوضح الأسباب التى تولى الماسونية مناعة فلا تقهر، كما يذكر الدور الذى يمثله عملاء الماسونية السريون فى العالم، وفى نقاط أهمها:
- جيش اليهودية الماسونية.
 - القاعدة الأساسية للتعليم فى المدارس الأهلية الماسونية فى المستقبل.
 - السر العلمى فى حقيقة هيكل المجتمع وتركيبه الأزمة الاقتصادية العالمية.
 - ضمان الأمان لشعبنا السلطة المطلقة فى الماسونية وقيام المملكة التى يسردها العقل لا قائد ولا مرشد.
 - الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى.
 - الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون، الأسباب التى تولى الماسونية مناعة فلا تقهر.

- الدور الذى يمثله عملاء الماسونية السريون، الحرية!.
- كما أنه من الواجب على أن أشير فى كتابى هذا إلى ما تتضمنه بعض الكتابات عن العلاقة بين أندية الروتارى فى العالم (بما فيها مصر) وبين الماسونية العالمية الأمر الذى يخرج عن كتابى هذا.

١٩ - معاداة السامية والتفرقة العنصرية الإسرائيلية

على مدى سبعة عشر عاماً منذ أن بلغت سن المعاش وتركت العمل الدبلوماسي عام ١٩٩٠، وأنا أكتب في الصحف والجرائد المصرية العربية آراء ومقالات تمثل خلاصة تجربتي الإنسانية والدبلوماسية كما تمثل رسداً للظواهر والعادات والتقاليد المختلفة بين شعوب العالم، واعترف أن الصحافة بالنسبة لي ليست شيئاً جديداً فقد بدأت حياتي العملية بالعمل في جريدة المصري منذ ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، ومعنى ذلك أنني حاولت أن أجدد العهد القديم بيني وبين العمل الصحفي.

ولا أنكر أن قضية فلسطين احتلت الصدارة في كتاباتي الصحفية لأنها تمثل بالنسبة لي قضية عمر لازمتني منذ أن كنت شاباً قبل وجود دولة إسرائيل نفسها على خريطة العالم، وحتى تلك السن المتقدمة التي تمثل المرحلة النهائية أو الاستعداد للرحيل.

والممارسات الصهيونية بصفة عامة جعلتني أتأمل تلك التهمة الزائفة التي أصبحت سيقاً مسلطاً على رقاب كل الذين يعلنون آراءهم في رفض ما يفعله الإسرائيليون وما يقولونه، إنها تهمة معاداة السامية.

إنها تهمة صهيونية تلصقها الصهيونية العالمية لكل من يعارض السياسة العنصرية الإسرائيلية بكل ما بها من جرائم وإبادة وعدوان ولا إنسانية ليس فقط في فلسطين بل في دول عربية مختلفة.

هكذا يتعرض كل كاتب أو مفكر صاحب ضمير حي يرفض تلك الممارسات الصهيونية المخالفة للشرائع السماوية والعدالة والمنطق والقانون الدولي والشرعية الدولية، أقول يتعرض كل من يرفض تلك الممارسات الإسرائيلية إلى تهمة معاداة السامية، حتى ولو كان مفكراً عربياً، أى سامياً، فالعرب هم أيضاً ساميون، ذلك

أن علم الأجناس البشرية يقول: إن السامية نسبة إلى سام بن نوح، ووفقاً للتوراة أيضاً فإن سام هو الابن البكر لسيدنا نوح، وهو جد الشعوب التي تعتبر سامية وهي تضم: العبرانيين والآراميين والعرب والأفريقيين، وهؤلاء جميعاً يتحدثون باللغات السامية، فالسامية تصنيف لغوي وليس تصنيفاً عنصرياً.

واللغات السامية مجموعتان: المجموعة الأولى هي اللغات: العبرية والكنعانية والفينيقية والآرامية، والمجموعة الثانية من اللغات السامية تضم العربية ولغات أخرى، فالسامية مرتبطة باللغة وليست مرتبطة بالعنصرية أو القومية أو الدينية أو الوطنية تنسب إلى سام بن نوح.

واللغات السامية هذه هي إحدى اللغات الشرقية التي تضم اللغة التركية - الفارسية - الباشتو - الأوردو، وهذه اللغات مستخدمة في البلاد تركية الأصل وإيران وأفغانستان والباكستان وهي (جزء من شبه القارة الهندية).

• وهكذا فإن السامي (SEMITE) هو ذلك الشخص المنحدر من أصول ترجع إلى سلالة سام بن نوح، وعلى الرغم من أن العرب كعرق يمثلون أحد مكونات العرق السامي فإن الجماعات الصهيونية عملت على احتكار مصطلح السامية واعتباره يخص اليهود وحدهم، وبالتالي فإن مصطلح العداة للسامية يعنى وفق هذا التعريف العداة لليهود من أصل عبراني، وبمرور الوقت بدأت الصهيونية توجه للعرب تهمة العداة للسامية على رغم أن العرب أنفسهم ساميون وأن العرب واليهود أولاد عم، فاليهود نسل يعقوب بن اسحق بن إبراهيم والعرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم وأبناء يعقوب هم اليهود الشرقيون (السفراديم)، وهم بخلاف اليهود الغربيين الأوروبيين (الاشكنازي) من قبيلة الخرز في شرق أوروبا الذين أسسوا الصهيونية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أقيمت الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية على صدور قانون معاداة السامية، حيث وقع الرئيس جورج بوش في السادس عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٤ قانوناً يلزم وزارة الخارجية الأمريكية برصد وإحصاء الأعمال المعادية للسامية في العالم وتقويم مواقف الدول من هذه الأعمال،

وقد تقدم بهذا التشريع أو القانون للكونجرس الأمريكي السيناتور اليهودى توم لانتوس من ولاية كاليفورنيا، وهو معروف بعدائه الشديد للإسلام والعرب وينص القانون على ضرورة استمرار الولايات المتحدة فى جهودها لمنع معاداة السامية فى العالم بالتعاون مع منظمات أخرى مثل منظمة الأمن والتعاون الأوروبى والاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة، كما نص على تكليف وزارة الخارجية الأمريكية برصد الأعمال المعادية للسامية فى العالم وتقديم تقارير حولها وذلك عن طريق آليات جديدة تقوم الخارجية الأمريكية بتنفيذها هي:

- إنشاء إدارة جديدة بوزارة الخارجية تسمى إدارة معاداة السامية.

- تعيين مبعوث أمريكى يتولى مراقبة الأنشطة المعادية للسامية.

وقد اعترضت وزارة الخارجية الأمريكية فى بداية الأمر على هذا المشروع قبل توقيع الرئيس الأمريكى، معتمدة فى اعتراضها على أن إنشاء مكتب يختص بمراقبة العداء للسامية من شأنه أن يقلل من المصادقية الأمريكية ويعكس المحاباة وعدم التوازن فى سياسة الولايات المتحدة لحقوق الإنسان.

وقد ركزت الصهيونية على معاداة السامية فى مصر ممثلة فى الصحافة المصرية المهاجمة لليهود واليهودية.

والغريب أن تهمة معاداة السامية لم توجه لغير اليهود فقط، وإنما لبعض اليهود أيضاً ومنهم الكاتب اليهودى ريتشارد كوهين الذى كتب مقالاً فى صحيفة واشنطن بوست فى ٦ / ٥ / ٢٠٠٢ بعنوان:

«انتقاد إسرائيل ليس معاداة للسامية».

أكد فيه على رفضه للأفعال والجرائم الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية، مؤكداً على أنه لو كان فلسطينياً لكره إسرائيل من كل قلبه وكره اليهود عامة.

ونعود مرة ثانية للقانون الأمريكى فنقول: إنه من المؤسف أن يختص الرئيس الأمريكى اليهود فقط بإصدار قانون لرصد وتجريم معاداة السامية، وقد كان الأولى به أن يصدر قانوناً أشمل يجرم مختلف أشكال معاداة الأعراف والأديان، فهناك أيضاً

المعاداة للإسلام والعرب بل وهناك معاداة للمسيحية والبوذية والهندوسية وغيرها. والسؤال الذى يفرض نفسه، أين يوجد العداء للسامية أو لليهود فى عالم اليوم؟ إن اليهود فى العالم يتمتعون بوضع مميز، وهو وضع يفوق غيرهم من شعوب العالم، ومن الثابت أن تأثير اليهود على القرار العالمى هو أقوى من أى تأثير آخر، أليست إسرائيل هى الطفل المدلل للولايات المتحدة الأمريكية؟ وأليست إسرائيل هى الدولة العنصرية الوحيدة فى العالم بعد انتهاء العنصرية فى جنوب إفريقيا؟ إن تهمة المعاداة للسامية هو وجه من وجوه ممارسة العنصرية.

إن من أخطر ما يصيب علاقة الإنسان بأخيه الإنسان هو التفرقة العنصرية، وأخطر تفرقة عنصرية هى تلك التى يمارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان مستنداً إلى وحى إلهى من خالق الإنسان، لأن هذه التفرقة فى هذه الحالة تكون مقدسة ويصبح من الصعب على من يمارسها أن يتوقف عن ادعاءاته.

وبدون فلسفة أو جدل أو الرجوع إلى الأسباب والمسببات وبالرجوع فقط إلى الحقيقة البسيطة والواضحة فإنه لا فرق بين إنسان وآخر فى مولده وفى تكوينه الجسمانى وفى غرائزه وطريقة تكاثره وفى اعتماده على ما يأكله ويشربه وفيما يصيبه من قوة وضعف وشيبة وشيخوخة وفيما قد يعتريه من أمراض وما يقع له من حوادث، فى كل هذا وغيره يتساوى فى أن مصيره الموت والفناء والاختفاء تماماً من على وجه الأرض.

والكتب المقدسة كلها تقر حقيقة أن الله خلق الإنسان الأول آدم ومن جنسه حواء ومن آدم وحواء تكاثر نسل الإنسان، فالبشرية أصلها التراب، والحياة أساسها روح من الله وبذلك يكون لا فرق بين إنسان وآخر حتى عند الملحدِين ومن ينكرون خلق آدم ووجود الله لا فرق بين إنسان وآخر. التفضيل والتكريم يكون على أساس الإيمان بالله والرسول والكتب المقدسة فضلاً عن العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (سورة آل عمران) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُورِ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾

هذا فيما يخص المؤمنين بالله أما فيما يخص من لا يؤمنون بالله خالق فلا فرق بين إنسان وإنسان إلا بالتطور المادى ومحصلة ذلك أن الفرق بين إنسان وإنسان سواء روحانية أم مادية لا يجب أن تؤدى إلى تفرقة عنصرية بين الإنسان وأخيه الإنسان .

وهكذا فإن التفرقة العنصرية التى تستند إلى حق إلهى أمر غير وارد ومرفوض ، وذلك من واقع أن الله الخالق واحد و أن الإنسانية كلها من خلقه ، ولا نتصور أن الخالق يفرق بين مخلوقاته ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالإنسان أكرم وأفضل مخلوقاته ، والذى من أجله خلق الأرض وما عليها والسموات وما بها .

هكذا لا يستطيع أحد أن يقول: إن اليهود هم شعب الله المختار ويحق لهم أن يوجدوا تفرقة عنصرية تستند إلى حق إلهى ويصدروا قانون معاداة السامية بقرار من أمريكا .

فمن يستطيع الآن أن يوقف الجرائم العنصرية المنظمة التى ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى ، بما فيها من جرائم حرب وأعمال إبادة الجنس والتطهير العرقى واقتلاع السكان من أراضيهم .

إننا نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون إن الدولة العنصرية المتبقية الوحيدة فى العالم هى إسرائيل ، وذلك بعد انتهاء التفرقة العنصرية بين البيض والسود فى جنوب إفريقيا عام ١٩٩١ والتى استمرت ٣٠٠ سنة .

فإسرائيل دولة عنصرية تتبنى نظام الفصل العنصرى الذى يقوم على الحصر والعزل العنصريين واستلاب الأملاك والمنع من الوصول إلى الأراضى والتقسيم والعزل الجغرافى ، فضلا عن كون ضحايا سياسات الفصل العنصرى الإسرائيلى والتطهير العرقى الصهيونى يستهدف بصورة خاصة الأطفال والنساء والعزل .

وإسرائيل ليست عنصرية بهذا المفهوم فقط، أى ليست عنصرية ضد الفلسطينيين فحسب، وإنما العنصرية أيضاً داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه وبين المواطنين الإسرائيليين أى رعايا دولة إسرائيل، وهو ما يعارس بصورة واضحة ضد يهود القلاشا السود الأثيوبيين، وهو ما أدى إلى كثير من المظاهرات والاحتجاجات من قبل يهود القلاشا البالغ عددهم ٦٠ ألف يهودى، وكثيراً ما يرفعون لافتات الرفض للتمييز العنصرى داخل إسرائيل، حيث يكتبون عليها:

«بشرتنا سوداء لكن دماغنا حمراء مثل دمكم، ونحن يهود مثلكم»

هكذا تتحقق التفرقة العنصرية لإسرائيل فى الداخل والخارج، وهى تحقق تفرقة عنصرية داخلية ضد يهود القلاشا السود، برغم أن دعوة هؤلاء اليهود الزنوج لإسرائيل فى البداية قامت على أساس ادعاء صهيونى يؤكد وحدة الاضطهاد، اضطهاد الرجل الأبيض للسود، واضطهاد العالم العربى لليهود؟!، أما النوع الآخر من التفرقة العنصرية فهى التى تعارضها إسرائيل ضد الفلسطينيين.

وإذا كان المجتمع الدولى قد دعا من قبل إلى التطبيق القورى للقانون الدولى وخاصة اتفاقية جنيف الرادعة ضد النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا، حيث عمل المجتمع الدولى على تأكيد العزلة الدولية لدولة جنوب إفريقيا حتى تتوقف عن سياسة التفرقة العنصرية، فلماذا يقف العالم العربى مكتوف الأيدى تجاه العنصرية الإسرائيلية الداخلية والخارجية؟ اللهم إلا إذا اعتبرنا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥ برقم ٣٣٧٩ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية، على اعتبار أن هذا غاية ما يتمناه العالم الحر ضد العنصرية الإسرائيلية، حتى هذا القرار (أضعف الإيمان) قد تم إلغاؤه فى عام ١٩٩١ بقرار جديد من خلال ضغوط أمريكية وصهيونية.

هل العالم الحر غير قادر أو غير راغب فى الدعوة لتأسيس محكمة جرائم حرب للتحقيق ومحاكمة المسؤولين عن تلك الممارسات العنصرية الإسرائيلية، أليس قادراً على الدعوة لإطلاق حركة دولية ضد النظام العنصرى فى إسرائيل كتلك التى تم

إطلاقها ضد النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا، ألا يكون العالم الحر قادراً على إطلاق دعوة للمجتمع الدولى لفرض عزلة على إسرائيل كدولة عنصرية على غرار تلك التى فرضت على النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا والدعوة إلى الوقف الكامل للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والمعونات والتعاون العسكرى معها، بل أكثر من ذلك دعوة حكومة جنوب إفريقيا (المتعاونة مع إسرائيل) والغريب أن تستمر العلاقة بين دولة عانت كثيراً من التفرقة العنصرية وهى جنوب إفريقيا مع دولة كانت وثيقة الصلة مع النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا وهى دولة إسرائيل لاسيما على صعيد النشاط النووى لكى تأخذ الصدارة فى تنفيذ سياسات العزل تلك تحت مبدأ (من ذاق الظلم لا يظلم).

وأخيراً إدانة جميع الدول التى تساعد وتساند إسرائيل لأنها تساند سياسة عنصرية.

وأقول للصهيونية إنها إذا لم تغير من نفسها فيما تعتنقه من عنصرية دينية تفرق بين اليهود وبين بقية الشعوب مسلمة كانت أم مسيحية أم بوذية أو ما إلى ذلك من الأديان أو حتى اللادينية، فإنه سيكون من الصعب على الشعوب وخاصة الشعب الفلسطينى التعايش فى سلام وأمن واطمئنان مع اليهود خاصة الذين استوطنوا أرض فلسطين تحت مسمى دولة إسرائيل بادعاء العودة إلى أرض الميعاد التى وهبها الرب للشعب المختار.

وإذا كان العالم الحر استطاع القضاء على التفرقة العنصرية التى كانت تستند إلى لون البشرة والتى مارسها الرجل الأبيض لقرون عديدة ضد الرجل الزنجى الذى لعنوه واستعبدوه بعد أن خلعوا عليه رداء السواد ظلمًا وبهتانًا وتناسوا الحكمة الإلهية من اختلاف الأشكال والألوان و الأجناس والألسنة.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ النَّسْتَكُمْ وَالنَّوْكَرُ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الروم).

أقول: إذا كان العالم الحر قد استطاع أن يقضى على ذلك النوع من التفرقة العنصرية، فهو قادر أيضاً أن يقضى على التفرقة العنصرية الإسرائيلية.

وأقول بثقة: إننى شخصياً لا أعتقد قيام الحر العالم بالقضاء على العنصرية الإسرائيلية، لأن العالم الحر هو الذى خلق دولة إسرائيل ومكنها من الوجود وعمق فكرة العنصرية بها لا لشيء إلا للقضاء على الإسلام والعروبة فى واقع الأمر إسرائيل لا تستخدم العنصرية ضد أمريكا وأوروبا.

وأقول فى النهاية: إننى أؤيد فكرة وجود منظمات عربية مناهضة للتمييز العنصرى مثل المنظمة العربية لمناهضة التمييز، فهى منظمة غير حكومية مشهورة وفقاً للقانون الفرنسى، قام بتأسيسها عدد من المهتمين بالكشف عن جميع مظاهر التمييز والعنصرية المخالفة لحقوق الإنسان والشرائع الدولية باستخدام جميع الوسائل الإعلامية والقانونية والثقافية، ولاسيما تلك المخالفات العنصرية التى تمارسها إسرائيل، حيث تسعى هذه المنظمة للقضاء على التجاهل الواضح من قبل المنظمات العالمية لحقوق الإنسان للممارسات الإسرائيلية، كما أن نشاط المنظمة يمتد إلى كشف حقيقة الحملات الصهيونية لترجمة مواد إعلامية غربية وتوزيعها فى العالم العربى بصورة موجهة للإيحاء بشيوع العداء للسامية فى العالم العربى، الأمر الذى جعل البعض ينظر إلى هذه المنظمة باعتبارها المقابل العربى للمنظمات الصهيونية الداعية إلى تشويه صورة العرب والإسلام فى العالم.

٢٠ - نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر

فى ديسمبر ٢٠٠٥ انعقد مؤتمر دبلوماسى للدول الأطراف. فى اتفاقية جنيف كان هدفه إقرار شارة ثالثة للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر تقدم حلاً لمشكلة ظلت وقتاً طويلاً محل جدال فى محافل العمل الإنسانى.

فمع تأسيس الحركة الدولية للصليب الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر سعت لاتخاذ شارة لها كرمز مميز يسهل التعرف عليها لتتمكن بواسطتها حماية أفراد الخدمات الطبية من الهجمات أثناء النزاعات.

وخلال مؤتمرى جنيف لعامى ١٨٦٣ و ١٨٦٤ وضعت القواعد المنظمة لسلوك المقاتلين فى الميادين وهى القواعد التى أصبحت اليوم مدرجة باتفاقيات جنيف، كما تم اعتماد صليب أحمر على أرضية بيضاء ، أى على شكل معكوس لألوان العلم السويسرى (أرضية حمراء، الصليب أبيض) كشارة تعرف هذه الحركة وترمز لحيادها.

وخلال الحرب بين روسيا والخلافة العثمانية الإسلامية من ١٨٧٦ حتى ١٨٧٨ أعلنت الخلافة الإسلامية أنها سوف تستخدم الهلال الأحمر كشارة مميزة لجمعيتها الوطنية على سيارات الإسعاف التابعة لها مع الاستمرار فى احترام شارة الصليب الأحمر، على الرغم من أنها كانت قد انضمت إلى اتفاقية جنيف لعام ١٨٦٤ دون أى تحفظات، وهكذا أصبح استخدام شعار الهلال الأحمر هو الإجراء المطبق فى الخلافة العثمانية الإسلامية وفى عام ١٩٢٩ وبعد مناقشات مستفيضة وافق المؤتمر الدبلوماسى الذى عقد آنذاك على الاعتراف بشارة الهلال، كما اعتمد شارة ثالثة هى (الشمس والأسد الأحمران) أى الشارة التى كانت تستخدمها منذ فترة بلاد فارس - إيران حالياً - حتى عام ١٩٨٠.

شارة
الصليب الأحمر



شارة
الهلال الأحمر



شارة
الأسد والشمس



شارة
اللجنة الدولية
لصليب الأحمر



ولكى يبطل المؤتمر أى طلبات جديدة فى المستقبل أكد أنه لن يعترف بشارات جديدة بعد ذلك، لتجنب الوقوع فى مشكلة فوضى الشارات وخلال العقود الأخيرة كانت تثور ما بين الحين والآخر المشكلات المتعلقة بمشكلكتى الصليب الأحمر والهلال الأحمر والدلالات الدينية التى تنسب إليهما، برغم إدراك الجميع أن الشارة الخاصة بالصليب الأحمر أو الهلال الأحمر ليست مميزة خاصة بدولة ما أو بشعب معين أو ديانة محددة، ولكنها علامة للاحترام الواجب للجرحى والضحايا الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ورمز للتضامن الإنسانى فى وقت الشدة والمحن.

وقد سعت إسرائيل بعد إنشائها بكل ما لديها من قوة وضغوط صهيونية عالمية تساندها أمريكا بإضافة نجمة داود إلى جانب الهلال والصليب.

وللقارئ العزيز أن يعرف أن نجمة داود (الماجين دافيد بالعبرية وترجمتها درع داود) هى الرمز الصهيونى الموجود على علم إسرائيل، لكنها فى الحقيقة ليست رمزاً قديماً للهوية اليهودية، فقد استخدمت منذ قرون عديدة كشكل هندسى من قبل المسلمين والمسيحيين فى الزخارف، ويمكن العثور عليها فى كثير من الآثار والمساجد العربية والإسلامية فى كافة أنحاء العالم (حتى إنها توجد ضمن زخارف جامع الحبشى أحد أهم المساجد القديمة فى مسقط رأسى مدينة دمنهور عاصمة البحيرة).

ولم تنل النجمة السداسية تلك المرتبة الدينية الخاصة بكونها نجمة داود إلا عندما اتخذتها الحركة الصهيونية فى نهاية القرن التاسع عشر دون أدنى علاقة لها بالتاريخ والملك داود نفسه، فالنجوم هندسياً ثلاثة أنواع. الخماسية (وهى الأكثر شهرة واستخداماً فى العالم وهى موجودة على العلم الأمريكى).

والنجمة السداسية وهى منتشرة عالمياً كشكل هندسى (وهى موجودة من قديم الزمن على زى رجل الشرطة الأمريكى).

والنجمة الثمانية وترسمها الدول الإسلامية على الزخارف.

هذا وتقول الصهيونية: إن اليهود قد اتخذوا النجمة السداسية شعاراً لهم لأن النجمة ظهرت في السماء عند ميلاد الملك داود دون أي سند تاريخي من قبل ظهور الحركة الصهيونية العالمية بقيادة هرتزل عام ١٨٩٧.

والغريب أنه على رغم ربط النجمة السداسية بالنبي داود كشعار ديني فإنه في الوقت نفسه تضع إسرائيل نفس النجمة على الدبابات والطائرات التي تقتل الإنسان وتهدم المدن كل لحظة في فلسطين وغيرها من الدول العربية منتهكة كل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية، فكيف تصبح نجمة داود في رأيهم شعاراً دينياً يمثل اليهود شعب الله المختار على علم احتلوا به أرض فلسطين بصفقتها أرض الميعاد التي كتبها الرب لشعبه المختار!!! وهكذا فإن نجمة النبي داود أصبحت رمزاً وأداة تزهق أرواح الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين.

وجدير بالذكر أنه في عام ١٩٤٩ أي بعد إنشاء دولة إسرائيل بعام واحد طلبت إسرائيل من منظمة الصليب الأحمر حق وضع نجمة داود مستغلة ضغوطاً من الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمة الدولية للصليب والهلال الأحمر إلا أن هذا الطلب تم رفضه من المنظمة بفارق صوت واحد، ومع ذلك تعاون الصليب الأحمر الدولي مع إسرائيل طوال هذه السنين الماضية كمراقب وليس كعضو ولوجود ضغوط إسرائيلية صهيونية استمرت ما يزيد عن نصف قرن من أجل وضع نجمة داود مع الصليب الأحمر والهلال الأحمر واجتمعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في ديسمبر ٢٠٠٥ وتم اتخاذ قرار العمل بشارة جديدة لعلم هيئة الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وافقت ١٢٧ دولة وعارضت ٢٧ دولة امتنعت ١٠ دول عن التصويت، وكان لدولة سويسرا دور أساسي في قبول الشارة بعد أن بعدت عن مبدأ الحياد التي كانت تعارسه انضمت إلى الأمم المتحدة خاضعة للضغط الأمريكي والإسرائيلي الذي استمر نصف قرن.

وبذاك تحولت الشارات من رمز إنساني إلى رمز ديني عرقي، حيث يستخدم كل طرف شارة مختلفة، في الوقت الذي نبعت فيه فكرة الشارة من قدرتها على

الحماية، تستعمل بواسطة الصديق والعدو، أما إذا فقدت الشارة حيادها فإن خطراً جسيماً سوف يهددها وتصبح هي نفسها بدورها هدفاً وهو ما حدث في بعض الأحيان للأسف.

وقد حاولت اللجنة الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر أن تبرز موقفها باختيار شارة جديدة بأنه نوع من تأكيد وإصرار المحبة والصداقة بين الشعوب وتمشياً مع مبدأ العالمية الذي بموجبه تفتتح الحركة أبوابها للجميع؟!.



وأكدت الهيئة الدولية على أن الشارة الدولية الجديدة خالية من أى مدلول سياسى أو دينى وتقوم مقام الشارات الموجودة، وفى ديسمبر ٢٠٠٥ تم اعتماد الشارة الجديدة، والتي جاءت على شكل مربع أضلاعه الأربعة باللون الأحمر قائم على وحدة أرضية بيضاء، ومفرغ من داخله بحيث يكون بوسع لمن يستخدم أن يضع داخله رمزاً ثانوياً يرتضيه أو يستخدمه على حاله؟! ولتوضيح هذا كان من الضرورى أن يتم طبع هذه الشارة الجديدة بجانب هذا الشرح ليتصور القارئ العزيز كيف أن المنظمة الدولية قد توصلت إلى حل للمشكلة ينطوى فى داخله على رفض فكرة ضم نجمة اليهود إلى علم المنظمة دون أن يكون هناك قرار صريح لذلك. قصة الهلال والصليب الأحمر ذكرتنى بأبيات شعرية قرأتها لأمير الشعراء أحمد شوقى، قالها فى احتفال لجمع التبرعات لإعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى حين أغارت إيطاليا عليها. وأعتقد أن هذه الأبيات توضح الهدف الإنسانى من هذه الهيئة الدولية، يقول الشاعر شوقى:

هذا الهلال الذى تحويه ليلته
 أبهى الأهله عند الله ألوانا
 لحامله جلال منه مقتبس
 كأنما رفعوا للناس قرآنا
 كأن ما أحمر منه حول غرته
 دم البرى ذكى الشيب عثمانا
 كأن ما أبيض فى أثناء حمرة
 نور الشهيد الذى قد مات ظمانا
 كأنه من جمال راسع مهدي
 خود يوسف لما عف ولهانا
 كأنه وردة حمراء زاهية
 فى الخلد قد فتحت فى كف رضوانا

٢١ - الأسرى المصريون واليهود وكوست

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة)

(سورة البقرة).

كلما قرأت هذه الآية في القرآن الكريم أتذكر ما حدث لأسرانا في حربي ١٩٥٦، ١٩٦٧ على يد الإسرائيليين.

(وهنا أتساءل. هل لم يكن هناك أسرى مصريين في حرب ٤٨؟) وأتعجب من هذا الصمت غير المبرر من قبل الحكومات المصرية المتعاقبة على تلك الجرائم البشعة المخالفة لكل قواعد الإنسانية والتي ارتكبتها الجنود الإسرائيليون مع الأسرى المصريين من قتل جماعي وأمرهم بحفر قبورهم بأيديهم قبل إطلاق النار عليهم وإجبار باقى الأسرى على ردم المقابر والتراب على زملائهم، بل وصل الأمر إلى دفن بعض الأسرى أحياء في مقابر جماعية وسير الدبابات الإسرائيلية على جنود آخرين مصريين أحياء، بل وتعرض عدد كبير منهم لإجراء التجارب البيولوجية للأسلحة العسكرية الإسرائيلية.

لقد مرت عشرات السنين على قيام الإسرائيليين بهذه الأفعال البشعة، وقد شاهدت بنفسى ما أذاعته وسائل الإعلام الإسرائيلية على شاشات التليفزيون البلجيكي في يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ عندما كنت أعمل بسفارة مصر ببلجيكا رأيت مناظر مؤسفة لأعداد الأسرى المصريين وهم في حالة يرثى لها مما يثبت سوء المعاملة الإسرائيلية لهم، والمؤسف أكثر هو إعادة إظهار هذه المناظر في أول يوم من حرب ٧٣ لإيهام أوروبا أن الجيش المصرى انهزم مرة أخرى كما انهزم في حرب ١٩٦٧، حيث حاولت إسرائيل خداع العالم وإخفاء حقيقة هزيمتها على يد الجيش المصرى (في خط بارليف الذى أقامته إسرائيل على الطرف الشرقى لقناة السويس منذ عام ١٩٦٧) وسقوط الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر.

والغريب فى أمر الأسرى المصريين أن أول من أذاع ما جرى لهم فى حربي

٥٦ ، ٦٧ هم قادة الجيش الإسرائيلي حيث اعترفوا بما ارتكبهوه مع الجيش
المصرى والأسرى المصريين وقتل ما يقرب من ٦٥ ألف أسير مصرى وحددوا مقابر
جماعية دفنوا فيها المصريين فى العريش ووادى حبران وجبل لبنى والحسنة وبئر
سبع والمليز والقصبة وأبو عجيلة وأبو صقل ورأس سندر، لقد حدد هؤلاء الضباط
الإسرائيليون السابقون أماكن المذابح وأخذوا يروون بكل برود التفاصيل البشعة
لهذه الجرائم المخالفة لاتفاقية جنيف الدولية لعام ١٩٤٩ ، هذا البرود الصهيونى
لم يمنعمهم ويشعرهم بالخجل وهم يثيرون على نطاق عالمى ما أسموه بالهولوكوست
(المحرقة) ويقومون ضجة كبرى على هتلر وعلى الحكومة الألمانية (أثناء الحرب
العالمية الثانية ٣٩ - ٤٥) وبالغوا فى ذلك أن طالبوا منظمة دولية بمشاركتهم
وتأييدهم لدعايتهم.

الأمر الذى أدى إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد حددت يوم ١٧ يناير
من كل عام (يوماً للمحرقة) محرقة اليهود تحيى فيه ذكرى محرقة النازية لليهود
واعتبرت ذلك رمزاً لرفعة الشعب اليهودى الذى عانى طويلاً من الاضطهاد.
فهل كان من الأجدى أن يكون هذا اليوم تأسياً بملايين الشهداء والقَتلى
الذين ماتوا من جراء الحروب، وماذا فعلت الأمم المتحدة مع القواد العسكريين
الإسرائيليين الذين عذبوا أسرانا فى حربى ٥٦ ، ١٩٦٧ وأسرى وقتلى وضحايا
الحروب فى شتى أنحاء العالم.

لقد جاء قرار الأمم المتحدة فى نوفمبر ٢٠٠٥ بجعل يوم ١٧ يناير من كل عام
احتفالاً سنوياً بذكرى محرقة اليهود على يد النازية ابتداءً من يناير ٢٠٠٦ تلبيةً
لطلب إسرائيل، إن هذا القرار هو نوع من أنواع الرفض الدولى لأى إنكار كلى
أو جزئى لوقوع محرقة اليهود كحدث تاريخى، وقد قام بتقديم هذا القرار كل
من أمريكا وأستراليا وروسيا وكندا، وقد احتجت مصر بتحفظها على القرار حيث
تحفظ السفير المصرى لدى الأمم المتحدة داعياً إلى اعتبار يوم ١٧ يناير يوماً لذكرى
كل ضحايا الإبادة الجماعية فى العالم، وألا يقتصر على اليهود فحسب، ذلك
لأنه من الغريب على المنظمة الدولية أن تتجاهل ما تقوم به القوات الإسرائيلية ضد

الفلسطينيين من تنكيل وتشريد فى الوقت الذى تبحث فيه عدوان القوات النازية على اليهود فى الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥).

ومن ناحية أخرى وفى ٢٦ يناير ٢٠٠٧ وبناء على طلب أمريكا أصدرت الجمعية العامة قراراً يطالب جميع دول أعضاء الجمعية وعددهم ١٩٢ دولة برفض إنكار الهولوكوست والغريب أن الموافقة جاءت جماعية ما عدا دولة إيران، وفى هذا القرار تأييد لقرار الجمعية العامة السابق الإشارة إليه.

هذا وقد أقامت إسرائيل معرضاً فى تل أبيب أطلق عليه الهولوكوست ودعت إليه آلاف الشخصيات والزعماء الدوليين والأمين العام للأمم المتحدة والذى أكد فى ذلك اليوم أن يوم ١٧ يناير من كل عام سيكون ذكرى سنوية لضحايا الهولوكوست.

وكانت إسرائيل قد أقامت متحفاً للهولوكوست فى معظم عواصم العالم الأمريكى والأوروبى تضع فيه صوراً تمثل المحارق وتجبر المكاتب السياحية فى هذه الدول على وضع هذه المتاحف فى برامجها السياحية، هذا وقد قامت ألمانيا مؤخراً ببناء نصب تذكارى لتخليد الضحايا اليهود بعد أن وافق البرلمان الألمانى على إقامة هذا النصب نتيجة مناقشات دارت على مدار عشر سنوات سابقة، هذا النصب يضم ٢٧٠٠ عمود وتشكل مساحته ضعفى ملعب كرة قدم وقد طاردت حركه أنصار الهولوكوست (معناها المحرقة) جميع مناهضيها، وقد تعرض العديد من المفكرين الغربيين لضغوط شديدة لموقفهم المنكر للهولوكوست كحقيقة تاريخية وتفنيد الادعاءات الصهيونية التى يعتمدون عليها لاستمرار استنزاف أوروبا وإذا افترضنا أن هذه المحارق حقيقية فإنها لم تحصد أرواح اليهود فقط وإنما شملت عشرات الآلاف من الضحايا الأوروبيين غير اليهود. أضف إلى ذلك ما حصدهته الحرب العالمية الثانية من أرواح المدنيين فى أوروبا وغيرها من قارات العالم ومجموع ضحاياها ٤٨ مليوناً من كل العالم وإذا كانت إسرائيل تدعى أن فكرة إنشاء دولة إسرائيل كانت نوعاً من التعويض عن الاضطهاد اليهودى فى كافة أنحاء العالم فأقول: إن الجريمة وقعت على الأرض الأوربية ولم يكن للعرب أى دخل فى ذلك

كما أننا جميعاً نعرف أن فكرة إنشاء دولة إسرائيل تعود إلى عام ١٨٩٧ بعؤنمر بازل
أى قبل هتلر ومحارق النازية كما تدعى إسرائيل - بعشرات السنين!!؟ .

جدير بالذكر أن المحامى المصرى محمود لطفى قد أقام دعوى قضائية بمحكمة
العريش وهو رئيس لجنة الدفاع عن الحريات باتحاد المحامين الأفرو آسيوى لحقوق
الإنسان، أقام دعوى ضد رئيس الوزراء الإسرائيلى باعتباره مسئولاً عن تعذيب وقتل
الأسرى المصريين أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسينا عام ١٩٦٧، وطالب المحامى فى
دعواه بمحاكمة رئيس الوزراء الإسرائيلى وتقريمه بدفع تعويض مالى قدره ٦٠ مليار
جنيه كما طلب بإيقاد لجنة دولية من الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان
للقوف على بشاعة الجرم الإسرائيلى على الطبيعة بزيارة مناطق الدفن والمقابر التى
تضم رفات الأسرى المصريين، كما تضمنت الدعوى ما نشره قادة إسرائيل أنفسهم
فى مذكراتهم الخاصة باعتبارهم شهود عيان، فضلاً عن سماع أقوال شهود العيان
الأحياء وحتى صدور هذا الكتاب لم يستجد جديد فى هذه القضية.

وقد أثير الموضوع بمجلس الشعب المصرى منذ عام ١٩٩٥ حيث تقدم المرحوم
النائب يس سراج الدين باستجواب لوزير الخارجية المصرى عن قضية الأسرى
المصريين، وقد رد قائلاً أن الحكومة المصرية تقدمت بطلب رسمى إلى إسرائيل
للمطالبة بإجراء تحقيق للكشف عن كافة الحقائق المتعلقة بتلك القضية ووافقت
الحكومة الإسرائيلية على تشكيل تلك اللجنة لكن لم يحدث شىء حتى الآن،
وقد طالب عدد من نواب مجلس الشعب الحكومة المصرية بالتحرك والضغط على
إسرائيل لصرف تعويضات عن الأسرى المصريين بدعم القانون الدولى وعدم احترام
إسرائيل لآية اتفاقيات أو أخلاق وهذه الجرائم تتوفر فيها كافة السبل والأسانيد
للمطالبة بالتعويض لأن الذين أصدروا القرارات يقتل الأسرى المصريين هم قيادات
فى جيش إسرائيل وعليهم مسئولية الدولة باعتبارهم تابعين لسلطة حكام دولة
إسرائيل وواضح فى هذه الجرائم جانب الخطأ والضرر المتعمد، وإضافه إلى ذلك
طالب بعضهم بضرورة مقاضاة فرنسا وبريطانيا لدى محكمة العدل الدولية لدفع

تعويضات عن أعمال القتل والتدمير ضد هدم المنازل التي شهدتها محافظة بورسعيد أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

وأخيراً فلقد رأيت من جانبي وفي جريدة الأهرام (بريد الأهرام) حيث دعوت أكثر من مرة أن يقوم الجيش المصري بإقامة نصب تذكاري لهؤلاء الأسرى في قلب سيناء حتى يكون شاهداً تاريخياً على ما اقترفته إسرائيل حكومة وجيشاً في حق الأسرى وليكون تذكراً ينادى الشعب المصري بضرورة العمل على اتخاذ كل الإجراءات ضد حكومة إسرائيل وجيشها حتى تعاقب إسرائيل وجيشها مادياً ومعنوياً بصفقتهم مجرمي حرب على هذه الجريمة البشعة التي تعارضها كل القيم والمعاهدات الدولية مهما طال الأمد.

وأعتقد أننا لسنا أقل من الإسرائيليين الذين أقاموا في معظم عواصم الدنيا ما يذكّر بضحايا يهود الحرب العالمية الثانية وبهذه الوسيلة ترعب إسرائيل الدول خاصة الأوروبية وأمريكا وتحصل على تعويضات مالية ضخمة من حين وآخر كما تفرض على رؤساء الدول وكبار الشخصيات العالمية إلى زيارة النصب التذكاري لهؤلاء الضحايا عند زيارتهم لدولة إسرائيل وآخرهم بابا الفاتيكان الراحل رئيس الكنيسة الكاثوليكية السابق التي يبلغ رعاياها ألف مليون مسيحي كاثوليكي في كافة أنحاء العالم.

وإننى أنتهز فرصة كتابي هذا لأكرر دعوتى للجيش المصرى وقائده الأعلى هو رئيس جمهورية مصر لتحقيق إقامة نصب تذكاري لهؤلاء الأسرى واتخاذ كل الإجراءات الدولية لمطالبة إسرائيل بدفع تعويضات.

ولا أستطيع أن أختم هذا الملف دون أن أبوح بما أفكر فيه دائماً عن مدى حقيقة وجود أو غياب موضوع الأسرى المصريين فى أثناء المفاوضات التي أدت إلى توقيع معاهدة كامب ديفيد واتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩!!؟؟.

٢٢ - قل (يهود مصر) ولا تقل (المصريون اليهود)!

فى بداية هذا الملف أعود بالقارئ العزيز إلى ما سبق أن سجلته فى ملف الجامعة عن المفاجأة التى أصابتنى وصديقى المسيحى من صديقنا اليهودى اسحق منصور الذى فاجأنا بقرار هجرته إلى إسرائيل وكان ذلك عام ١٩٥٠ أى بعد إنشاء دولة إسرائيل بعامين - كانت هذه المفاجأة تعود إلى ذاكرتى باستمرار وأنا أتابع آثار ونتائج خلق دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى فلسطين.

ويحتاج موضوع اليهود فى مصر إلى أبحاث تاريخية تعود إلى زمن الخروج الأول لليهود من مصر من بنى إسرائيل مهاجرة بإيمانها بالنبى موسى وبالتوراة هرباً من فرعون مصر وجنوده بعد أن عاشوا سنين طويلة منذ يوسف الصديق.

هذه مقدمة يشاركنى فيها القارئ العزيز فى هذا الملف عن يهود مصر وتعبير يهود مصر، أدق تعبير فى رأى عن اليهود فى مصر، كما يؤكد لى تاريخياً القرآن الكريم فى آيات تشرح الديانة اليهودية. وجد اليهود الأجانب الذين وفدوا إلى مصر مع الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ولعلى لا أكون خاطئاً فى تفسيرى لهذه الظاهرة من ارتباطها بما سيحدث من ضغط اليهود على بريطانيا لتقوم بدورها بإنشاء كيان يهودى فى فلسطين، الأمر الذى يتحدث عنه كتابى هذا تحت عنوان إسرائيل منذ عام ١٨٩٧.

المهم أن اليهود الذين جاءوا مع الاحتلال البريطانى كانوا من اليهود الأشكيناز أى اليهود الأوروبيين الذين ينحدرون من قبيلة الخزر بشرق أوروبا التى اتخذت الديانة اليهودية بعد أن كانوا وثنيين بالإضافة إلى بعض هؤلاء اليهود الذين كانوا يقيمون فى حماية الخلافة الإسلامية فى مدن أزمير - إستانبول - سالونيك والتى من أبناء الأخيرة مصطفى كمال أتاتورك اليهودى الذى أسلم وكان بطل القضاء على الخلافة الإسلامية وأصبح رئيساً لجمهورية تركيا الحديثة التى مازلت تتمسك بمبادئ أتاتورك العلمانية حتى الآن.

كل هذه المعلومات فى رأى مهمة لبيان أصل يهود مصر الذين عاشوا فيها فى أمان على مدار السنين تحت حماية وجنسيات الأجانب وتمركزوا واستقروا فيما يعرف بحارة اليهود الشهيرة فى قلب العاصمة القاهرة (التي لم تعد كما كانت عليه من قبل)، واستطاعوا أن يصلوا إلى مناصب وزارية وعضوية البرلمان والكادر السياسى ومنهم أساتذة جامعات ومحامون مشهورون وفنانون وفنانات، وفى مجال المال والاقتصاد سيطروا وامتلكوا الشركات والمصانع والبنوك كما اشتغلوا بتجارة الذهب والعملة وكان أبرز نشاط لهم هو اشتغالهم فى بورصة القطن حيث كان ٩٠٪ من سماسة القطن فى البورصة من اليهود وكانت تجارة حرة فى مصر حتى عام ١٩٥٢.

وكانوا فى هذا النشاط يتعرضون لتيار مصرى وطنى ينافسهم فى هذه التجارة ومن المهم هنا أن نقول: إن سبب هذا النشاط اليهودى يعود إلى أيام حكم الخديوى إسماعيل حيث ظهرت الطبقة البرجوازية اليهودية فى الفترة التى تزايد فيها النفوذ الأجنبى فى مصر لعجز الخديوى عن تسديد ديونه للغرب، وبالطبع كانت وساطة اليهود من أجل حصول الخديوى على قروض جديدة من بيوت المال اليهودية فى أوروبا مقابل حصول اليهود على امتيازات تطلق يدهم فى التجارة الداخلية وجمع المال من المصريين وكانت الامتيازات هى الوسيلة التى حقق بها اليهود الثروات الطائلة بدون وجه حق، فقد منح الخديوى توفيق امتياز حق تقسيم لا يعنى الملكية - عموماً كان الامتياز يعنى تسهيل تجارة اليهود والسماح لهم بذلك.

وسمح موقف اليهود المالى فى تكوين طبقة من الأغنياء والأثرياء وفرضوا أنفسهم على حكام مصر وسيطروا على أشهر النوادى الموجودة ليس فقط فى القاهرة ولكن فى الإسكندرية أيضاً وباقى المدن الرئيسية الأخرى واستغلوا علاقتهم بالأسرة المالكة آنذاك التى تنحدر من الخديوى إسماعيل والخديوى توفيق التى كانت لهم صلة وثيقة بها كما ذكرت.

وأقاموا محلات تجارية تمتاز بالفخامة والشياكة وعرض المنتجات الأوروبية فى أضخم المباني وأهم وأفخر الشوارع والأحياء ولا زال حتى الآن وبالرغم من كل

الإجراءات التي اتخذتها الحكومات المصرية المتعاقبة من تأميم وتمصير ولازالت الأسماء التجارية لهذه المحلات موجودة وتلفت النظر حتى الآن مثل شيكوريل، شملا، عدس، ريفولى وأوروزدى باك (عمر أفندى).

ومن ناحية أخرى استمتع اليهود بمساحة الشعب المصرى (مسلمين ومسيحيين) فى حرية بناء المعابد اليهودية والمقابر فى كافة الأحياء بالقاهرة والإسكندرية وحرية إقامة الشعائر الدينية وإقامة صلاة السبت الأسبوعية والمناسبات الدينية وبحضرها الحاخامات اليهود والتي كانت تحظى باهتمام دولة إسرائيل بعد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ١٩٧٩ فكانت توفد الحاخامات منها فى المناسبات الدينية والأعياد لرئاسة الطقوس والشعائر كما يقوم أعضاء السفارة والقنصليات الإسرائيلية فى أداء المراسم الدينية خاصة فى أكبر وأهم معبد يهودى بالقاهرة وهو معبد عدلى ومعبد إياهو بالإسكندرية بالرغم من القلة القليلة من كبار السن اليهود الذين لم يغادروا مصر وهما أهم المعابد التى يصل عددها الآن نحو ١٦ معبداً بعد أن كان عددها نحو ٣٠ معبداً.

والغريب والعجيب ومما يؤيد وجهة نظرى أنهم ليسوا مصريين يهود ولكن يهود مصر فالأحداث التاريخية التى حدثت بعد عام ٤٨ خرج اليهود من مصر إلى أرض الميعاد كما تنادى الصهيونية العالمية فى فلسطين تحت علم دولة إسرائيل ليفرضوا أنفسهم ويقولوا للمصريين: إنهم شعب الله المختار!! .

ولا أستطيع أن أخفى مشاعرى بأن خروج اليهود سلالة بنى إسرائيل من مصر كان منذ أيام موسى خروجاً دينياً هرباً بدين اليهودية التى أنزلها الله فى الكتاب المقدس التوراة على النبى موسى لما حاربه الجيش المصرى برئاسة فرعون خرج اليهود إلى حيث أمرهم الله فكان هذا هو الخروج الأول وأؤكد أن هذا الخروج هو خروج دينى يؤمن به المسيحيون والمسلمون وأحب أن أسجل فى كتابى هذا أنه من المهم الرجوع إلى الدراسة التاسعة تحت عنوان كيف خرج اليهود من مصر القديمة والتى نشرت فى الجزء الثانى من موسوعة وصف مصر

التي صدرت من مكتبة الأسرة بمناسبة مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠٢ والتي كان لها أهمية عندى فقررت أن أشير إليها فى كتابى هذا لمن يريد من القراء أن يستزيد.

أما الخروج الثانى الذى نتحدث عنه فى كتابى هذا وهو خروج دنيوى لا علاقة له بالديانة اليهودية الحقيقية ويستقرون فى أرض غير أرضهم اغتصبوها بقوة الإمبريالية الغربية (أوروبا وأمريكا) واستحلوا فيها مهد السيد المسيح عليه السلام وأسروا فيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبليتين ومسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

بل أكثر من ذلك فقد تعاونت إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦، الأمر الذى أدى إلى تزايد حركة الخروج اليهودية من مصر تاركين ممتلكاتهم الشخصية حاملين ما خف حمله وغلا ثمنه.

فالعدوان الثلاثى كان يعتبر خطراً على اليهود أثناء وجودهم فى مصر لأن معظمهم كانوا يحملون جوازات سفر بريطانية وفرنسية، ويعتبرون ذلك رعايا دول العدو (بالضبط كما حدث للمؤسسات والبنوك البريطانية والفرنسية التى خضعت للتمصير والحراسة نتيجة العدوان) وبذلك يكون خروجهم بسبب العدوان خروجا دنيويا وهو المرحلة الأخيرة لإتمام الخروج الثانى ولم يبق منهم سوى بضع المئات التى انحصرت فى كبار المسنين والمسنتات وهكذا لم يغادروا فقط مصر كدولة ووطن ولكن غادروا ممتلكات من البيوت والقصور والمعابد والمقابر.

ولا يمكن لى أن أنهى هذا الملف دون أن أسجل أنه طبقاً لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ فهناك عشرات الألوف سنوياً من يهود دولة إسرائيل أى الإسرائيليون يزورون مصر وبمعاملة خاصة ولكن تنحصر زيارتهم إلى الجزء الشرقى من شبه جزيرة سيناء الذى يمتد إلى خليج العقبة حيث أصبح لإسرائيل - مع الأسف - ميناء إيلات أم رشراض المصرية سابقاً وقصة ذلك فى كتابى القادم إن شاء الله.

إن موضوع اليهود في مصر يحتاج إلى كتب وأرجو أن يعذرني القارئ العزيز في أنني حرصت ألا يصدر كتابي هذا دون الكتابة عن اليهود في مصر حتى ولو كانت في صفحات قليلة، وهناك مؤلفات كثيرة عن هذا الموضوع الهام.

وفي الختام أود أن أذكر في عجالة أن أحد المحامين المصريين وهو السيد الأستاذ الدكتور/ نبيل حلمي أستاذ القانون الدولي وعميد كلية حقوق جامعة الزقازيق ومعه فريق من الباحثين المتخصصين يقومون بدراسة اتخاذ الإجراءات القانونية ضد اليهود الذين خرجوا من مصر وأخذوا معهم ذهب المصريين وهو ما تجسد في قوله

تعالى في سورة طه : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُم عِجْلًا جَسَدًا لَهُم خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وهو الذهب نفسه الذي صنع منه السامري اليهودي العجل الذهبي الذي عبده اليهود أثناء تلقي موسى الوصايا العشر من رب العالمين ومن الغريب في هذا الموضوع أن هناك نصا توراتيا يقول لبني إسرائيل:

«إذا انصرفتم فلا تنصرفوا فارغين، بل تطلب المرأة من جاريتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وذهب ووثياباً تجعلوها على بنيكم وبناتكم، وتسلبون المصريين» (الإصحاح الثالث - سفر الخروج).

وترجع أهمية دراسة اتخاذ الإجراءات القانونية ضد اليهود لأن اللوبي الصهيوني لم يكتف من وقت لآخر بإثارة قضية تعويضات اليهود عن أملاكهم التي تركوها في مصر وقت رحيلهم في فترة الأربعينات والخمسينات من خلال بعض وسائل الإعلام العالمية - والتي يسيطرون على معظمها، بل إن هناك تحريضاً منظماً لبعض ورثة الأسر اليهودية الذين كانوا يعيشون في مصر والمقيمين في الخارج على رفع دعاوى قضائية أمام المحاكم الأمريكية لطالبة الحكومة المصرية برد ممتلكاتهم.. بل وصل الأمر أيضاً إلى سعى هذا اللوبي لإثارة بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي بربط المساعدات الأمريكية المقدمة إلى مصر بتعويضات اليهود!!

فها هو ذا الكونجرس الأمريكي يعقد تحت رعايته وبدعوة منه مؤتمراً في المستقبل عن «أحوال يهود مصر» على غرار مؤتمر «أقباط المهجر».

كما قامت لجنة الحريات الدينية بزيارة مصر عام ٢٠٠٤ ركزت ولأول مرة على «يهود مصر» وطلبوا زيارة معبد عدلى بعد ما زاروا معبد عزرا بمصر القديمة.. وأعجبهم كثيراً معبد عدلى.

ويقال: إن الهدف من زيارة هذه اللجنة أنها كانت تحمل ملفاً كاملاً عن أملاك اليهود بمصر وأماكنها.. وأنهم قدموا توصية بعودة هذه الأملاك لأصحابها بحجة أنهم تركوها في الفترة ما بين حربى ١٩٤٨ و ١٩٦٧؟

فضلاً عما تثيره جمعية «بروكلين» بالولايات المتحدة الأمريكية تسمى «الجمعية التاريخية لليهود فى مصر» ومنذ عام ١٩٩٦ م تقريباً يطالبون الطائفة اليهودية التى ما زالت فى مصر أن ترسل لهم جميع المقتنيات الموجودة لدى الطائفة كالأسفار والسجلات والمقتنيات القيمة التى توجد بالمعابد، لأنهم يعتبرون أن الطائفة فى طريقها للانقراض إلا إن هذه المطالب قوبلت برفض شديد من كل أعضاء الطائفة باعتبار أن كل التراث اليهودى الموجود فى مصر ملك للطائفة اليهودية ودائماً سيكون موجوداً فى مصر للحفاظ على هذه الممتلكات، وهذه الآثار تعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ مصر لأنه ليس هناك تعصب ضد اليهود فى مصر بالرغم من كل ما حدث وذلك لأن المصريين (مسلمين ومسيحيين) يحترمون الدين اليهودى ديانة سماوية والتوراة كتاب سماوى مقدس، أما الصهيونية التى تم إلصاقها باليهود فهى وافد غريبى لا علاقة له بالدين اليهودى.

وأخيراً لا أنسى أن أذكر وبكل أسف ورغماً عن نفسى أن أسطر الكلمات التى تهذى بها الصهيونية العالمية والتى تضعها فى صدر الكنيسست (البرلمان) فى دولة إسرائيل - هذه الكلمات التى أشعر بالضيق أن أسجلها فى كتابى هذا ولكن عذرى الوحيد هو تنبيه ولفت نظر أبناء مصر بل كل العرب.. هذه الكلمات المخزية هى (إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات) وواجب العرب جميعاً أن يحطموا هذا

الحلم على رؤوس الصهيونية العالمية ومن يساندهم فالذين يساندونهم هم أعداء العرب والإسلام منذ الحروب الصليبية.

ولا يفوتنى أن أسجل أنتى سمعت من كثير من الشخصيات أن دولة إسرائيل بعد معاهدة السلام واتفاقية كامب ديفيد اختارت حيا بالجيزة ليكون مقراً لها فى سفارتها فى مصر والسبب فى ذلك أن الجيزة فى غرب نهر النيل الخالد أما شرق النيل الخالد هو حسب زعمهم هى أرض إسرائيل الكبرى.. من النيل إلى الفرات وعجيبى!!

٢٣ - القدس

أعتقد أنني مثل غيري من أبناء مصر مسلمين ومسيحيين نسمع منذ صغرنا من آباؤنا وأجدادنا حب القدس وزيارتها وعندما يعود منها الحاج يطلق عليه المقدس سواء كان مسلماً أم مسيحياً، فبالنسبة للمسلم فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى في (سورة الإسراء):

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ .

وكان من عادة الأجداد والآباء أن يزوروا القدس بعد أداء فريضة الحج، فمن مكة ينتقلون إلى القدس ومن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكانت تستغرق الرحلة كلها من شهر رمضان إلى شهر ذى الحجة كل عام هجري.

وبالنسبة للمسيحي فالقدس هي مهد المسيح ومهد رسالته وعوده منها إلى السماء، ويؤدي من يستطيعون من مسيحيي مصر زيارة القدس ليحصل على لقب يتشرف به هو المقدس.

هكذا كانت القدس في خيالي وأنا صبي وشاب، كنت أحلم كأبائي وأجدادي بزيارة القدس، وظل هذا الحلم إلى الستينات حيث بلغت من العمر ما يقرب من الأربعين، وكنت عضواً في سفارة مصر بكابول من (١٩٦٥ - ١٩٦٧)، حيث كان المقرر أن أعود إلى الوطن في صيف ١٩٦٧، الأمر الذي قمت معه بترتيب رحلة العودة من كابول إلى القاهرة ماراً بطهران - القدس - القاهرة، لكن شاءت المقادير التي لا يعلم سرها إلا الله أن يبدأ صيف ١٩٦٧ في شهر يونيو ويقع في الخامس من هذا الشهر أخطر عدوان إسرائيلي منذ أن استولت على فلسطين عام ١٩٤٨، ففي الأيام الستة الأولى من شهر يونيو (من ٥ - ١١) استولت إسرائيل على بقية

الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) بما فيها مدينة القدس واستولت أيضاً على شبه جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية.

فلقد تغيرت رحلة العودة من كابول إلى القاهرة مروراً بببيروت فقط عاصمة لبنان انتظراً لإعادة فتح مطار القاهرة وهكذا ضاع الحلم.. حلم زيارتي للقدس.

أنتهز فرصة كتابي هذا كي أحدثك إلى قرائي عن معلوماتي وقراءاتي وذكرياتى عن القدس مع أمل جديد فى أن يحقق الله لى زيارة القدس، والصلاة فى المسجد الأقصى الأسير قبل الرحيل. إن تناول موضوع القدس يثير عدة أحداث كما يثير إشارات تاريخية لهذه المدينة المقدسة، وليس الغرض أو الهدف من تناول موضوع القدس فى كتابى هذا دراسة عميقة للجذور التاريخية والمشاكل التى مرت على هذه المدينة ولكن الأمر يقتضى أن يتناول كتابى هذا رؤوس موضوعات رأيت أهمية عرضها والإشارة إليها حتى ولو ذكرتها دون مراعاة الظروف التاريخية والمناسبات التى تثيرها الأحداث، وسيكون منهج تناولى ما رأيت أن يكون مفيداً للقارئ العزيز دون الرجوع إلى القدس تحت حكم روما أو بريطانيا.

فالقدس من أشد القضايا حساسية فى الصراع العربى الإسرائيلى وأكثرها إثارة للنزاع نظراً لما تتمتع به المدينة من أهمية دينية بالغة بالنسبة للمؤمنين من أتباع الديانات التوحيدية فى العالم، فهى من أقدم المدن العالمية وهى ملتقى الحضارات والأديان ووجهة الحجاج والقاتحين خاضت معارك كثيرة، كل يحاول السيطرة عليها، ومنذ القرن التاسع عشر والمدينة هدف مطالبات متضاربة من قبل الفلسطينيين واليهود مما جعل المدينة تكتسب بعداً سياسياً إضافة إلى البعد الدينى.

ولست هنا مؤرخاً لمدينة القدس، ولا حتى لتاريخ الصراع الشرقى والغربى على هذه المدينة، فهناك كثير من الأقلام والكتب والمراجع التى تناولت هذا الموضوع، كل من وجهة نظره، وحسب معتقداته، ولكنى أشير إلى مجموعة من النقاط المهمة التى وصلت إليها بعد أن بلغت من الكبر عتياً و تجاوزت ثلاثة أرباع القرن.

أول ما أود أن أشير إليه أنه إذا كانت القدس بها أماكن تخص أدياناً مختلفة فليس من المقبول نسبة القدس إلى دين معين، وإنما تنسب إلى الأرض أو البلد الموجودة عليها فهي أرض فلسطينية عربية تماماً كما هو الحال بالنسبة لمكة، فمكة بها الكعبة قبلة المسلمين، فلا يمكن أن نقول أن مكة مسلمة ولكنها عربية بصفتها جزءاً من شبه الجزيرة العربية، ولا يمكن لأى مسلم فى العالم أن يطالب بها لأنه ليس عربياً، فالعواصم الدينية هي قبلة المتدينين وليست ملكهم، يحجون إليها ولكن ليس من حقهم أن تكون ملكاً لهم، وهذه العواصم تأخذ جنسية الأرض والدولة التي هي فيها.

فتح المسلمون مدينة القدس سنة ١٥ هجرية ٦٣٦ ميلادية بقيادة عمرو بن العاص، وقام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بزيارة القدس وتم أثناءها توقيع معاهدة السلام بين عمر والمسيحيين فى المدينة التي عرفت بالعهد العمرى، وقد نصت على:

«إعطاء أهل إيلياء (اسم القدس قديماً) الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتهم، فلا تهدم كنائسهم ولا يفتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا يكره المسيحيون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود (كما اشترط المسيحيون) وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء أن يسر بنفسه وماله من الروم ويخلى بينهم كنائسهم وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم.. من كان فيها من أهل الأرض (الزراع) فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية»، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيئاً حتى يحصدوا حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب من عهد الله، وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية»..

كُتِبَ سنة ١٥ هجرية - ٦٣٦ ميلادياً...

وقد شهد على هذه الوثيقة.. أو هذا العهد العمرى أربعة من الصحابة - خالد بن الوليد - وعبد الرحمن بن عوف - وعمرو بن العاص - ومعاوية بن أبي سفيان، ولم يأت ذكر لليهود فى العهدة العمرية.

وقد قام عمر بن الخطاب بزيارة كنيسة القيامة ورفض الصلاة بداخلها عندما حان وقت الصلاة وصى خارجها حتى لا يصير ذلك سنة بين المسلمين، وهذا الموقف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالنسبة لكنيسة القيامة التى ظلت كما هى قائمة إلى وقتنا الحاضر - آثار ذلك فى نفسى ذكريات عن زيارتى لمدينة إستانبول. وللقارئ العزيز أن يرجع إلى صفحات كتابى هذا التى ذكرت فيها ما قام به السلطان محمد الفاتح نحو كنيسة أيا صوفيا - كما شرحته بملف العمل الدبلوماسى فى تركيا فى صدر كتابى هذا.

وفى العهد الأموى تم بناء مسجدين المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وهنا يجب أن نؤكد على الفارق بينهما لأن كل وسائل الإعلام تقريباً تظهر مسجد القبة على أنه المسجد الأقصى وإسرائيل من وراء هذا و تؤكد لدرجة أن وسائل الإعلام الإسلامية حتى الفلسطينية تقع فى نفس الخطأ ولذلك يهمنى أن أسجل فى كتابى هذا نص ما نشرته أخبار الكتاب التى تصدر عن اتحاد الكتاب العدد ٤٧ الصادر فى يوليو ٢٠٠١ م.

عندما صدر العدد رقم (٤٥) من النشرة حاملا صورة ملونة لمدينة القدس على غلافه مأخوذة من الطائفة، أرسل لنا السفير فتحى جويلى عضو الاتحاد رسالة قصيرة جاء فيها: أترك لكم هذه الرسالة تعليقا على غلاف العدد ٤٥ مايو ٢٠٠١ حيث بهذا الغلاف صورة للقدس، وتظهر فقط مسجد قبة الصخرة، وليس بها صورة المسجد الأقصى المبارك وهو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم. لذلك يهمنى أن أرفق مع هذه الرسالة ثلاث نسخ من صورة القدس وتحتوى على المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصخرة بالإضافة إلى كنيسة القيامة، وهى صورة فنية أهدتنى إياها السيدة الفاضلة سهاد قليبو ابنة القدس والتى تهتم بتصحيح ما ينشر عن القدس وما به من مقدسات إسلامية ومسيحية.

بهذه المناسبة فإن المجلة تنشر فى عددها رقم ٤٧ معلومات عن المقدسات الإسلامية فى مدينة القدس، مأخوذة من موقع www.geocities.com على الإنترنت الذى يهتم بمدينة القدس ومقدساتها الإسلامية.

الحرم القدسى الشريف:

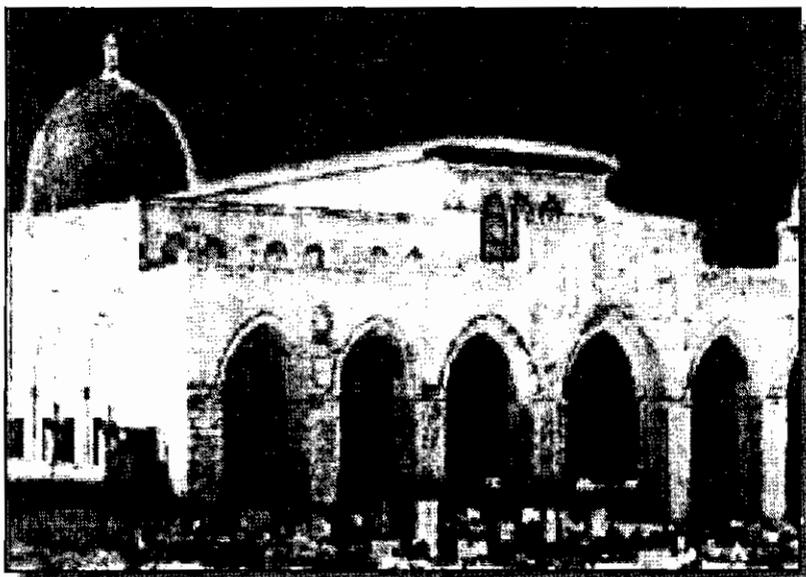
يطلق اسم المسجد الأقصى على الحرم القدسى الشريف كله بما فيه من منشآت أهمها مسجد قبة الصخرة ومبنى المسجد الأقصى المبارك. عليه فإننا عند الحديث عن المسجد الأقصى كبقرة رئيسية لمدينة القدس فإننا نعى بذلك الحرم القدسى الشريف بكافة عناصره ومبانيه بما فيها مسجد قبة الصخرة ومبنى المسجد الأقصى ضمن المساحة الكاملة داخل أسوار الحرم القدسى الشريف والبالغة مائة وأربعمائة وأربعين دونما تقريبا، وتقدر بحوالى ٢٥٪ من مساحة البلدة القديمة بالقدس والبالغة حوالى كيلو متر مربع فى الناحية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس التى يحيطها أحد عشر بابا، منها سبعة أبواب للحرم القدسى الشريف سور حجرى يشتمل على أربعة عشر بابا منها عشرة أبواب مفتوحة وأربعة مغلقة.

أما البوابات المفتوحة فهى: باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء، باب الغوانمة، باب الناظر، باب الحديد، باب القطنين، باب المتوطأ، باب السلسلة، وباب المغاربة.

أما الأبواب المغلقة فهى: باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، وباب اليراق.

ويتصل الحرم القدسى بباقي أجزاء المدينة بطرق تتوزع من أبواب الحرم الشريف العشرة وتمتد بين أجزاء المدينة ذات الوظائف المختلفة، وتكثر آبار المياه العذبة فى ساحات الحرم حيث يبلغ عددها ٢٥ بئرا منها ثمانى آبار فى صحن الصخرة المشرفة، وسبعة عشر فى فناء المسجد الأقصى المبارك وفى موقع متوسط بين مبنى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، كما يوجد عدد من الأسبلة لشرب المياه فى مواقع متفرقة أكبرها: سبيل قايتباى، سبيل شعلان، سبيل باب الحيس، سبيل البديرى.

وللحرم الشريف أربعة مآذن وهى: مئذنة باب المغاربة، ومئذنة باب السلسلة، ومئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب الأسباط. ويوجد فى الحرم القدسى الشريف عدة قباب وهى: قبة السلسلة، وقبة المعراج، وقبة محراب النبى، وقبة يوسف، وقبة الشيخ الخليلى، وقبة الخضر، وقبة موسى، وقبة سليمان، والقبة النحوية.



صورة للمسجد الأقصى

أما المساطب فقد أعدت للتدريس فى الصيف، ومنها: مسطبة علاء الدين البصرى، ومسطبة الكرك، ومسطبة العشاق ويوجد فى الطرفين الآخرين من الحرم القدسى أروقة وهى: الرواق الممتد من باب المحطة إلى باب شرف الأنبياء، الرواق المحاذى لباب شرف الأنبياء، الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ورواقان فوقهما مستجدان، الأروقة الخلفية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة، الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر، الرواق الممتد من

باب الناظر إلى باب القطنين، الرواق الممتد من باب القطنين إلى باب السلسلة، الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة.

وفى الحرم الشريف مزولتان شمسيتان لمعرفة الوقت، واحدة غربية رسمها مفتى الشوافعة محمد طاهر أبو السعود على جدار مسجد الصخرة من الناحية القبليّة إلى الغرب، والثانية رسمها المهندس المقدسي رشدي الإمام على واجهة المقطرة الجنوبية إلى الغرب تجاه مبنى المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى

يطلق اليوم اسم المسجد الأقصى على المسجد القائم في الناحية القبليّة من الحرم، إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة، ويبلغ طول المسجد الأقصى من الداخل حوالي ثمانين مترا وعرضه خمسة وخمسون مترا، ويوجد للمسجد الأقصى أحد عشر بابا، سبعة منها في الشمال واثنان في الغرب وواحد في الشرق وآخر في الجنوب، وقد بناه الخليفة الأموي عبد الله بن مروان عام ٧٠٥ ميلادي.

وللمسجد الأقصى في الداخل ٥٣ عمودا من الرخام ١٤ منها في الرواق الأوسط و ١٢ عمودا في الأروقة الثلاثة الشرقية و ٨ تحت القبة و ١١ في جناح القبة من الشرق و ٧ في جناحها من الغرب وواحد في مقام الأربعين. والأعمدة مصنوعة من الرخام مختلف الألوان وارتفاعها خمسة أمتار وقطرها في قسمه الأعلى ثلاثة وأربعون سم، والأسفل اثنان وخمسون سم، وهناك فوق الأعمدة أقواس حجرية. يتكون المسجد من سبعة أروقة ثلاثة في الشرق وأخرى مثلها في الغرب وواحد يتوسطها في الوسط، ويقع في صدر المسجد القبة والتي ترتفع ١٧ مترا عن الأرض وهي مغطاة بالنسيفساء الجميلة والتي تضم مظهرا جميلا من مظاهر الفن.

وللقبة قشرتان، القشرة الداخلية وهي المغطاة بالنسيفساء، والقشرة الخارجية وهي عبارة عن ألواح خشبية مصفحة من الخارج بالرخام. أما رقبة القبة، وهي القسم الأسطواني القائم بين القبة نفسها والأقواس التي ترتكز عليها، وفوق الرقبة تقوم القبة، وهي قائمة على أربعة أقواس يرتكز كل ركن من أركانها الأربعة على عمودين من الرخام، وأسطوانة مربعة مكسوة أيضا بالرخام. وتحت القبة وفي أقصى المسجد من الجنوب هناك محراب كبير كان يسمى فيما مضى بمحراب داود

ويطلق اليوم عليه محراب عمر، وفي صدر المسجد من الغرب هناك محراب آخر يدعى محراب معاوية، وفي داخل المسجد عند زاويته الجنوبية الشرقية جامع متصل به ويسمى جامع عمر وهو مستطيل الشكل ويقال: إنه من بقايا البناء الذي أقامه الخليفة عمر رضى الله عنه.

وجامع عمر هذا معقود بالحجارة والكلس ويبلغ طوله ثلاثين متراً وعرضه ثمانية أمتار وفيه محراب صغير وحول المحراب أربعة أعمدة صغيرة اثنان منها ملتويان وإلى الشمال من جامع عمر إيوان كبير يسمونه مقام عزيز أو مقام الأربعين وفيه محراب.. وإلى الشمال من مقام عزيز إيوان صغير وجميل فيه محراب زكريا طوله ستة أمتار وعرضه خمسة أمتار. وفي الجانب الجنوبي الغربي جامع آخر يسمونه جامع النساء وهو عبارة عن عشر قناطر قائمة على تسع أصوار فى غاية الأحكام. وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة، كل قنطرة منها تنتهى عند باب من أبواب المسجد السبعة. وفي المسجد الأقصى مائة وسبع وثلاثون نافذة منها سبع نوافذ فى القبة وهى كبيرة صنعت من الزجاج الملون وينفذ منها ضوء ضئيل، وهناك ٤٢ نافذة فى الرواق الأوسط نصفها تطل على الرواق الشرقى ونصفها الآخر على الرواق الغربى، والنور ينفذ منها كلها وذلك لأن الرواق الأوسط أعلى من الرواقين الغربى والشرقى، وهناك ٤٣ نافذة فى حائط المسجد الأقصى الشرقى، ٢٤ منها زجاجها ملون، و ١٠ منها من غير زجاج كى ينفذ منه الضوء، وهناك ١٤ نافذة فى الحائط الغربى، اثنتان كبيرتان ينفذ منهما الضوء و ١٢ نافذة بالزجاج الملون، وهناك ١٦ نافذة فى الحائط الشمالى كلها مصنوعة من الزجاج الملون، و ٢٤ نافذة فى الحائط الغربى، ٢٢ منها بالزجاج الملون.

المسجد الأقصى القديم

ويوجد تحت المسجد الأقصى بناء يسمى الأقصى القديم، وهو عبارة عن دهليز واسع وطويل يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة بعضها أسطوانى والبعض الآخر مربع الشكل.. وهناك إلى جانبه دهليز آخر يسمى إسطنبول سليمان

وهو واقع تحت الجزء المرصوف من أرض الحرم شرقى المسجد الأقصى وجزء منه يقع تحت المسجد الأقصى نفسه.

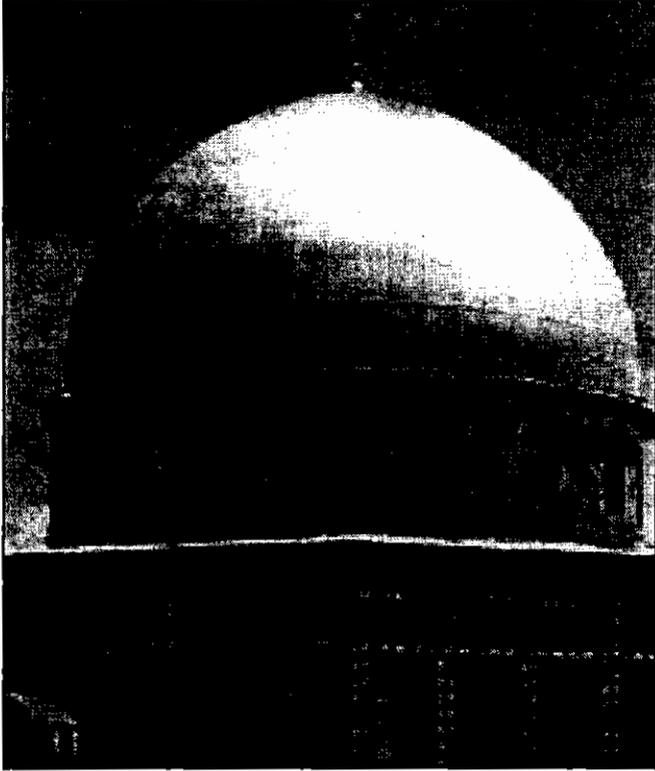
مسجد قبة الصخرة

يقوم بناء مسجد قبة الصخرة فى وسط الحرم القدسى الشريف ، ويعد من أبرز معالم ساحة الحرم ، وقد بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٦٨٨ للميلاد ، حول الصخرة المشرفة الواقعة على صحن مرتفع فى ساحة الحرم القدسى الشريف ، وانتهى بناء المسجد عام ٦٩١ للميلاد وكان الهدف من بناء القبة هو مواجهة روعة الكنائس فى القدس فتتضاءل أمام عظمتة روعة كنيسته القيامة . ويقوم المسجد فى وسط بناء مربع الشكل والبناء قائم على تل مرتفع فى وسط الحرم ومفروش بالبلاط الأبيض ، وهو فناء الصخرة الذى يسميه عامة الناس سطح الصخرة ، وطوله من الشمال إلى الجنوب ٢١٩ ذراعاً ومن الشرق إلى الغرب ٢٢٣,٥ ذراع ، ويبلغ ارتفاعه ١٢ ذراعاً يرقى إليه بمراق متعددة ، فى أعلى كل مرقاة منها قنطرة قائمة على أعمدة من الرخام ، ويحيط بالقبة المشرفة تسع مراق لها ثمان قناطر ومرقا بدون قنطرة.

قبة الصخرة بناء مئمن الأضلاع ، أربع جهات منها تقابل الجهات الأربع وبها المداخل الأربعة ، يتوسط البناء الصخرة المشرفة . وترتفع الصخرة المشرفة نحو متر ونصف المتر عن سطح البناء وبمعدل أبعاد ١٣ × ١٨ متراً يحيط بها قبة دائرية مكونة من أربعة أكناف دائرية مكسوة بترابيع الرخام بين كل اثنين منها ثلاثة أعمدة من الرخام الملون تحمل ستة عشر قوساً مكسوة بالرخام الأبيض والأسود وفوق الجزء الدائرى قبة مكسوة بالفسيفساء بأشكال زخرفية قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة يغلب عليها اللون الأخضر والأزرق والذهبي ، كما تحوى قطعاً صدفية ، وبهذه الرقبة ستة عشر شباكاً من الجص والزجاج الملون من الداخل ، ومن الخارج بلوكات من القيشانى المزخرف بفتحات دائرية .

ويعلو هذه الرقبة قبتان داخلية وخارجية ، الداخلية من الخشب مكسوة بالرصاص ، وفى أول عهدها كانت مكسوة بالرصاص ، وفى أول عهدها كانت

مكسوة بالنحاس المذهب، وهى حالياً قبة معدنية مكسوة بألواح الألمنيوم ذهبى اللون، والمسافة بين القبتين تبلغ متراً واحداً، ويبلغ قطر القبة حوالى عشرين متراً، وارتفاع قمتها عن الأرضية خمسة وثلاثون متراً يعلوها هلال، وطول القبة أربعة أمتار ونصف.



صورة مسجد القبة

وبين الجزء الدائرى من المبنى والمثلث الخارجى مئمن أوسط يتكون من ثمانى دعامات مكسوة بالرخام المعرق وستة عشر عمودا رخاميا ملونا، بين كل دعامتين عمودان، ويعلو الدعائم والأعمدة عقود مكسوة بكاملها بالفسيقساء تحوى على

الوجهين شريطا من الكتابات بالخط الكوفى ، وبين العقود شدادات خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش بارزة مذهبة ، والحوائط الخارجية مكسوة من الداخل بشريط علوى من الرخام المحفور ومن أسفله بكامل الواجهات رخام معرق ذو اللونين الأبيض والرمادى مجمع بطريقة هندسية.

أما من الخارج فالرخام يكسو كل واجهة من واجهات المثلث حتى منتصف الارتفاع والنصف قبل ذلك مكسو بالفيسفساء ذات الزخارف النباتية وفى كل واجهة سبع حفايا ، خمس منها مفتوحة بها شبابيك جصية مع الزجاج الملون وبالكونات القاشانى من الخارج. ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع المثلث ٢٠ متراً تقريبا وارتفاعه ١٢ مترا ، نصف الارتفاع السفلى مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل ، ونصفه العلوى معشق بترايبع من القيشانى الأزرق ، وقد كتبت عليه سورة يس بالأبيض ورقبة القبة مكسوة من الخارج بترايبع القيشانى المزخرف ، وفى أعلاه شريط كتانى يحوى سورة الإسراء. ويبلغ مجموع عدد الأعمدة فى المبنى أربعين عمودا وللمبنى أربعة أبواب خارجية كبيرة ومزدوجة ، مصنوعة من الخشب ومكسوة بصفائح النحاس ، الشخص الداخلى إلى المسجد من أى باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما داخل المبنى من أعمدة ودعائم لا يحجبها عنه حاجب ، وفى مسجد قبة الصخرة ستة وخمسون شبাকা ، أربعون ينفذ النور منها ، وستة عشر لا ينفذ منها الضوء ، وفوق كل واحد من الشبابيك غير النافذة نقشت سورة من سور القرآن الكريم.

الصخرة

هى عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر تقع تحت القبة فى وسط المسجد ، طولها من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٨ مترا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالى أربعة عشر مترا ، وأعلى نقطة فيها مرتفعة عن الأرضية نحو متر ونصف ، وحولها درابزين من الخشب المنقوش والمدهون ، وحول هذا الدرابزين مصلى للنساء وله أربعة أبواب ، يصل بينه وبين مصلى الرجال سياج من الحديد المشبك.

المغارة

وتقع تحت الصخرة، وينزل إليها من الناحية الجنوبية بإحدى عشرة درجة، وشكلها قريب من المربع وطول كل ضلع حوالى أربعة أمتار ونصف، ولها سقف ارتفاعه ثلاثة أمتار، وفي السقف ثغرة اتساعها متر واحد وعند الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين.

أجمع العديد من الباحثين والدارسين أن بناء قبة الصخرة آية فى الجمال، ومن أجمل المباني فى جميع العالم، كما أنها أقدم أثر إسلامى فى تاريخ العمارة الإسلامية، وهو ما حدا بالعديد من الخبراء والمهتمين بالإشادة بروعة وجمال ودقة بنائه، إنه أعظم بناء يستوقف النظر، إن روعته وجماله لا يصل إليه خيال إنسان.

كنيسة القيامة

وفى موقع www.eljazeera.net جاء عن كنيسة القيامة: تعتبر كنيسة القيامة التى بنتها الملكة (هيلانة) عام ٣٢٥م من أهم الأماكن المقدسة للديانة المسيحية فى مدينة القدس. ويأتى القبر المقدس كثنائى أشهر أماكن المسيحية فى القدس، يضاف إلى ذلك عدة كنائس لكل منها ذكرى دينية مثل كنيسة السيدة العذراء فى جبل الزيتون، وكنيسة مار يوحنا خارج كنيسة القيامة، وكنيسة الملك ميخائيل الملاصقة للقبر المقدس. أما الأديرة فأشهرها دير السلطان، ودير مار أنطونيوس شمال شرقى كنيسة القيامة، ودير مار جرجس فى حارة الموارنة.

وبالنسبة للمدارس المسيحية المهمة توجد المدرسة القبطية فى القدس، ثم كلية الشهيدة دميانة للبنات التى تقدم خدماتها التعليمية حتى المرحلة الثانوية. ولقد أثارنى ما قامت به السيدة سهاد قليبو وهى سيدة فلسطينية تعيش فى أوروبا من طباعة صورة تجمع المسجد الأقصى وكنيسة القيامة كرمز لمدينة القدس ومزينة بالنص الكريم عن إسراء الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الأقصى، والآية الثانية عن بشرى ميلاد المسيح عليه السلام كما يتضح من الصورة.



صورة تجمع المسجد الأقصى وكنيسة القيامة كرمز لمدينة القدس

حائط البراق

يطلق اليهود على حائط البراق - هذا الأثر الإسلامي - حائط المبكى وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى، حيث سمح لليهود فى العهد العثمانى إقامة شعائرهم، ثم ادعى اليهود بعد ذلك أنه حائط يهودى قديم وأطلقوا عليه حائط المبكى منذ ١٩٣٢، بل واعتبروه دليلاً على وجود هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى، وقد نشأ صراع بين اليهود والمسلمين على هذا الحائط منذ زمن، وقد قضت عصبة الأمم (التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨) آنذاك بعد تشكيل لجنة دولية للتحقيق مكونة من هولندى - وسويدي - ونمساوى وبعد أن استمعت إلى أقوال اليهود والفلسطينيين والاطلاع على المستندات التي قدموها أصدرت فى عام ١٩٣٠ تقريرها المتضمن:

أن ملكية الحائط والرصيف الكائن أمامه تعود للمسلمين وحدهم باعتبارها من

الأوقاف الإسلامية ولكن بعد احتلال إسرائيل للقدس عام ١٩٦٧ فرضت تحويله إلى حائط المبكى.

القدس فى قرار التقسيم

قضى القرار ١٨١ لعام ١٩٤٧ (قرار التقسيم) بأن تكون القدس مدينة دولية تابعة لمجلس الوصايا باعتبار المدينة ذات كيان منفصل خاضع لنظام إدارى دولى خاص تحت إشراف الأمم المتحدة، حيث يقوم مجلس الوصايا بتعيين الحاكم العام لمدينة القدس، وقد جاء القرار محدداً لحدود المدينة، بل ورافق هذا القرار الخرائط الموضحة لحدود مدينة القدس وطبيعة الحاكم والموظفين والإداريين مراعيًا تعدد الجنسيات، بل وحدد إنشاء شرطة خاصة يجند أفرادها من خارج فلسطين بهدف حماية المدينة، ولم يتم تفعيل ذلك من قبل الأمم المتحدة حتى الآن.

القدس عاصمة موحدة لإسرائيل

وفى عام ١٩٦٧ حدث تغير جذرى حيث احتلت إسرائيل القدس كاملة وأعلنت توحيد القدس الشرقية والغربية حيث كانت إسرائيل قد بنت مدينة على خط الحدود الفاصل منذ ١٩٤٨ أطلقت عليها القدس الغربية عام ١٩٥٠، وفى عام ١٩٦٧ بعد احتلالها للقدس العربية رفعت السلك الشائك سلك الحدود، وأقامت عليه طريقاً عاماً يربط بين القدس العربية والقدس الغربية التى بنتها إسرائيل وأعلنت كذباً أنه تم توحيد القدس الشرقية العربية والقدس الغربية الإسرائيلية أطلقت عليها القدس الموحدة عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التى فى ادعاءاتهم تعود إلى ثلاثة آلاف سنة كما ينسبون حكم ومملكة داود وابنه سليمان إلى اليهود، مع أن الحقيقة التاريخية التى تثبتتها خريطة نسب الأنبياء عليهم السلام تقول إن داود وسليمان هما اللذان انفردا من بين الأنبياء جميعاً بأن آتاها الله النبوة والملك.

وبعد ذلك طالبت إسرائيل الدول الأجنبية بنقل سفاراتها من تل أبيب (عاصمة إسرائيل السابقة) إلى القدس العاصمة الموحدة الإسرائيلية الأبدية بالرغم من أن قرار

مجلس الأمن رقم (٢٤٢) الذى صدر بعد عدوان ١٩٦٧ قد نص صراحة فى أحد بنوده بمطالبة الدول بعدم نقل سفاراتها إلى القدس.

ورغمًا عن هذا استجاب لهذا النداء الإسرائيلى فوراً دولة كوستاريكا ودولة السلفادور من دول أمريكا اللاتينية بنقل سفارتهما، من تل أبيب إلى القدس، أما الولايات المتحدة الأمريكية فبعد اعترافها بأن القدس الموحدة عاصمة لدولة إسرائيل فى إبريل ١٩٩٠م قرر الكونجرس الأمريكى قراراً بشأن نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥، لكن الإدارة الأمريكية تؤجل تنفيذ ذلك حتى الآن بحجة اختيار الميعاد المناسب، هذا وقد قامت كوستاريكا والسلفادور مؤخراً بإغلاق سفارتهما فى القدس وإعادةتهما إلى تل أبيب استجابة لضغوط عربية على الدولتين، ومن ناحية أخرى قامت إسرائيل بعد إعلان القدس الموحدة عاصمة لها طالبت بضم مدينة القدس للتراث العالمى بصفتها عاصمة لإسرائيل بعد أن وقعت إسرائيل اتفاقية اليونسكو عام ٢٠٠٠ لحماية التراث العالمى، فى الوقت الذى ينص فيه المادة (١١) من ميثاق اليونسكو بأنه لا يمكن ضم أثر محتل إلى قائمة التراث العالمى، فضلاً عن تعرض الآثار والمقدسات الدينية فى القدس لخطر الهدم والقناء بسبب الممارسات الإسرائيلية، وقد وجه وزراء الثقافة العرب رسالة لليونسكو فى مؤتمر هلسنكى بطلب رفض القائمة الإسرائيلية والحفاظ على الهوية العربية للممتلكات الإسلامية والمسيحية فى القدس مما أدى إلى إعادة نظر اليونسكو للقائمة الإسرائيلية والتي تحتوى على الآثار والمقدسات العربية والإسلامية والمسيحية، وتستغل إسرائيل هذه الآثار العربية إسلامية ومسيحية فى الدعاية الإسرائيلية السياحية فى كافة عواصم العالم على أساس أن هذه الآثار هى آثار تتبع دولة إسرائيل لإعطاء انطباع للعالم أن القدس إسرائيلية بما فيها المقدسات العربية الإسلامية أو المسيحية، وتوزع إسرائيل نشرات سياحية مصورة على كافة المكاتب السياحية فى العالم، وتزين إسرائيل هذه النشرات بنجمة داود.

حريق المسجد الأقصى

ومن أهم الذكريات وأشدّها خطورة على المستقبل القريب والبعيد وأعمقها أثراً في نفوس أكثر من ألف مليون إنسان مسلم - وقد يمتد الأثر النفسى إلى ألقى مليون إنسان من المسيحيين أيضاً - إذا ما تأكدوا هم أيضاً من خطورة الدوافع والنوايا التى كانت وراء قيام عناصر صهيونية بإشعال حريق فى المسجد الأقصى فى مدينة القدس التى هى أولى القبلتين وثالث الحرمين للمسلمين ومسرى الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتى هى أيضاً قبلة المسيحيين منذ ميلاد المسيح عليه السلام، ولقد وقع هذا الحدث الخطير يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ أقول كان رد الفعل الإسلامى هو الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ فى الرباط عاصمة المملكة المغربية لإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى كنقطة انطلاق فى العمل الإسلامى المشترك فى شتى المجالات على المستوى الدولى وإنشاء لجنة القدس.

محاولة هدم المسجد الأقصى

تقوم إسرائيل بأعمال الحفر تحت المسجد الأقصى بادعاء البحث عن أطلال هيكل سليمان المزعوم، مما قد يؤدى إلى انهيار المسجد كما تم زرع متفجرات فى أنفاق المسجد بهدف إحداث زلزال صناعى، وقد ارتبط ذلك فى ذهنى بالصور الأوروبية المسيئة للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وما أحدثه من رد الفعل الإسلامى، تساؤلات عديدة فى ذهنى أهمها التساؤل عن الأيدى الخفية والعقول المدبرة لهذا العمل غير المسبوق وأتساءل هل يا ترى يمكن أن يكون هذا التصرف الأوروبى - ومن يكون من وراءه من الصهاينة - نوعاً من أنواع الاختبار (جس النبض) لرد الفعل الإسلامى فى حالة المساس والتعدى على المقدسات الإسلامية معتقدات كانت أو أشخاصاً أو أماكن؟.

فهل يا ترى تدرك الصهيونية العالمية رد الفعل الإسلامى إذا أقدمت على هدم المسجد الأقصى؟ أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - بزعم وبحجة باطلة تقول: إن المسجد بنى على أطلال الهيكل

المزعوم، وفي هذا افتراء من إسرائيل على التاريخ، فلقد سبق أن أوروبا الموحدة القوية لم تجرؤ خلال الحملات الصليبية التي استمرت قرنين من الزمان على المساس بالمسجد الأقصى برغم بقائه أسيراً في يد الصليبيين ما يقرب من قرنين (١٠٩٩ - ١١٨٧م) حيث استرد مدينة القدس صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م - ٦٩١ هـ في موقعة حطين وظلت حتى عام ١٩٦٧ تحت الحكم العربي الإسلامي كما كانت، والغريب أن أوروبا تحتفل بمرور ٨٠٠ سنة على القائد الصليبي المهزوم وهو ريتشارد قلب الأسد، ونحن نغير اسم قلعة صلاح الدين إلى قلعة محمد علي، وننسى أن هناك قلعة أخرى بناها صلاح الدين الأيوبي بهدف تحرير القدس في سيناء وربما لا يعرف أحد شيئاً عنها .

ممتلكات الكنيسة المصرية بالقدس

تمتلك الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية الشرقية المصرية في القدس .

الدير الكبير: يطلق عليه دير مارانطونيوس.

دير مارجرجس: يطلق عليه دير الخضر عليه السلام.

فندق الأقباط: بنى في عام ١٨٣٧م لاستقبال الحجاج المصريين كل عام .

كنيسة الجسمانية: أو كنيسة قبر العذراء، حيث يقيم فيها المسيحيون المصريون

صلواتهم من ٧ - ٢٢ أغسطس من كل عام.

كنيسة المهدي بيت لحم: للمسيحيين المصريين في هذه الكنيسة حق إقامة

الصلوات عشية عيد الميلاد من كل عام وكذا في كنيسة القيامة.

كنيسة الصعود: ويصلى فيها المسيحيون المصريون صباح عيد الصعود من

كل عام.

دير السلطان: وهو الدير الوحيد بين الأديرة المسيحية المصرية التي له اسم

إسلامي الصيغة، ويرجع ذلك غالباً لأحد أمرين: أحدهما أن بناء هذا الدير

أو موضعه كان هبة من أحد السلاطين (قيل إنه صلاح الدين الأيوبي)، أو أن

السلطان اتخذه مكاناً لإقامة عماله بالقدس أو لمبعوثيه الذين كانوا يوفدهم إلى

الأقطار التابعة له كالشام.

وعلى أثر العدوان الإسرائيلي فى يونيو ١٩٦٧ واستيلاء إسرائيل على القدس قامت بتشجيع الرهبان الأحباش للاستيلاء على دير السلطان، الأمر الذى أدى إلى إخراج الرهبان المصريين منه وقامت الكنيسة المصرية بالإجراءات القانونية لدى المحكمة الإسرائيلية العليا لإثبات ملكية دير السلطان لجمهورية مصر العربية وقد تم الحصول على موافقة المحكمة، ولكن الحكم لم ينفذ حتى الآن نظراً للتعنت الإسرائيلي .

وتوالى وزارة الخارجية المصرية ونيافة الأنبا ابراهيم مطران القدس القبطى الحالى المطالبة بالحق المصرى المغتصب، وكل أملاك الأقباط بالقدس هى أملاك مصرية.

حوار زعيم الصهاينة

قرأت ما نشرته مجلة «المجلة» عن آراء مورتون كلاين زعيم الصهاينة فى أمريكا فهو الرئيس القومى للمنظمة الصهيونية فى واشنطن وملخص هذه الآراء كما ذكر بالنص فى المجلة :

- القدس التى يريدونها العرب عاصمة لدولتهم لا توجد لها أية إشارة فى القرآن.

- القدس كمدينة شىء آخر غير المسجد الأقصى.

- صحيح القدس كانت قبلة المسلمين الأولى.

- كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يحاول إقناع يهود المدينة باعتراف الإسلام وكان يشير إلى أن القدس هى قبلة المسلمين بهدف ترغيب اليهود فى الدخول إلى الإسلام، إلا إن يهود المدينة لم يقتنعوا بالإسلام بالرغم من أن القبلة كانت هى القدس فى ذلك الوقت.

القدس لم تكن عاصمة للدولة الإسلامية أو لأية خلافة إسلامية، صحيح أنها كانت ولا تزال مهمة للمسلمين ولكنها لم تكن عاصمة للمسلمين أو العرب.

العرب والمسلمون لم يطالبوا بالقدس عاصمة لهم ولم تكن عاصمة لهم خلال كل القرون.. لكن التاريخ يشهد بأنها كانت عاصمة لليهود.. النزاع على القدس

يجب أن يسمح حسب مقياس واحد وهو: من هو أول من سكن في القدس؟ والإجابة واضحة وهي أن اليهود الذين أسسوا القدس هم أول من سكنها منذ ثلاث آلاف سنة.

القدس مهمة للمسيحيين والمسلمين ولكنها لم تكن عاصمة لأى من هؤلاء إنها كانت عاصمة لليهود.. الخليفة عمر بن الخطاب زار القدس وتسلم مفاتيحها لكنه لم يجعلها عاصمة له بل كانت عاصمة لليهود عبر التاريخ ولا تزال.

كيف تكون القدس عاصمة لدولتين؟ هل هناك فى أى مكان بلد هى عاصمة لدولتين مستقلتين، خاصةً إذا كانتا لا تتقآن ببعضهما؟ هذا إذا افترضنا أن الضفة الغربية يمكن أن تكون دولة.

لماذا لا يترك العرب الأماكن المقدسة لليهود، وهم لديهم أماكن مقدسة كثيرة؟ ولماذا لا يترك العرب لليهود دولة يهودية هى إسرائيل وعندهم أكثر من عشرين دولة أعضاء فى الجامعة العربية.

وتعليقى على هذه الآراء أنها هى التى استخدمتها الصهيونية لإقناع الأمريكان بأحقية كون القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

وختاماً لهذا الملف (ملف القدس) أوجه نظر القارئ العزيز إلى دراسة بعنوان «وضع القدس» أعدتها اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه غير القابلة للتصرف وتحت إشرافها وطبعت الدراسة بمكتب الأمم المتحدة نيويورك ١٩٩٧ . وفى رأىى أن هذه الدراسة فى منتهى الأهمية بالنسبة للمهتمين بالقضية الفلسطينية.

كما أنه من المهم أن يعود القارئ العزيز إلى «موسوعة بيت المقدس» ٣٠ جزءاً التى ألفها المفكر الفلسطينى فؤاد إبراهيم عباس رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينى . وكذا كتاب «القرية الظالة» للمؤلف الدكتور محمد كامل حسين.

٢٤ - مولد سيدى (أبو حصيرة)

من أخطر الأحداث التى أثرت فى نفسى الاهتمام بمظاهر احتفال اليهود السنوى بمولد سيدى (أبو حصيرة) الذى يقال: إنه بدأ الاحتفال به منذ عام (١٩٣٢)، الأمر الذى لفت نظر شاب مثلى، حيث تأتى فى هذا المولد فى الوقت نفسه من كل عام النساء اليهوديات ضمن أفواج الحجاج اليهود كى يحتفلوا بمولد الولى اليهودى (أبو حصيرة)، ويتميز هذا المولد بالرقص والخمر والنساء الجميلات الأجنبية، مما كان يثير شباب دمنهور، حيث كان يسمح لهم بالدخول والمشاركة فى المولد آنذاك وكان ولا زال هذا الحديث حتى الآن.

وكان لا يشغلنى فى ذلك الوقت - كغيرى من شباب دمنهور - الاهتمام بالبحث عن هوية (أبو حصيرة)، وما وراء فكرة إقامة الاحتفال، وقدوم وفود الحجاج اليهود الأجانب إلى دمنهور، قدر التمتع أنا وغيرى من الشباب بالمشاركة فى الاحتفال بمولد (أبو حصيرة)، تماماً كما كنا نستمتع بالاحتفالات الإسلامية بالمشاركة فى مولد سيدى عطية أبو الريش وسيدى إبراهيم الدسوقى.

ولا يفوتنى فى كتابى هذا أن أبرز ضرورة الخوض فى (قصة أبو حصيرة) حيث اكتشفت بعد ذلك تعدد الروايات حول شخصية (أبو حصيرة) والخلاف الدائم حول هويته اليهودية أو الإسلامية، وفى الوقت الذى يؤكد اليهود فيه على أنه يهودى، وأنه ولى من أولياء الله، ويؤكد عدد غير قليل من المتخصصين أن (أبو حصيرة) شخصية عربية إسلامية جاءت إلى مصر عن طريق البحر وبيروون عن سفينته التى غرقت، ونجاته على حصيرة طفا عليها وأقام فوقها، وكانت هذه إحدى كرامته التى تأكدت - وفقاً للمفهوم الشعبى - بنبوءة له بموعد وفاته، أما بالنسبة لأهالى دمنهور (عاصمة البحيرة) فهناك روايتان كانت الألسنة تتناقلهما عن شخصية (أبو حصيرة)، تؤكدان أنه كان إسكافياً (أى يعمل بالأحذية)، لكنهما تختلفان فى هويته الدينية، فالأولى تقول: إنه كان يهودياً يدعى (يعقوب)، وكانت إقامته

بدمنهور، وتوفى فى أوائل القرن العشرين ودفن بجبانة اليهود (بدمتيوه) القرية المجاورة لدمنهور والتي بها ضريح (أبو حصيرة).

أما الثانية فتؤكد أنه ولى مسلم اسمه (محمد بن يعقوب)، كان فى طريقه من المغرب إلى مكة بهدف الحج، إلا أنه استقر بمصر أثناء رحلته، وبالتحديد فى دمنهور حتى مر به تاجر يهودى كان موجوداً فى دمنهور لتجارة القطن فداعبه بقوله: متى ستموت؟ أيها الرجل المبارك، فقال له غداً، وفى الصباح وجده الأهل ميتاً عند المنطقة التى يطلق عليها (كوبرى أبو الريش بدمنهور) قام التاجر اليهودى ببركات (أبو حصيرة) ودفنه على نقفته فى جبانة اليهود بدمتيوه التى تجاور مدافن المسلمين.

أما سر تسميته (أبو حصيرة) فلأن الرجل لم يكن يملك إلا حصيرة يجلس عليها ليل نهار، وينام عليها، كما زعموا أن تلك الحصيرة هى التى حملته من المغرب لمصر بعد غرق السفينة التى كانت تحمله قرب شواطئ الإسكندرية، وقد لوحظ أنه مكتوب على قبره باللغة العبرية (هنا قبر رجل صالح)، والأمر المؤكد فى جميع الروايات أنه كان رجلاً صالحاً، لكن الخلاف حول ديانته اليهودية أو الإسلامية.

إلا أن كل هذه الخلافات لم تدر ببالي وأنا شاب، ولم تكن لتشغلنى، وإنما كان يلفت نظرى كشاب فى ذلك الوقت ما فى مولد (أبو حصيرة) من طقوس «مخالفة للموالد الإسلامية» مثل الرقص والغناء والنساء الجميلات، دون البحث عن تفاصيل هوية (أبو حصيرة) الدينية.

استمرت قصة مولد (أبو حصيرة) فى ذهنى على هذه الصورة سنين طويلة، ولم يشغل بالى التفكير فى أى جديد عن هذه الحكاية، لكن مفارقات القدر أرادت أن تقاجتنى فى إحدى زيارتى نسقط رأسى دمنهور بعد بلوغى سن المعاش عام ١٩٩٠، حيث فوجئت بحركة أمنية غير عادية فى مدينة دمنهور، وعلى طول الطريق الزراعى (القاهرة - إسكندرية)، فتساءلت عن سبب هذه الإجراءات الأمنية المشددة، ففوجئت بالرد بأن فوج الحجاج اليهود الإسرائيليين قد بدأ يصل إلى دمنهور من أجل الحج لمقبرة الولى اليهودى (أبو حصيرة).

واتضح بعد ذلك أن دولة إسرائيل استغلت تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية بعد اتفاقية كامب ديفيد (١٩٧٩) ، وازداد توافد الإسرائيليين (وأقول إسرائيليين لأن اليهود مواطنى دولة إسرائيل أصبح يطلق عليهم الإسرائيليين) إلى قرية دمتيوه، وتنظيم الحكومة الإسرائيلية لأفواج الحجاج بقرية دمتيوه وزيارة الولى اليهودى (أبو حصيرة)، وفوجئ أهالى قرية دمتيوه بتسوير الجبانة اليهودية وإحاطتها بجنود الأمن المركزى المصرى، بل تعدى الأمر ذلك حيث أقيمت نقطة شرطة دائمة تتبع قسم مركز دمنهور، ومنع التصوير وكذلك منع الأفراد القاطنين فى هذه المنطقة من المرور أو الاقتراب إلا عن بعد، حتى استشعر أبناء دمتيوه ودمنهور أنهم أصبحوا خاضعين لإجراءات أمنية مكثفة فى أيام المولد التى تتم فى بداية كل عام ميلادى، وأن نقطة عسكرية زرعت بأرضه، ولعل هذا هو الذى دعا أحد المحامين من أبناء دمتيوه (مصطفى رسلان) أن يقيم دعوى قضائية ضد وزيرى الحكم المحلى والداخلية ومحافظ البحيرة ورئيس الوحدة المحلية بدمنهور ورئيس وزراء إسرائيل وسفيرها بالقاهرة، مطالباً فى الدعوة بإزالة ضريح أبى حصيرة وهدم القبور الموجودة بالجبانة اليهودية ومسواتها بالأرض، وإزالة المنشآت والأسوار التى أقامتها قوات الأمن المصرية لحماية الجبانة، حيث تم توسيع مقام أبى حصيرة ليصبح فدائاً بعد أن كان قيداً، بحيث لم يعد قبراً وإنما أصبح بناء متكامل يضم بعض القبور التى لا يعرف لها صلة بأبى حصيرة، ربما يصبح فى القريب العاجل معبداً يهودياً أو هيكلأ أو حائط مبكى جديداً على أرض محافظة البحيرة، خاصة وأن الكثير من الإشاعات تقول: إن دمنهور كانت جيتو اليهود زمن احتلال الرومان لمصر، فضلاً عن الأعمال المنافية للآداب الإسلامية والآداب العامة من سكب لزجاجات الخمر ورقص النساء شبه عرايا على الأنغام اليهودية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أكد المحامى فى دعوته أن الشائعات عن كرامات (أبو حصيرة) لدى البسطاء من أهالى قرية دمتيوه والقرى المجاورة قد انتشرت بصورة مذهلة؛ بعد أن أدخل الإسرائيليين فى عقول البسطاء أن بركات أبى حصيرة وزيارة قبره تشفى من الأمراض وتحل المشاكل - ولاسيما الضعف الجنسى وقد ساعد على انتشار هذه الشائعات أن أغلبية من يأتى عن طريق تلك القوافل من اليهود يتحدثون

العربية ويكتبونها، مؤكداً بذلك التدخل الرسمي لحكومة إسرائيل في موضوع أبي حصيرة، حيث اصطنعوا لأبي حصيرة أقرباء من الإسرائيليين (داخل إسرائيل) ومنهم ميخائيل (أبو حصيرة) رئيس الحاخامية اليهودية في رام الله وإسحاق (أبو حصيرة) رئيس الحاخامية في تل أبيب، وأن له ورثة وأحفاد كما أن من بينهم شخصاً يدعى (بوخارست) الذى يأتى على رأس الحجاج الزائرين مدعياً أنه حفيد أبي حصيرة الجد، وأن لأبي حصيرة عائلة يهودية مشهورة من المغرب هاجر معظمها إلى إسرائيل، كما جاء لزيارة مقام جده على أرض محافظة البحيرة.

إلا أن الدعوى قضى فيها أمام المحكمة المدنية بعدم القبول على أساس أن هذه القضايا من قضايا السيادة، وأنه لا توجد مصلحة للطالب رافع الدعوى فى إقامتها، وتم استئناف الحكم إلا أن محكمة الاستئناف قضت بتأييد الحكم.

ويبدو أن قصة القضايا المرفوعة حول موضوع أبي حصيرة لم تكتمل فصولاً، وما يؤكد ذلك قصة المحامى السكندرى الشاب أحمد عطية الذى قيل عنه: إنه هزم (أبو حصيرة)، وما كان من قصة اللقاء الفاحص بينه وبين أستاذت المصريات الإسرائيلى فى مطار القاهرة، ودعوته التى رفعها بتاريخ ١٨ يناير ٢٠٠١ أمام محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة بالإسكندرية (دائرة البحيرة) طالباً فيها المحامى بإلغاء مظاهر الاحتفال بمولد الحاخام اليهودى فى يناير من كل عام.

لكن المحامى قد فوجئ بعد إقامة الدعوى بصدر قرار وزير الثقافة المصرى باعتبار ضريح أبي حصيرة أثراً تاريخياً فى ٢٤/١/٢٠٠١ ضمن الآثار الإسلامية والقبطية، فى ٢٨ فبراير ٢٠٠١ قدم المحامى الشاب طلباً لرئيس المحكمة بتعديل الطلب من إلغاء الاحتفالات الإسرائيلية بمولد أبي حصيرة، إلى وقف تنفيذ قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح (أبو حصيرة) والمقابر المقامة حوله من الآثار، فضلاً عن إلغاء الاحتفالات، ونقل رفات أبي حصيرة إلى إسرائيل لادعائهم أنه يهودى.

ووصل الأمر إلى أن تنشر جريدة الوفد المصرية فى عددها السابق بتاريخ ٢٨ فبراير عام ١٩٩٨ خبراً تحذر فيه من محاولة إيجاد مستوطنة إسرائيلية على أرض محافظة البحيرة وبالتحديد فى قرية (دمتيوه)، بل وصل الأمر إلى طلب وزارة

الخارجية من هيئة الآثار المصرية إبداء الرأي فى طلب إسرائيل عام ١٩٩٩ شراء مساحة خمسة أقدنة حول مقبرة (أبو حصيرة) لإقامة فندق وبناء سور.

كما طلب وزير الخارجية الإسرائيلى من نظيره المصرى السماح لإسرائيل بترميم مقبرة (أبو حصيرة) فى محافظة البحيرة، وزيادة عدد التأشيرات الممنوحة للإسرائيليين لزيارة المقبرة مقابل تنفيذ إسرائيل للطلب المصرى الخاص بإجراء عمليات ترميم اللازمة لدير السلطان بالقدس المحتلة.

ونعود للدعوى القضائية الخاصة بالمحامى الشاب أحمد عطية مرة أخرى، فى ٥ سبتمبر ٢٠٠١ أصدرت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة بالإسكندرية «دائرة البحيرة» حكمها التاريخى بإلغاء قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام اليهودى أبى حصيرة بقرية دمتيوة أثراً ضمن الآثار الإسلامية والقبطية، وقضت بإلزام محافظ البحيرة بإلغاء مظاهر الاحتفال بأبى حصيرة يناير من كل عام، وضمن حيثيات المحكمة فى رفض الدعوى باعتبار ضريح (أبو حصيرة) أثراً مصرياً حضارياً لأنه ورد فى سفر التكوين أن اليهود لم يعيشوا فى مصر إلا ٢٥٠ سنة وأن هذه المدة لا يمكن أن تصنع حضارة، وضمن حيثيات الحكم أيضاً أن إقامة الاحتفالية داخل مصر فى هذا الوقت الذى يتعرض فيه الفلسطينيون للضرب والقتل والتشريد يؤذى مشاعر المسلمين والمسيحيين فى مصر، فتلك المقابر ليس لها أهمية أثرية أو تاريخية، كما أن اعتبارها أثراً يعد مخالفة للقانون لانطوائه على مغالطة تاريخية تمس كيان وتراث الشعب المصرى، وإسرائيل تروج لقرار المحكمة بمنع المولد بأنه معاداة للسامية وينطبق عليه القوانين العالمية بتجريم معاداة السامية بمعنى - معاداة (أبو حصيرة) هو معاداة السامية.

لكن هيئة الآثار المصرية التابعة لوزارة الثقافة عادت لتؤكد أن هناك دراسات لترميم مقبرة يعقوب (أبو حصيرة)، وتوفير الخدمات الخاصة له، باعتباره أثراً مصرياً رغم الحكم القضائى لأنه ليس حكماً نهائياً، كما أن (أبو حصيرة) ليس الأثر اليهودى الوحيد فى مصر، ولكن هناك من المعابد والجبانات التى سجلها المجلس الأعلى للآثار، والتى يزورها الإسرائيليون بانتظام كأماكن للشعائر أو الحج، وسجلت لجان المجلس الأعلى للآثار فى السنوات العشرين الماضية ١٥

أثراً لها علاقة بالطائفة اليهودية في مصر، (وأبو حصيرة) هو الأثر رقم ١٦ من قائمة السجلات ومن أشهر هذه المعابد بالقاهرة: معبد عزار الموجود بمصر القديمة، ومعبد موسى بن ميمون الموجود في حارة اليهود، على الرغم من الضجة الكبرى التي أثارها إسرائيل في أوساط اليونسكو بباريس حول هوية الفيلسوف الأندلسي موسى بن ميمون الذي ظهر في دولة الأندلس، فاليهود المعاصرون يحاولون انتزاعه من دائرة الفلسفة العربية الإسلامية، إذ يصرون على أنه فيلسوف كتب فلسفته معتمداً على تراثه اليهودي الصرف، في حين يؤكد المؤرخون الآخرون أن ابن ميمون فيلسوف إسلامي كتب ما كتب متأثراً بالفلسفة الإسلامية العربية وبخاصة الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن ماجه، والنزاع حول هوية الفيلسوف موسى بن ميمون شبيه إلى حد كبير بالنزاع بين اليهود والمصريين حول شخصية (أبو حصيرة).

ومن المعابد الموجودة بالقاهرة أيضاً معبد (شعار هشما يوم) الموجود في شارع عدلى بوسط القاهرة، ومعبد (عص حاييم) بحى العباسية، ومعبد (يحاد اسحق) بحى الظاهر، ومعبد (فتالي حجان) بمصر الجديدة، ومعبد (ماتير عانيم) بحى المعادى، ومعبد (طائفة الاشكنازى) بمنطقة العتبة الشعبية، بالإضافة إلى معبد (موسى الدرعى) بالعباسية، أما مدينة الإسكندرية فيوجد بها معبد (إليهاوينى) بشارع مسجد النبي دانيال والمقصود به كما يردد اليهود أنه هو النبي الثانى الذى ظهر فى اليهود المسيئين إلى بابل، والذى راح يشد أزهم ويحثهم على العودة إلى عبادة الله، وكان ملك بابل قد صنع لنفسه تمثالا من الذهب وأمر جميع الناس بالسجود إذا مروا أمامه، ولكن النبي دانيال وجميع أفراد السبى لم ينفذوا الأمر، فأمر الملك بإيقاد نار عظيمة و ألقاهم فيها، ولكن الله نجاهم منها فلم تحرقهم، ثم إن الملك ألقى النبي دانيال فى جب الأسود ولكن الله منع الأسود من أن تؤذيه، ويؤكد اليهود أن النبي دانيال هو أول من بشرهم بأن نهاية بابل قد اقتربت، وأنه سيتم خلاصهم من الأسر فى بابل، وسيسح لهم بالعودة إلى فلسطين وسيعاد بناء الهيكل.

ومن الغريب بالنسبة لى أن يطلق على هذا الشارع النبي دانيال وكان من المفروض أن يتناول كتابى هذا سبب هذه التسمية إلا إننى اكتفيت بما قرأته فى الصحافة

المصرية عن مسجد النبي دانيال الموجود فى شارع النبي دانيال بالإسكندرية الذى يربط بين محطة الرمل وميدان محطة مصر، حيث ذكرت الصحافة أن هذا المسجد دارت حوله العديد من الأقاويل عن أصل صاحبه فهل هو النبي دانيال نبي بنى إسرائيل أو لا ، ويمتاز هذا المسجد بأن به قبرين.

قبر يقال عنه قبر النبي دانيال وقبر آخر جانبى يقال عنه قبر لقمان الحكيم، ويلاحظ أن القبر الرئيسى بالمسجد يوجد فى وضع يخالف الشريعة الإسلامية، حيث يتعامد القبر مع القبلة بينما يأخذ القبر الجانبى الوضع الشرعى، وهذا يؤكد أن صاحب القبر الرئيسى لم يكن مسلماً، وأن تاريخ وفاته يرجع إلى ما قبل دخول الإسلام مدينة الإسكندرية ومسجد النبي دانيال ليس له علاقة بنبي بنى إسرائيل لأن النبي دانيال عاش بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد أى قبل إقامة مدينة الإسكندرية ودفن فى بابل، أما هذا المسجد فهو منسوب إلى أحد شيوخ المذهب الشافعى الذى قدم إلى الإسكندرية ويدعى محمد دانيال الموصلى الذى حضر إلى الإسكندرية فى بداية القرن الثامن الهجرى واتخذ من مسجد ذى القرنين الذى أطلق عليه بعد ذلك مسجد النبي دانيال ، مكاناً لتدريس الأصول وعلم الفرائض وتوفى عام ٨١٠ هجرياً، ودفن فى الضريح الملحق بالمسجد، ويعتبر مسجد النبي دانيال من أشهر المساجد بالإسكندرية، ولأنه من أبرز المعالم السياحية والتاريخية بالثغر فقد أطلقت محافظة الإسكندرية اسمه على الشارع الذى يقع به المسجد وعرف اسمه بشارع مسجد النبي دانيال، هذا ويوجد بمدينة الإسكندرية أيضاً معبد (منشأ عيدان) بحى المنشية، ثم معبد (إلياهوحران) بحى سبورتنج العريق، وأخيراً يضاف إليها معبد (أبو حصيرة) فى قرية دمتيويه التابعة لمركز دمنهور بمحافظة البحيرة؟!، وبصفتى دمنهورياً متمسكاً بهذه العصبية المحلية لا أنسى أن أسجل أن يقال: إن دمنهور كانت (الجيتو) أو مركز تجمع اليهود فى العهد الرومانى، بعد أن طردهم الرومان من الإسكندرية لسوء طباعهم، وما يشاع من أن منطقة القلعة فى دمنهور منطقة راقدة فوق بقايا يهودية ترجع للعصر الرومانى.

والغريب أن وزارة الثقافة المصرية ممثلة فى المجلس الأعلى للآثار أعلنت أن تسجيل أثر (أبو حصيرة) كأثر يهودى تابع لهيئة الآثار سجل مشكلة كبيرة،

لكونه أثراً خاضعاً للمجلس الأعلى للآثار يعنى أنه تحت حراسة هيئة الآثار التي تقدر على منع الطقوس المرفوضة في احتفالية (أبو حصيرة)، والتي تختلف عن تقاليدنا وعاداتنا، كما أن قرار ضمه إلى الآثار المصرية - من وجهة نظر وزارة الثقافة - يرجع إلى أنه مثل بقية الآثار الأخرى شأنه في ذلك شأن المساجد والكنائس والمعابد والمقابر الفرعونية!

ووزارة الثقافة بذلك التصرف ترفع قبر رجل مجهول إلى مصاف المساجد والكنائس والمعابد والآثار المصرية؟! وهذا أمر غير مقبول. ويتعجب أهالي دميتوه الذين استنكروا ضم الأثر والاهتمام بترميمه في الوقت الذي لا يوجد في القرية أى معهد ديني تابع للأزهر الشريف، على رغم أن تعداد القرية يزيد عن عشرة آلاف نسمة.

على كل حال لقد حسم الحكم القضائي الصادر من محكمة القضاء الإداري لمجلس الدولة (دائرة البحيرة) موضوع القضية بإلغاء قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام بقريه دمتيويه أثراً ضمن الآثار القبطية والإسلامية وإلزام محافظ البحيرة بإلغاء مظاهر الاحتفال بمولد (أبو حصيرة) في يناير من كل عام، لقد بنت المحكمة قرارها على مجموعة من الأسس والحيثيات القانونية الحضارية، حيث قضت المحكمة أن الأثر هو كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والآداب والعلوم خلال عصر الدولة المصرية بشرط أن يكون هذا الأثر من التاريخ القديم حتى قبل ١٠٠ سنة، وبشرط أن تكون له أهمية أثرية أو حضارية وهو ما لا يتحقق في ضريح (أبو حصيرة).

كما أكدت المحكمة أن الدراسات التاريخية أثبتت أن اليهود كانوا أقلية ضئيلة في مصر، ولم يتم ذكرهم في الحضارة المصرية القديمة إلا بنسبة ضئيلة جداً، فكلمة إسرائيل لم تذكر ولم توجد في النصوص المصرية إلا مرة واحدة على لوحة تذكارية لانتصار الملك المصري مرتباحت سنة ١٢٣٠ ق.م، وتقع هذه الكلمة في السطر السابع والعشرين حيث يقول «دمرت إسرائيل وانتصرت على العبرانيين انتصاراً ساحقاً» وبذلك فاليهود لم يؤثروا في الحضارة المصرية القديمة، ومن ناحية أخرى يهمنى أن أذكر أن عالم الآثار المصري المشهور الدكتور زاهى حواس أمين عام المجلس

الأعلى للآثار أكد فى حديث له بجريدة الأهرام يوم ٩ سبتمبر ٢٠٠٦ أن هناك نصا يقول «إن بنى إسرائيل تم تدميرهم وانتهت بذرتهم» وهذا نص كتبه أحد الشعراء فى عهد الملك مرنبتاح فى قصيدة مديح الملك فى عهده وأثناء حياته. ومن المؤسف حقا أن المسئولين عن القرية الفرعونية فى ضواحي القاهرة قد أبرزت وضع نسخة هذه اللوحة (وأصلها فى المتحف المصرى) على جدار شيد لمعبد الكرنك فى القرية فى مكان بارز وأشارت إليه بلوحه تقول باللغة العربية:

هذه نسخة من لوحة فى المتحف المصرى تعرف باسم لوحة إسرائيل لأنها اللوحة الوحيدة التى تحمل اسم إسرائيل باللغة المصرية القديمة وترجع هذه اللوحة التى وجدت فى الأقصر للسنة الخامسة من حكم الفرعون (مرنبتاح) الذى أتى بعد رمسيس الثانى ١٢٨١ ق. م. ويسجل فيها نصراً على الليبيين وفى نهاية الكتابة تجرى مقارنة مصر بجمع أمم العالم لإظهار أن مصر أعظم منها جميعاً بما فيها إسرائيل.

كما توجد لوحة بنفس المعنى باللغة الإنجليزية. وهاتان اللوحتان المعروضتان تؤديان إلى الاعتقاد العام لزاىرى القرية الفرعونية أن دولة إسرائيل كانت موجودة أيام مصر القديمة الفرعونية، مع أن لفظ إسرائيل المذكورة فى اللوحة الفرعونية يقصد بها القبائل أو البدو وليس دولة إسرائيل وهذا أمر كان يجب على المسئولين بالقرية توضيحه.

كما أكد الحكم القضائى فى قضية (أبو حصيرة) أن وزارة الثقافة عندما أصدرت قرارها بضم ضريح أبى حصيرة للآثار المصرية لم تراعى أنه مجرد قبر فرد عادى أيا كانت ديانتة، ولا يمثل ضريحه ولا المقابر اليهودية حوله أية قيمة حضارية أو ثقافية أو دينية للشعب المصرى بحيث يمكن اعتباره جزءاً من تراث هذا الشعب، كما أن الأثر الدينى عند أى شعب لا بد أن يكون متعلقاً بمعتقدات وديانة هذا الشعب، أو على الأقل بقنة منه ذات وجود معتبر، وتأثير واضح، ولم يثبت تاريخياً أن اليهود قد مارسوا هذا الدور فى أية مرحلة من مراحل التاريخ المصرى القديم والحديث.

كما رأَت المحكمة أن صدور قرار وزارة الثقافة بعد ستة أيام من إقامة الدعوى القضائية يعد إضفاء للشرعية على الاحتفالية السنوية للحاخام (أبو حصيرة) والتي تؤذى مشاعر المصريين مسلمين وأقباطاً بسبب الممارسات اللاأخلاقية التي تتم فيها، مما ينقض فكرة اعتبار الأثر اليهودي أثراً مثل الآثار الإسلامية والقبطية، واستكمالاً لهذا التأصيل التاريخي والقانوني لقضية (أبو حصيرة) من قبل محكمة القضاء الإداري، فإنني - كدبلوماسي معاصر لاتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ - أؤكد على أنه لا يوجد نص واحد في الاتفاقية يسمح بإقامة الاحتفال أو حتى زيارة اليهود له، بالرغم من احتواء الاتفاقية على كثير من تفاصيل العلاقات المصرية الإسرائيلية في شتى النواحي والمجالات فيما بعد المعاهدة، ورداً على فكرة نقل رفات (أبو حصيرة) الإسرائيلي على أساس أنه ولي يهودي فإن المحكمة قد رفضت في صلب حكمها فكرة نقل الرفات.

فالإسلام يحترم الأديان السماوية، ويحترم موتاهم، وينبذ نبش قبورهم، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما مرت عليه جنازة وقف احتراماً لها، فإذا بأحد الصحابة يقول: إنها جنازة يهودي، فقال الرسول: أليست نفساً، وهو ما يدل على سماحة الإسلام وعظمته.

ففكرة نقل رفات أبي حصيرة يتعارض مع سماحة الإسلام ونظرتة الكريمة لأهل الكتاب واحترام قبور موتاهم باعتبارها مأوى المرء أياً كانت ديانته بعد مماته، وهناك خطورة عن إمكانية قيام إسرائيل بحملة دعائية ضد مصر بأنها تطرد اليهود حتى من المقابر، كما أنه من الخطأ أن نعتقد أن اليهود سيبتهجون إذا نقلنا إليهم رفات (أبو حصيرة). فهذا التصور يتناقض تماماً مع خطة اليهود في اعتبار (أبو حصيرة) ومولده (مسمار جحا) الذي يقلقون به المصريين في كل عام، وإلا ما كانت تلك المحاولة الاستفزازية بطلب سفارة إسرائيل من وزارة الخارجية شراء خمسة أقدنه مجاورة لمقبرة (أبو حصيرة) بغرض إقامة فندق إسرائيلي عليها ليكون مكاناً دائماً للإقامة، فمذد سنوات قلائل كان الإسرائيليون يأتون من بداية كل عام ميلادي ويمرون من قلب دمنهور في مواصلات وأتوبيسات فاخرة وتؤمن لهم الطرق من داخل وخارج دمنهور وعلى طول الطريق الزراعي ما بين الإسكندرية

والقاهرة وسط نهول من أبناء محافظة البحيرة، إلا أنه مع زيادة توافد الحجاج الإسرائيليين لأبى حصيرة وتدخل الحكومة الإسرائيلية عن طريق سفارتها فى القاهرة وتصليتها فى الإسكندرية فى الترتيب والإشراف على هذه الزيارات تم إنشاء كوبرى عند مدخل دمنهور من الطريق الزراعى الذى يسمح لهم بالدخول مباشرة إلى قرية دمتيوه دون المرور بدمنهور، وكأن هذا الكوبرى أنشئ خصيصاً لهذا الغرض، وهو ما دفع أبناء محافظة البحيرة أن يطلقوا عليه (كوبرى اليهود) ويشاع أنه أنشئ بمعونة أمريكية.

ليس غريباً أن تسعى إسرائيل - كما دعت - لجذب الأنتظار بعيداً عن القضايا الأساسية، وأن تطلب من وزارة الخارجية طلب شراء خمسة أفدنة فى قرية دمتيوه لبناء فندق إسرائيلى يكون مكاناً لإقامة الحجاج اليهود.

وليس غريباً أن وزارة الإسكان المصرية عندما كانت تريد فتح طريق بمقابر اليهود فى حى المعادى أن تثور ضجة يهودية لان عدداً من المقابر سوف يتم إزالته، وتعدد الضغوط بالطرق الدبلوماسية وغير الدبلوماسية.

وليس غريباً أن يدعى وزير الأديان الإسرائيلى (أهارون أبو حصيرة) أنه حفيد الجد (أبو حصيرة) ليس غريباً كل هذا، طالما أن الأمور دخلت فى إطار الدعاوى الكاذبة الملفقة، والإسرائيليون لا يبارون فى ذلك.

وكتابى هذا يحتوى على مثل هذه الأكاذيب والافتراءات الدينية والتاريخية والسياسية لإسرائيل، والتي تعود إلى زمن بعيد، وتمس حتى الكيان الإسلامى، وهو ما تجلى فى مرويات الإسرائيليات فى كتب التفسير الإسلامى.

إن الرأى عندى وقد كتبت فى الصحافة علناً - وأعتقد أنه عند كل مصرى - أن وجود مستوطنة إسرائيلية على أرض محافظة البحيرة أمر مستحيل ومرفوض، أقول ذلك بصفتى مصرياً بحراوياً دمهورياً دبلوماسياً فبأى حق يكون لدولة إسرائيل أن تتحدث باسم يهود العالم، الذين يزورون ويقيمون مولد (أبو حصيرة) منذ عشرات السنين قبل ظهور دولة إسرائيل على حيز الوجود، وقد فشلت إسرائيل خلال أكثر من خمسين عاماً مضت أن تسيطر وتستقطب وتمثل يهود العالم، حيث لازال الملايين من اليهود يعيشون فى أوطانهم الأصلية التى ينتمون إليها بحكم العرق

والجنسية، وما اليهودية بالنسبة لهم إلا دين يؤمنون به ويتبعون تعاليمه دون أن يفقدوا ذلك أصلهم وجنسياتهم، وأكبر مثال على ذلك اليهود المقيمون في نيويورك وعددهم أكبر من سكان عدد إسرائيل، كما أن اليهود في قلب إسرائيل طائفتان (سفراديم - يهود الشرق) و (اشكنازي - يهود الغرب) ولكل منهما حاخام، فإذا كان (أبو حصيرة) يهودياً من المغرب كما يقال، فيكون (أبو حصيرة) سفراديم، ولا يمثل اعتباراً لليهود الاشكنازي.

وإسرائيل الموجودة حالياً كدولة على أرض فلسطين لا تسيطر ولا تمثل إلا الذين فيها، يحملون الجنسية الإسرائيلية بصفقتهم رعايا ويطلق عليهم دولياً الإسرائيليون، أي كانوا، حتى عرب ٤٨ سواء كانوا مسكمين أم مسيحيين، ولا بد أن يعرف الجميع أن هناك فرقاً كبيراً بين الإسرائيليين وبين بني إسرائيل، ولا علاقة بينهما، فالإسرائيليون هم رعايا دولة إسرائيل الحالية، أما بنو إسرائيل فهم أبناء النبي يعقوب الملقب بإسرائيل، وسكان إسرائيل الذين جمعتهم الصهيونية العالمية من كافة أنحاء العالم على اختلاف جنسياتهم وأعرافهم وألوانهم وألسنتهم ليسوا إطلاقاً سلالة يعقوب (إسرائيل) النبي.

وعلى هذا الأساس، ليس لإسرائيل أي حق في (أبو حصيرة)، فهو لم يكن في يوم من الأيام أيًا كانت التفسيرات حول هويته - مواطناً من رعايا دولة إسرائيل.

٢٥ - محافظة الشرقية والمزاعم الإسرائيلية

لم يكن هناك بد من أن أضم إلى كتابي هذا البحث الذى أعده السيد الأستاذ الدكتور/ محمود عمر محمد سليم أستاذ الآثار والحضارة المصرية القديمة بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم جامعة الزقازيق - رداً على ما وصل إلى علمي من بعض أساتذة جامعة الزقازيق - عندما تشرفت بلقائى بهم فى إحدى المناسبات فى أروقة جامعة الزقازيق من أن هناك حفريات ومناطق أثرية فى كل من تل بسطه ، وصان الحجر ، المجاورتين ، لعاصمة محافظة الشرقية - الزقازيق - تهتم بها السفارة الإسرائيلية بالقاهرة على أساس أن هذه الأماكن كانت بها تجمعات يهودية فى العصور القديمة ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام حيث كان دين اليهودية هو الدين التوحيدى الوحيد فى الدنيا كما يحدثنا القرآن الكريم عن وجود بنى إسرائيل أى النبى يعقوب وأبنائه وأشهرهم يوسف فى مصر وتحت رعاية ملك مصر إلى أن ولد موسى عليه السلام ونزلت عليه التوراة فى شبه جزيرة سيناء وكان ذلك بداية الديانة اليهودية وأصبح يطلق على المؤمنين من بنى إسرائيل «اليهود» - وهؤلاء اليهود وأبناؤهم وأحفادهم هم غير اليهود الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة الخزر فى شرق أوروبا واتخذوا الديانة اليهودية ديناً لهم بعد أن كانوا وثنيين ، وهذه حقيقة تاريخية أكدتها المراجع اليهودية وعلى رأسها دائرة المعارف اليهودية ، كما أكدها الكتاب اليهود وعلى الأخص الكاتب آرثر كويستلر فى كتابه (القبيلة الثالثة عشر) والسذى صدر عام ١٩٧٦ حيث يعترف فيه أن أغلبية يهود شرق ووسط أوروبا ينحدرون من قبائل الخزر وليسوا من بنى إسرائيل الساميين (أبناء النبى يعقوب) كما يؤكد على أن يهود الخزر هم الذين انشأوا دولة إسرائيل وهكذا نشأ جيل آخر من اليهود الأوروبيين ، وحالياً وحتى بعد خلق دولة إسرائيل هناك يهود الشرق «السفراديم» ويهود الغرب «الاشكينازى» ولكل طائفة حاخام مستقل يمثلهم.

هذا وأرجو أن يستفيد القارئ العزيز بهذا الملف الذى أضمه إلى كتابي كما جاءنى .:

سيادة السفير/ فتحى محمد الجويلى تحية طيبة وبعد

سعدت بحديث سيادتكم بمناسبة إعدادكم كتاب عنوانه: «ذكريات سفير»، ويسرني أن أهنيئ سيادتكم بتأليفه، ليضاف إلى تاريخكم المشرف في العمل الدبلوماسى والفكرى من أجل مصر. وكان استفسار سيادتكم عن دور اليهود في شرق الدلتا قديماً، والآثار التي تتصل بهذا في المواقع الأثرية. وموضوع اليهود تناولته المؤلفات العديدة، ولا أريد أن يطول عرضها بما يبعدها عن الاختصار وفائدة الوقوف على ما يهم سيادتكم. ولذلك أقدم لسيادتكم جانباً من مقال علمى أعدته فى هذا الموضوع، أرجو أن يفيد سيادتكم.

لا يعرف تاريخ لليهود قبل عهد الخليل عليه السلام - جد يعقوب أو إسرائيل كما يُدعى أحياناً - والذي زار مصر على أيام الأسرة الثانية عشرة (٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م).

ولا يوجد دليل على وجود علاقة لليهود بمصر قديماً، ولا ريب أن هذه العلاقة ترجع إلى أيام الهكسوس (١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م)^(١) حين لجأ قوم اليهود إلى أرض

(١) أقوام هاجموا مصر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد، وفرضوا أنفسهم على البلاد قرابة قرن ونصف، وتركوا أسوأ الذكريات فى نفوس المصريين. وقد جاءوا من آسيا الغربية وهم ينتمون إلى القبائل الهندو أوروبية، إلا أن استقرارهم فى سوريا وفلسطين جعلهم يأخذون بمظاهر الحضارة السامية هناك. والاسم الذى عرفوا به مشتق من اللقب المصرى المعروف منذ الألف الثانى قبل الميلاد: «حقاوحاسوت»، ومعناه «حكام البلاد الأجنبية»، وكان يطلقه المصريون على زعماء القبائل البدوية، والتي كانت تتجول فى مناطق سيناء وصحراء النقب. وشيدوا لانفسهم عاصمة فى شرق الدلتا وهى «فارس»، والتي اختلفت الآراء حول موقعها. وبدوا أنها كانت على مقربة من قنترى وقرية تل الضبعة. انظر: عبد المنعم أبو بكر: الهكسوس، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة بدوق تاريخ، ص ٤١٧. وقام الهكسوس بوضع قوة عسكرية مكونة من ٢٤٠ الف جندى مسلح فى افارس، وقاموا بحرق مدينتها ومعابدها، وتعرضت للدمار على أيديهم حتى تمكنوا من إخضاعها، انظر: نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج ١، ١٩٦٠، ٢٣٣، ٢٣٨، ٣٤٢.

انظر: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة - تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ٧٦.

الذيل الطيبة بعد أن أصيبت أرض كنعان بمجاعة لم تترك زرعاً، ولم تبق على ضرع^(١)، فلاذوا بمصر طلباً للطعام والأمان.

وآثار الهكسوس في شرق الدلتا عديدة، منها آثار مهمة تم اكتشافها في برياست أو تل بسطة^(٢)، ويستدل من دراسة آثار الهكسوس في هذه الفترة أنها لم ترتبط بوجود آثار لليهود، ولم تقدم برياست أى أثر له علاقة لليهود بالمدينة خلال كل عصور تاريخها القديم حتى عصر دخول المسيحية مصر وانتشارها^(٣)، وهو ذات الأمر في شرق الدلتا. مما يدل على أنهم لم يقيموا في هذه المدينة أو في مدن الحصون الدفاعية لبوابة مصر الشرقية، حيث لم يسمح لهم بالإقامة فيها وأنهم كانوا يفضلون الابتعاد عنها كمدينة عسكرية حصينة، لن يجدوا فيها عيشاً.

ولم يتأثر اليهود بطرد الهكسوس وانتصار المصريين عليهم، حيث كانت النتيجة المحتومة لأعداء مصر هي الانحسار، ولم يستمر وجود الهكسوس وزحفهم حتى مدينة القوطة - شمال أسيوط - بل كانت نهايتهم بتراجعهم من مصر الوسطى حتى مدينة الفيوم، ثم خاض المصريون غمار الحرب معهم بعد أن انطلقت

(١) انظر: محمد بيومى مهران: بنو إسرائيل، الجزء الثاني، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، الاسكندرية ١٩٩٩، ص ٩٥٧.

(٢) وبرياست هي تل بسطة الموجودة اطلالها إلى الشمال الشرقى من مدينة الزقازيق - عاصمة محافظة الشرقية. واسمها القديم يعنى بيت القطة أو مدينة القطة، حيث كانت من أهم مدن شرق الدلتا الدينية والسياسية والإدارية والاقتصادية منذ الدولة القديم، وإن كانت نشأتها ترجع إلى عصر ما قبل الاسرات. انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه، ص ٣٩ - ٦١.

(٣) انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه. وكذلك: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بويستة خلال الدول الحديثة الفرعونية، ١٥٥٠ - ١٠٧٥ ق.م (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩.

وانظر كذلك: محمود عمر محمد سليم، معابد باستت وبرياستت، فى العصور الفرعونية فى مجلة: ARCUS, 41996/, Potsdam 1997, 1 - 37.

وانظر: محمود عمر محمد سليم: بئر العائلة المقدسة فى تل بسطة، القاهرة ١٩٩٧.

NAVILLE (E). The historical results of the excavations at Bubastis, a paper read before the Victoria Institute, London 1889; NAVILLE (E), Bubastis (1887 0 1889). London 1891.

إمارة طيبة التي حكمت الجنوب لتبدأ النضال حتى سقطت افاريس، ثم مطاردة المصريين لهم تحت قيادة سقنن رع، الذي سقط في ميدان المعركة صريعاً، وواصل أبناؤه من بعده المقاومة حتى توج أحمس الأول - مؤسس الأسرة الثامنة عشرة - كفاحهم وتم له طردهم ومطاردتهم إلى الشمال الشرقي^(١).

وبعد طرد الهكسوس بقي اليهود ينهلون من خيرات مصر وازدهارها بعد أن تحقق النصر لها. غير أنه قد أدرك المصريون ما أدى بهذه القبائل الآسيوية (الهكسوس) احتلال جزء من مصر والإقامة فيها قرناً من الزمن تقريباً، وما ذاقوه من حلاوة النصر وعزته ومغانمه، وتفتح أنظارهم على ما للمنطقة الشرقية من أهمية باعتبارها مكنن الخطر، فظهرت الروح العسكرية الجديدة التي كانت سمة هامة لتوجيه الحياة خلال الدولة الحديثة، حيث تحول الفلاح المصرى المسالم بطبيعته إلى جندي تملؤه الروح العسكرية ويقوده أشهر الملوك العسكريين على رأسهم أحمس الأول ومن بعده امنوفيس الأول وتحتمس الثالث وامنوفيس الثاني^(٢).

وبقى اللاجئون اليهود في مصر في مطلع الدولة الحديثة حتى فترة الاضطرابات العصبية التي سلط الله فيها فرعون على بنى إسرائيل، وحيث كان ميلاد نبي الله موسى عليه السلام كأصغر أولاد أبيه، لينشأ في قصر الفرعون، حتى تعرض لمحنة قاسية انتهت به إلى الخروج من مصر وفراره من الفرعون الذى طالبه أهله بأن يأخذ منه القصاص فى قتله المصرى، وبعد أن أدرك موسى عليه السلام أنه مطلوب بدم القتل وأدرك ألا مظنة من القصاص، فكان الخروج^(٣).

ويختلف العلماء حول أسباب وتوقيت الخروج، ومن ثم كان الاختلاف حول الملك الذى حدث فى عصره خروج اليهود، فالبعض يرى أنه كان على أيام عهد

(١) انظر: محمود عمر محمد سليم: بويطة - تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) انظر: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بويطة خلال ادولة الحديثة الفرعونية، ١٥٥٠ - ١٠٧٥ ق.م (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) انظر: محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل، الجزء الأول، التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٢٦١ - ٢٦٦.

(الملك أحمس الأول) (١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.)، في حين يرى آخرون أنه كان عهد (الملك تحتمس الثالث) (١٤٦٩ - ١٤٣٦ ق.م.)، أو بين وفاة (الملك امنوفيس الرابع، اخناتون) (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م.) وتولييه (الملك حور محب) (١٤٤٣ - ١٣٠٤ ق.م.) العرش، أو على أيام الملك رمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق.م.)^(١) أو في عهد ابنه (الملك مرنبتاح) (١٢٢٣ - ١٢١٣ ق.م.)^(٢)، وتعددت النظريات حول الخروج^(٣).

ولم تنقطع علاقة اليهود بعد ذلك بمصر، وإن اختلفت هذه العلاقة تبعاً لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة إلى مصر، فضلا عن علاقة مصر ببقية دول الشرق الأدنى القديم، وأثرت هذه العلاقة على فلسطين، وإن كان الأمر لم يأخذ صورة هجرات يهودية أو تسلل يهودى إلى مصر، إلا بعد الغزو الآشورى لإسرائيل، واستيلاء (سرجون الثانى) على السامرة (فى عام ٧٢٢ أو عام ٧٢١ ق.م.)، ثم السبى البابلى (فى عام ٥٨٧ أو ٥٨٦ ق.م.)، وما تلا ذلك من تكوين جالية يهودية فى مصر^(٤).

وتختلف وجهات النظر حول بداية تكوين الجاليات اليهودية فى مصر بعد الخروج، غير أنها ترجع تكوينها كجنود مرتزقة، فهناك رأى بأن مؤسس الجالية اليهودية فى أليفانتين إنما كان من جنود الملك اليهودى (منسى) (٦٨٧ - ٦٤٢ ق.م.) الذين التحقوا بجنود الغازى الآشورى (اشوربانيبال) (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م.) فى حملته على مصر فى عام ٦٦٧ ق.م. ثم بقوا عند الحدود الجنوبية لحمايتها. وهناك رأى آخر أن الحامية اليهودية فى أليفانتين إنما ترجع إلى أيام مؤسس الأسرة السادسة والعشرين (الملك بسماتيك الأول) (٦٦٤ - ٦١٠ ق.م.) حيث تدمر المحاربون الليبيون القدامى فى كفاحه ضد الآشوريين وتركوا خدمته، مما دفعه لإقامة حامية عند

(١) انظر: محمد بيومى مهران، المرجع السابق نفسه، ص ٣١٩ - ٤١١.

(٢) انظر: محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل، الجزء الثانى، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، الاسكندرية ١٩٩٩، ص ٩٥٧.

(٣) عن نظريات دى بوا - ايميه وهنرى بروجش، وببير مونتيه، وعلى شافعى والاختار الكبرى فى النظريات المطروحة، انظر: سيد القمنى: النبى موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الرابع، القاهرة ١٩٩٩، ٩٦٨ - ١٠٧٠.

(٤) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٥٧ - ٩٥٨.

اليفانيتين بها بعض سكان سوريا وكان منهم الكثير من اليهود^(١). ولم يجد اليهود ملجأ يجتمعون به سوى مصر، التي خرجوا منها يوماً ما، واعتبروا يوم خروجهم منها عيداً يحتفلون به، بل جعلوه أكبر أعيادهم وهو عيد الفصح، ونظراً لأن الفرعون المصرى (إبريس) (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) كان حليفاً للملك اليهودى (صديقا) (٥٩٧ - ٥٧٠ ق.م) ضد ملك بابل، فلقد فتح الفرعون صدره لليهود، فكانت الهجرة اليهودية إلى مصر. وتحدثنا المصادر أنه قد أنزل اليهود في (تل دفنه) (تأخفنجيس التوراة) على بعد خمسة عشر كيلو متراً من القنطرة الحالية، غير أنه سرعان ما أبعدهم عنها حيث تفرقوا بين تانيس ومنف ودهشور والبهنسا والأشمونين وأبيدوس وطيبة وإدفو واليفانين، ولم يبق في تل دفنه الاستراتيجية إلا ما انحدرت في سلك الجيش^(٢).

ومن الطبيعي أن هؤلاء اللاجئيين اليهود عندما كانوا يقصدون مصر كانوا يمرّون عبر حامياتها التي تراقب المارة أو الجيوش التي تقطع المنطقة، وخاصة عندما تصل إلى مدينة الفرما (بيلوزيوم)^(٣)، حيث وقفت سيلي (ثارو - مدينة القنطرة حالياً) - بعد البيلويزيوم - كحصن ونقطة بداية للحملات إلى سوريا، وامتدت منها مجموعة محطات قامت على حراسة حدود البلاد المعرضة للخطر^(٤)، وكان على كل مسافر أن يتوقف بها للتفتيش، وعليه أن ينتظر فيها حتى يحصل على تصريح أو تصديق لدخول مصر^(٥).

(١) انظر: الآراء المختلفة حول نشأة الجالية اليهودية في القنطين: محمد بيومي مهران: المرجع السابق نفسه ص ٩٥٩ - ٩٦٣.

(٢) انظر: محمد بيومي مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٦٣ - ٩٦٤.

(٣) انظر: أدولف ارمان وهرمان رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد النعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة ١٩٥٣، ص ٢٨٥. وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: بوسطة - تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثاني (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ١١٧..

(٤) انظر: احمد فخرى: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ج ٢، القاهرة ١٩٨٠، ص ٢٦٦، ٢٢٧، ٢٤٠. ومحمود عمر محمد سليم: بالرجع السابق نفسه، ص ١١٧.

(٥) انظر: KEES (H.): Ancient Egypt a cultural topography. London 1961, pp. 192 - 196.

وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه ص ١١٧..

وكان عبور اليهود سيناء وشرق الدلتا (بوابة مصر الشرقية) عبر طريق حورس الحربى الشمالى قاصدين أرض النيل الطيب لمواجهة المجاعة التى عانوها، ومن ثم فلم يمنعهم المصريون من المرور ولم يعاملوهم معاملة الأعداء، وهذا الطريق سارت عليه جيوش مصر عند ذهابها إلى آسيا، والذى سارت عليه جميع الجيوش التى أتت من تلك البلاد غازية لوادى النيل مثل جيوش آشور وفارس وجيوش الاسكندر الأكبر حتى شهدت جيوش العرب المسلمين الفاتحين لمصر.

وطالما كان يهود الفنتين يقومون بواجباتهم فى خدمة مصر لم يتدخل ملوك العصر الصاوى فى شئون الجالية الداخلية وسمحوا لأفرادها بقسط وافر من الحرية الدينية، وبالرغم من وجود معبد (يهوه) فى الفانتين إلى جانب معبد خنوم فإنه لم يحدث طوال ذلك العصر أى صدام بسبب التعصب الدينى.

ويرى باحثون أن الأمر قد اختلف عندما نسى اليهود لمصر أنها قد أطمعتهم من جوع، وأوتهم من تشرد، وكستهم بعد عرى، فردوا لها الجميل نكراناً، وكانوا عليها للفرس أعواناً، وفى حامياتهم جنوداً، ولم ينس المصريون أن أعوان الفرس اليوم إنما هم أعوان الهكسوس فى الأمس البعيد، ثم ازدادت الكراهية لهم بعد أن رأوهم بعد طول إقامة فى البلاد خونة وجواسيس ومثار فتن ودسائس، وأذناناً لأعداء البلاد يعملون على هدم وطنهم واستعباد أهله، والإخلاص للفرس الذين بقوا فى مصر، فانقض المصريون على معابد يهوه ودمروه تماماً فى عام ٤١٠ ق.م وانطلقوا فى اضطهادهم^(١).

وعثر على مجموعة كبيرة من البرديات الأرامية فى منازل بعض أفراد هذه الجالية اليهودية التى كانت تعيش فى الفنتين^(٢) كحامية عسكرية فى أيام الحكم الفارسى

(١) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٦٧ - ٩٦٨.

(٢) الفنتين، أو (جزيرة أسوان)، علم على الجزيرة التى أمام مدينة أسوان، وكانت آخر مدن مصر فى الجنوب وحصناً للدفاع عن البلاد ضد أى هجمات من الجنوب، أسماها فى أيام الفراعنة (أبو) ومعناها مدينة (القبيل) ويمكن تفسيره بأنها كانت أما مركزاً لتجارة العاج (واسمه بالمصرية القديمة أبو أيضاً) وكان يأتى إليها من السودان، أو أن الاسم يشير إلى القبيل الذى كان يعيش فى هذه المنطقة فى عصور ما قبل الاسرات.

انظر: أحمد فخرى: الفنتين، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة بدون تاريخ، ص ١١٦.

فى القرن السادس قبل الميلاد، وكان لهم فيها المعبد اليهودى الذى أحرقة المصريين فى إحدى ثوراتهم على تلك الحامية، حيث عاونت أعداء مصر المستعمر الفارسى، مما كان سبباً لقيام أمون حر (٤٠٤ - ٣٩٨ ق.م) بقيادة جولات من المعارك حتى انتصر عام ٤١٠ ق.م على الملك دارا الثانى (داريوس الثانى)، وتم له تطهير البلاد من المستعمر الفارسى والتنكيل بأعوان الفرس من الجاليات اليهودية وخاصة تلك التى سكنت جزيرة الفنتين، وتم تتويج أمون حر ملكاً لمصر (عام ٤٠٤ ق.م)^(١)، وقد تطور فى عهده النزاع بين اليهود المستوطنين فى جزيرة الفنتين وبين كهنة الإله خنوم، مما نتج عنه تدمير معبد اليهود^(٢) كما سبق أن ذكرنا.

وتستمر الجالية اليهودية دون تقدير للموقف الحرج، وكان من نتيجة ذلك أنها قد سارت فى اليقانتين فى طريق الاضمحلال على أيام الأسرة التاسعة والعشرين (٣٩٩ - ٣٨٠ ق.م)، حتى إنه لم يعد هناك يهودى واحد فى الفانتين على أيام الأسرة الثلاثين السمنودية (٣٨٠ - ٢٤٣ ق.م)^(٣).

ومن ثم يتضح أن اليهود كلما حزبهم الأمر - سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً - إنما يولون وجوههم شطر مصر، فيجدون عندها دائماً الآمان والحماية والعيش الكريم، أو يهاجرون إليها للإقامة فيها كما يشير إلى ذلك العهد القديم سواء أكان ذلك فى الأسفار التاريخية أم فى أسفار الأنبياء^(٤)، فجاءوا لمصر ليعيشوا على خيراتها وللاستفادة بثقافتها وحضارتها، وانقلبوا على مصر يبيحثون عن مصالحهم، فلم يأمن ملوك مصر لوجودهم فى شمالها، ومن ثم فلا توجد لهم آثار فى شرق الدلتا أو فى مصر تؤرخ لدور لهم فى الحضارة المصرية أو رد الجميل إليها، وبقوا يدعون مزاعمهم التى يرمون بها إلى إثبات جزور غير موجودة فى أرض

(١) انظر عبد المنعم أبو بكر: أمون حر: الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول الجزء الأول القاهرة بدون تاريخ ص ١٢٥.

(٢) انظر جاب الله على جاب الله: دارا الثانى الموسوعة المصرية تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول - الجزء الأول القاهرة ص ٢٣١.

(٣) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٧٧ - ٩٧٨.

(٤) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٥٨.

مصر يسعون بها لتغيير حقائق الحضارة المصرية القديمة.

وتقبلوا سيادتكم وافر التحية والتقدير

الزقازيق في ٦ / ١٠ / ٢٠٠٦

الاستاذ الدكتور محمود عمر محمد محمد سليم

أستاذ الآثار والحضارة المصرية القديمة

بالمعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق

٢٦ - مصر من ملكية إلى جمهورية

فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ - أى بعد عدة أشهر من قيام الجيش المصرى بحركته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإلغاء الملكية وإعلان جمهورية مصر وبذلك انتهى عهد الملكية فى مصر وأصبحت جمهورية ولعله من المفيد هنا أن نذكر أن هذا الأمل فى إلغاء الملكية وتحقيق الجمهورية كانت له جذور ترجع إلى ما بعد انتهاء الاحتلال البريطانى «الذى بدأ سنة ١٨٨٢» وانتهى بإعلان مصر ملكية مستقلة سنة ١٩٢٣ ولست فى هذه الذكريات مؤرخاً لكفاح الشعب فى سبيل إعلان مصر جمهورية ذلك موضوع يحتاج إلى ذكريات أخرى إلا إنه من المهم الإشارة إلى إصدار الشيخ على عبد الرازق كتابه الشهير «الإسلام وأصول الحكم» سنة ١٩٢٥ ، الذى يهاجم فيه الخلافة أى «الملكية» وقبل ذلك ثورة عرابى الشهيرة.

وتعتبر الجمهورية المصرية هى ثالث الجمهوريات العربية بعد لبنان وسوريا حيث كانت أول جمهورية عربية قامت فى لبنان ثم تلتها الجمهورية السورية ، وكان ذلك فى عهد الانتداب الفرنسى وجدد اللبنانيون والسوريون ولاءهم للنظام الجمهورى بعد أن أصبحت الدولتان مستقلتين فى سنة ١٩٤٣ وتم جلاء القوات الأجنبية عنهما فى سنة ١٩٤٦ .

والنظام الملكى الذى ألقى فى مصر هو أقدم نظام من نوعه فقد حكمت مصر أسر مختلفة توالى على العرش. وإذا كانت الأسر الفرعونية مصرية لحماً ودماً فإن الأسر التى جاءت بعدها وحكمت مصر كلها أجنبية بعضها حكم برضا المصريين وبعضها حكم بالإكراه وانتهى النظام الملكى نهائياً فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ .

ومما يذكر بمناسبة إعلان الجمهورية فى مصر أن بعض رفاق سعد زغلول اقترحوا عليه العمل فى سبيل إلغاء الملكية وإقامة النظام الجمهورى فرفض وقال إن الوقت لم يحن بعد للإقدام على مثل هذا الانقلاب فى مصر.

منذ هذا القرار الثورى وهو إعلان الجمهورية سنة ١٩٥٣ مر على مصر الجمهورية أربع رئاسات - الأولى برئاسة محمد نجيب والثانية برئاسة عبد الناصر والثالثة برئاسة محمد أنور السادات والرابعة برئاسة محمد حسنى مبارك وإن كانت هذه الجمهوريات الأربع لم تسمح الظروف بإمكانية تنافس أى مصرى على الرئاسة إلا أنه فى عهد الرئيس مبارك قد تم تعديل المادة ٧٦ من الدستور عام ٢٠٠٦ وأصبح منصب رئيس الجمهورية يتاح الترشيح له ويمارسه المواطن المصرى فى انتخابات حرة مباشرة وقد تم ذلك فعلاً وبدأت الجمهورية الخامسة بفوز الرئيس مبارك من بين أكثر من مرشح فى الانتخابات التى أجريت مؤخراً وبذلك أصبح الرئيس مبارك أول رئيس لجمهورية مصر رئيساً منتخِباً.

كان من المفروض أن يكون يوم ١٨ يونيو من كل عام عيداً وطنياً لجمهورية مصر يتم الاحتفال به رسمياً وشعبياً وفى سفارات مصر فى عواصم العالم باعتباره أنه عيد وطنى لجمهورية مصر تعزف فيه موسيقى النشيد الوطنى بلادى.. بلادى.. لك حبى.. وفؤادى، ويكون هذا العيد الوطنى تخليداً لجمهورية مصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا لم يتم - مع الأسف الشديد - لسببين رئيسيين هما: أولاً: أنه تصادف فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية عرفت باسم اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا ونقلت العلاقة بينهما إلى علاقات صداقة وتم الاحتفال بتوقيع هذه الاتفاقية بشكل أنسى الحكومة والشعب أن ١٨ يونيو ١٩٥٤ هو أول ذكرى لإعلان مصر جمهورية ثم جاء عام ١٩٥٦ حيث وقع العدوان الثلاثى على مصر الذى تزعمته بريطانيا وفرنسا وحليفتها إسرائيل وما نتج عن هذا العدوان من احتلال لشبه جزيرة سيناء ولندن قناة السويس وبعيداً عن التفاصيل المتعلقة بهذا التاريخ فإن هذا العدوان البريطانى اعتبر سنداً قانونياً دولياً لإلغاء اتفاقية الجلاء من جانب مصر فإذا كانت هذه الاتفاقية ترمز للصداقة بين الطرفين فإن العدوان المسلح لأى طرف من أطرافها على الآخر ينهى الاتفاقية ويلغيها ولقد صدر الإعلان المصرى الرسمى بإلغائها نتيجة العدوان البريطانى الذى أدى أيضاً إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا ولكن مع الأسف الشديد أن هذا اليوم ١٨ يونيو ١٩٥٤ ظل الاحتفال به عيداً للجلاء كان يتم الاحتفال به على شكل إجازة

رسمية للمصريين ضمن الأعياد الرسمية السنوية المصرية بالرغم من إلغاء الاتفاقية عام ١٩٥٦ واستمر نسيان وتجاهل يوم ١٨ يونيو عيداً وطنياً لإعلان جمهورية مصر منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن.

ثانياً: أنه ومنذ عام ١٩٥٣ يتم الاحتفال سنوياً يوم ٢٣ يوليو على قيام الثورة المصرية تحت شعار «الاحتفال بثورة يوليو» أو «الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو» أو «الاحتفال بالذكرى السنوية على قيام ثورة ٢٣ يوليو» أو «ذكرى مرور كذا عام على ثورة يوليو» أو «سفارات مصر فى الخارج تقيم الاحتفالات بعيد ثورة يوليو» كل هذا حق ولكن المناسبة المحتفل بها هى قيام ثورة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولم يحدث فى أى شهر يوليو منذ ١٩٥٢ حتى الآن أن وصف الاحتفال بهذه الذكرى أنه عيد وطنى لمصر بل هو تذكير فقط بثورة قام بها جيش مصر ١٩٥٢ ولم يذكر أبداً فى هذه الاحتفالات أن هذه الثورة لها الفضل فى اتخاذ قرار بوجود «جمهورية مصر» وإلغاء «مملكة مصر» وبذلك ألغت شعارات الاحتفال بالثورة على الاحتفال بمصر جمهورية مع أن الثورة لها الفضل فى إعلان الجمهورية!!

وهكذا كان هذان السببان سحابة أخفت إعلان جمهورية مصر وجعلت هذه الحقيقة الكبرى فى تاريخ مصر فى غاية النسيان للأجيال المصرية الحالية والقادمة.

ولذلك أرجو أن تكون هذه الذكريات فرصة لإعادة الحقيقة حقيقة الجمهورية بعيد وطنى تحتفل به الحكومة والشعب يوم ١٨ يونيو من كل عام وليكن القرار عن طريق رئاسة الجمهورية أو قرار من مجلسى الشعب والشورى أو باستفتاء شعبى أو بكل هذه الإجراءات مجتمعة.

ولا أستطيع أن أختم هذه الذكريات التى أكتبها وأنا فى سن الـ ٧٧ دون أن أضيف ذكريات عندما كان عمرى ١٦ عاماً كنت طالباً فى مدرسة دمنهور الثانوية (١٩٤٦ - ١٩٤٦) حيث كنا كطلبة فى طابور الصباح نردد بصوت عالٍ «يعيش فاروق ملك مصر» وتغير هذا بثورة طلابية نردد فيها «معييش فلوس أروح مصر» وكانت «مصر فى ذلك الوقت هى تعبير عن القاهرة»، وهكذا وبالوطنية الصادقة والعميقة قام الطلاب بالمطالبة غير المباشرة بسقوط الملكية ولم تكتشف إدارة المدرسة

آنذاك هذا التعبير الثورى لأن الرتم الموسيقى لهذا الهتاف الوطنى يشبه تماماً الرتم الموسيقى للهتاف الملكى وهكذا فى ذكرياتى يظل الرفض للملكية من شباب فى سن التعليم الثانوى فى قلب الريف المصرى فى مدينة دمنهور وكانت «آنذاك» ١٩٤٦، قرية كبيرة.

وفى نهاية هذا الملف عن مصر من ملكية إلى جمهورية من الضرورى أن أرفق صورة القائمة الرسمية التى تعلنها الحكومة مع بداية كل عام عن المواسم والأعياد الرسمية والواضح أن القائمة لا تتضمن أهم حدث فى تاريخ مصر وهو الاحتفال بعيد الجمهورية يوم ١٨ يونية ولقد استمر هذا التجاهل منذ عام ٥٣ حتى ٢٠٠٧ الحالى.

ومن المأمول أن تتضمن قائمة العامة القادم ٢٠٠٨ عيد الجمهورية فى ١٨ يونيه بدلا من عيد الجلاء بناء على ما تم توضيحه.

٢٧ - شرعية قيام دولة عربية على أرض فلسطين

إن ما يجري بين العرب وإسرائيل منذ مؤتمر مدريد للسلام الذى عقد فى أواخر عام ٩١ أمر يثير العجب والتعجب! ذلك أن الهدف من هذه المفاوضات كما هو مأمول من جانب العرب (فقط) هو موافقة إسرائيل على قيام دولة عربية باسم فلسطين فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهذا هو مثار وموضع العجب والتعجب! وفى هذا ما فيه من سخرية الأقدار أن نطالب الذى اغتصب واحتل الأرض أن يتكرم ويتنازل ويوافق على قيام دولة عربية باسم فلسطين على جزء من أرض اغتصبها واحتلها بالقوة بحجة أنه - أى المعتصب والمحتل - صاحب الأرض منذ أكثر من ألفى سنة مستنداً إلى وعد إلهى من الرب للشعب المختار!!

والذاكرة تحتزن أن هذا المعتصب وهذا المحتل ظهر إلى الوجود وتمكن بموجب قرار دولى صدر بموافقة من مجموعة دول لا تتعدى ٣٣ دولة من بين ٥٦ دولة كان منهم (١٣ دولة معارضة و١٠ دول ممتنعة) هم أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ وذلك فيما يعرف بالقرار رقم ١٨١ الذى قرر تقسيم فلسطين إلى «دولة يهودية». بدون اسم و «دولة عربية» بدون اسم أيضاً.

وهكذا نجد أن قرار الأمم المتحدة هو الشرعية الدولية لإنشاء الدولة اليهودية كما أنه فى نفس الوقت هو الشرعية الدولية لإنشاء دولة عربية فى فلسطين وبذلك لا بد أن تكون هذه الشرعية الدولية هى الأساس والسند الوحيد لقيام دولتين على أرض فلسطين.

واستناداً إلى هذه الشرعية قامت فعلاً دولة يهودية باسم «إسرائيل» وأعلنت رسمياً فى مايو ١٩٤٨.

وإذا كانت الدولة العربية على أرض فلسطين لم توجد منذ صدور قرار التقسيم وحتى عامنا هذا عام ٢٠٠٧ فإن ذلك لا يعنى أن قيام هذه الدولة قد أصبح رهن موافقة الدولة اليهودية التى وجدت استناداً لقرار التقسيم ذاته.

من ناحية هامة أخرى تعود «الذاكرة» إلى قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ١٩٤ فى ديسمبر ١٩٤٨ الذى صان حق العودة للفلسطينيين إلى أرضهم وممتلكاتهم التى أبعدها عنها نتيجة خلق دولة يهودية والزام إسرائيل بقبول حق عودة الفلسطينيين أو تعويضهم إذا لم يعودوا - هذا القرار هو إضافة إلى شرعية الوجود العربى لفلسطين منذ ذلك التاريخ.

وأخيراً تتذكر «الذاكرة» أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت قبول إسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة وقد أشارت ديباجة القرار بشكل محدد إلى تعهدات إسرائيل بتنفيذ القرارين ١٨١ ، ١٩٤ وهما يمثلان الشرعية الدولية لوجود دولة عربية على أرض فلسطين.

وإذا كانت الدولة العربية فى فلسطين لم توجد حتى الآن لأسباب تعود إلى مجموعة من المبادئ والتصرفات التى انبعثت - كما أرى - من قصة النبی سليمان الذى احتكمت إليه امرأتان تتنازعان أمومة طفل فقضى بتقسيم الطفل بينهما فإذا بالأم الحقيقية تلقائياً تتنازل عنه حفظاً لحياة ابنها وبذلك علم النبی سليمان الأم الحقيقية - أقول: إن تفسير موقف الفلسطينيين والدول العربية المستقلة الست آنذاك الرافض لقرار التقسيم ينبعث فى رأى كما قلت من هذه القصة كما يفسر سلسلة المواقف العربية التى أدت فى النهاية إلى احتلال إسرائيل لكل الأراضى الفلسطينية كما أدت إلى هذا الموقف الشاذ الذى يقلب الآية من خلال استجداء إسرائيل كى توافق على قيام دولة عربية على أرض فلسطين المغتصبة والمحتلة !!!

إذا كانت «الذاكرة» تعى كل هذا - والعرب فى مفاوضات مع إسرائيل يأملون الحصول على حق إقامة دولة باسم «فلسطين» على أى جزء أو على أية مساحة من الأرض الفلسطينية تنسحب منها إسرائيل - أقول أن مله هو مختزن فى «الذاكرة» لا يمنع من الخضوع للأمر الواقع والجلوس مع إسرائيل مرات ومرات على أن تتفضل وتتكرم بإعطاء الفلسطينيين قطعة أرض ليقام عليها ما يسمى بحكم ذاتى للفلسطينيين دون حق السيادة وتملك الأرض.

كما أن هذه الذكريات ليست دعوة إلى الانسحاب من المفاوضات برعاية الدولة العظمى الوحيدة أمريكا.

أختم هذه الذكريات بقول المتنبي:-

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بد

٢٨ - آخر صفحة

وبعد

يبقى سؤال:

* * * هل هذه هي كل ذكرياتي في ٧٧ عاماً؟

بالقطع لا !!

فإن كل ثانية من عمر الإنسان لها - وفيها - ذكريات.

وال ٧٧ عاماً تحمل ذكريات مجموع ثواني العمر وحسابها:

٧٧ سنة \times ٣٦٥ يوماً \times ٢٤ ساعة \times ٦٠ دقيقة \times ٦٠ ثانية = ٢,٤٢٨,٢٧٢,٠٠٠

ثانية!!

. وقدما قال الشاعر أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان

فتحى الجويلى

التعريف بالسفير

فتحي محمد الجويلي

ولد فى ٥ مارس (١٩٣٠) بدمنهور محافظة البحيرة. متزوج وله ثلاثة أبناء. حصل على بكالوريوس علوم مالية وتجارية من كلية التجارة جامعة عين شمس (إبراهيم سابقاً) - ١٩٥٠ عمل محاسباً ومراجعاً بجريدة المصرى وشركة الإعلانات المصرية، وشركة شل من (١٩٥٠ - ١٩٥٦)، ثم التحق بالكادر الدبلوماسى بوزارة الخارجية عام (١٩٥٦).

□ المناصب القيادية لمدة عشر سنوات من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٧ :

سفير مصر لدى دولة غانا.

مستشار وزير الإعلام.

نائب مدير الإدارة العربية بوزارة الخارجية.

قائم بأعمال سفارة مصر لدى دولة الكويت.

رئيس بعثة رعاية مصالح مصر لدى دولة قطر.

□ العمل بسفارات مصر بالخارج لمدة ٢٢ عاماً :

فى الدول الإسلامية (أفغانستان، تركيا) ٥ سنوات.

فى الدول العربية (ليبيا، الجزائر، الكويت، قطر) ٧ سنوات.

فى الدول الأوروبية (بلجيكا) ٤ سنوات.

فى الدول الآسيوية (الصين) سنتين.

فى الدول الإفريقية (غانا) ٤ سنوات

العمل بديوان وزارة الخارجية بالقاهرة ١٢ سنة.

مجموع سنوات الخدمة ضمن الكادر الدبلوماسى المصرى ٣٤ سنة

من نوفمبر ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٩٠

□ عضوية مؤتمرات واجتماعات إقليمية ودولية:
الجامعة العربية:

عضو وفد مصر فى اجتماعات اللجنة الثقافية بالقاهرة ٦٧ - ١٩٧٠

عضو وفد مصر فى اجتماعات اللجنة الثقافية بالقاهرة ٧٤ - ١٩٧٦

المجموعة الاقتصادية الأوروبية سابقاً:

عضو وفد مصر فى المفاوضات بين مصر والسوق الأوروبية فى بروكسل ٧٠ - ١٩٧٤

عضو وفد مصر فى اجتماعات الحوار العربى الأوروبى بالقاهرة ٧٤ - ١٩٧٦.

□ منظمة الدول الأمريكية:

عضو وفد مصر فى اجتماع المجلس الاقتصادى فى واشنطن ١٩٧٥

□ اليونسكو:

عضو وفد مصر الدورة الاستثنائية الرابعة للمؤتمر العام لليونسكو فى باريس ١٩٨٢

□ منظمة الوحدة الإفريقية:

عضو وفد مصر فى اجتماعات وزراء دفاع إفريقيا فى أكرا ١٩٨٤

عضو وفد مصر فى اجتماعات لجنة التحرير إفريقيا فى أكرا ١٩٨٥

□ الكوميكون سابقاً:

عضو وفد مصر فى المباحثات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى السابق فى
القاهرة ١٩٧٥.

□ الاشتراك فى الندوات:

ندوة جامعة برلين بألمانيا الديمقراطية سابقاً عام ١٩٦٨:

موضوع الندوة «التكامل الاقتصادى بين الدول الاشتراكية».

□ ندوة جامعة أوروبا ببلجيكا عام ١٩٧٢:

موضوع الندوة «التجمع الاقتصادى الأوروبى» - المعروف الآن باتحاد أوروبا.

□ ندوة مجلس الوحدة الاقتصادية للجامعة العربية عام ١٩٧٦ :
موضوع الندوة «التخطيط بعيد المدى والتكامل الإقليمي للدول العربية».

□ ما بعد التقاعد من ١٩٩٠ - ٢٠٠٧ :

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية.

عضو النادى الدبلوماسى المصرى.

عضو اتحاد كتاب مصر.

عضو فخرى بجمعية المراسلين الأجانب.

عضو مجلس إدارة جمعية الإخاء الدينى.

عضو نادى الأهرام للكتاب.

عضو بجمعيات الصداقة مع مصر.

عضو بمجلس كلية الآداب جامعة الإسكندرية فرع دمنهور سابقاً.

عضو نادى روتارى دمنهور سابقاً.

رئيس مجلس إدارة جمعية المحافظة على البيئة بالبحيرة سابقاً.

عضو فى النادى الأهلى / نادى هليوبوليس بالقاهرة.

عضو فى نادى اليخت ونادى سبورتنج ونادى المنتزة بالإسكندرية

□ المؤلفات :

- الوجه الآخر للدبلوماسية - صادر عن أخبار اليوم عام ١٩٩٥.

- حكايات دبلوماسية ومواقف سياسية - صادر عن دار ابن سينا للنشر عام ١٩٩٨

«أعيد نشره فى الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٧».

□ النشاط الإعلامى :

كاتب مقالات سياسية بالجرائد المصرية (الأهرام - الأخبار - الوفد)

محلل سياسى بقنوات التلفزيون المصرى.

إلقاء عدد من المحاضرات السياسية والدبلوماسية بالجامعات المصرية والمنتديات العامة.

□ مؤتمرات واجتماعات إقليمية ودولية :

- المشاركة في مهرجان (الجنادرية) الثقافي بدعوة من الحرس الوطني بالملكة العربية السعودية.
- زيارة الملكة العربية السعودية بدعوة من وزير الإعلام السعودي.
- المشاركة في مهرجان (صلالة) الثقافي بدعوة من وزارة الإعلام بسلطنة عمان.
- زيارة سلطنة عمان بدعوة من وزير الإعلام للتعرف على السلطنة.
- مراقب دولي على انتخابات زيادة فترة رئاسة الجمهورية بأوزبكستان.
- المشاركة في مؤتمر (إحياء ذكرى الأمير تيمورلنك) بدعوة من حكومة أوزبكستان.
- المشاركة في احتفالية محافظة البحيرة بمرور ٢٠٠ عام على اكتشاف حجر رشيد.

□ الأوسمة والتقدير :

- وسام من الملك/ بدوان ملك بلجيكا عام ١٩٧٤.
- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٧٨.
- رسالة عرفان وتقدير من وزارة الخارجية عام ١٩٩٠.
- درع محافظة البحيرة عام ١٩٩٩.
- درع ورسالة شكر من مكتبة الإسكندرية عن اهداء جزء المكتبة الخاصة.
- درع ورسالة الشكر من مكتبة مجمع مبارك بدمنهور عن إهداء جزء المكتبة الخاصة.
- درع كلية الآداب بدمنهور جامعة الإسكندرية للجهود في المشاركة بمجلس الكلية.

□ المرجع الرسمي للتعرف بالسفير

- الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة الصادرة عن وزارة الإعلام - الهيئة العامة للاستعلامات الطبعة الثانية - الجزء الأول - عام ١٩٩٢ - صفحة رقم ٧٩٠
- رقم المسلسل ٢٥١١.

الفهرس

الصفحة

الإهداء.....	٣
شكر للمؤلف.....	٤
مقدمة.....	٥
طفولتى وصباى.....	٧
دمنهورى فى القاهرة (الدراسة الجامعية).....	١٥
فى الصحافة.....	٣٤
فى شركة شل.....	٣٦
أربعة وثلاثون عامًا دبلوماسياً.....	٤١
المملكة الليبية أول خطواتى الدبلوماسية.....	٥١
مهمة دبلوماسية فى تركيا بلد الخلافة الإسلامية.....	٥٦
مارسوا الدبلوماسية ولو فى الصين.....	٧٥
من يدخل كابول يبكى ومن يخرج منها يبكى.....	٧٩
الدبلوماسية الأوروبية فى العاصمة البلجيكية.....	٨٦
العمل الدبلوماسى فى بلد المليون شهيد.....	١٠٧
دبلوماسية غير عادية فى بلاد خليجية.....	١١٦
وداع الدبلوماسية فى غانا الإفريقية.....	١٢٦
— موضوعات سياسية ودولية ودبلوماسية متنوعة:	
١— السلاح النووى.....	١٣٦
٢— الإسلام ومؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون.....	١٤٣
٣— سور إسرائيل غير العظيم.....	١٤٨
٤— بين وعد بلقور ووعد آل بوش اختفت فلسطين.....	١٥٤
٥— رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين.....	١٦١

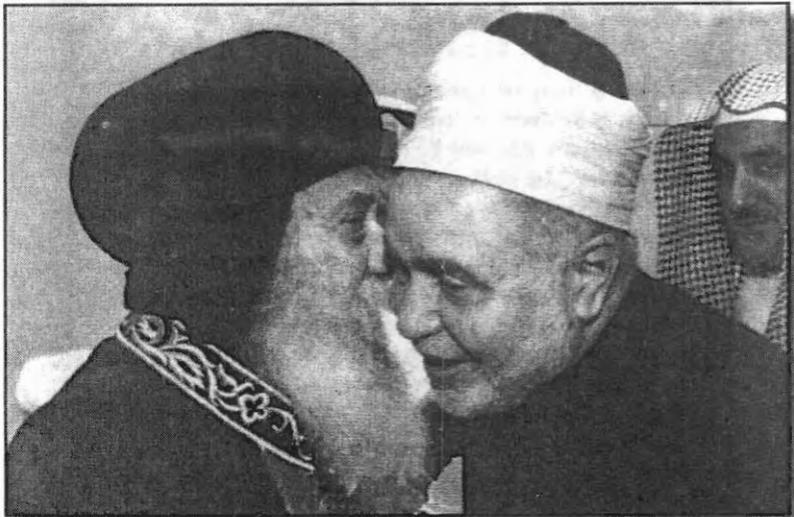
الصفحة

٦ - إسرائيل ونهر النيل.....	١٧٢
٧ - دأغا عرفات.....	١٧٨
٨ - هنود حمر هذا الزمان.....	١٨٣
٩ - القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم.....	١٨٦
١٠ - ولايات الشرق الأوسط المتحدة USME.....	١٩٤
١١ - هل مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية؟.....	١٩٩
١٢ - دور النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات مع إسرائيل.....	٢٠٢
١٣ - إسرائيل منذ عام ١٨٩٧.....	٢١٢
١٤ - شيخ الأزهر والحاخام.....	٢١٩
١٥ - سيناء والسياحة الإسرائيلية.....	٢٢٤
١٦ - البابا شنودة وإسرائيل.....	٢٣١
١٧ - إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية.....	٢٤١
١٨ - فى واشنطن تعرف ما هى المنحوتة وماهى الماسونية.....	٢٤٨
١٩ - معاداة السامية والتفرقة العنصرية الإسرائيلية.....	٢٥٥
٢٠ - نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر.....	٢٦٣
٢١ - الأسرى المصريون والهولوكوست.....	٢٦٩
٢٢ - قل يهود مصر ولا تقل المصريين اليهود.....	٢٧٤
٢٣ - القدس.....	٢٨١
٢٤ - مولد سيدى أبو حصيرة.....	٣٠٠
٢٥ - محافظة الشرقية والمزاعم الإسرائيلية.....	٣١٢
٢٦ - مصر من ملكية إلى جمهورية.....	٣٢١
٢٧ - شرعية قيام دولة عربية على أرض فلسطين.....	٣٢٥
آخر صفحة.....	٣٢٨
التعريف بالسفير.....	٣٢٩

طبع بمطابع دار المعارف



حولر هادئ مع البابا شنودة الثالث فى النادى الدبلوماسى



حديث هامس بين شيخ الأزهر والبابا شنودة الثالث

لوحة إيدوز أثيل

هذه نسخة من لوحة في المتحف لمصر و تعرف باسم لوحة
اسرائيل لانها اللوحة الوحيدة التي تحمل اسم اسرائيل باللغة
المصرية القديمة.

وترجع هذه اللوحة التي وجدت في الاصح لسنة الفخسة من
حكم الفرعون (مرنبتاح) الذي تربطه رمسيس الثاني عام
1281 له و سجل فيها نصرا على الليبيين . وفي نهاية
الكتابة تبارى مطراته مصر بجميع اسم العالم لاظهار ان مصر
اعظم منها جميعا بما فيها اسرائيل .

The Israel Stela

This is a copy of a stela in the Egyptian Museum which is known as the "Israel" Stela because it has the only ancient Egyptian inscription which mentions "Israel".

The stela which was found in Luxor, dates to the 5th year of the pharaoh Merneptah, the successor of Ramesses II, (c. 1218 B.C) and records an Egyptian victory over the Libyans. At the end of the inscription, Egypt was compared with other nations to show that Egypt is greater than all of them and Israel is amongst those mentioned. The inscription does not give any information about Moses or the Exodus.

اللوحة الوحيدة التي تحمل اسم إسرائيل باللغة المصرية القديمة



مع رئيس وزراء بلجيكا



في أبو حميرة



الأعياد التي تعطل فيها الهيئات والمصالح الحكومية
وليس من بينها تحول مصر من ملكية إلى جمهورية



مع رئيس المجلس العسكري الذي حكم غانا بعد نكروما



نسخة من لوحة في المتحف المصرى تعرف باسم لوحة إسرائيل لأنها
اللوحة الوحيدة التى تحمل اسم إسرائيل باللغة المصرية القديمة



مع بطرس غالي



مع الزعيم ياسر عرفات وعناق حار



مع نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية المصري د. عصمت عبد المجيد



الاحتفال بذكرى مرور ٢٠٠ عام على اكتشاف حجر رشيد
 وضرورة رجوعه إلى المتحف المصري بدلاً من متحف لندن

بشرف الختم



حرب ٢٠٠٠
الدوحة - قطر

التاريخ : ١٩٧٩/٤/٢٥

الرقم : ٤٦٦٣ - ٢/١/٢/٥/٥

تهدي وزارة خارجية دولة قطر الحبيب تحياتها إلى سفارة جمهورية مصر العربية الشقيقة بالكويت وتود ان تعيد بان مجلس الوزراء القطري قد اتخذ في ٢٥/٤/١٩٧٩ قراراً بقطع العلاقات الدبلوماسية والصداقة مع جمهورية مصر العربية . ويرفق طيه صورة طبق الأصل من هذا القرار .

وتتجه الوزارة هذه المناسبة لتعرب للسفارة الشقيقة من تالاقكم بوصولكم

واحترامها .



- إلى سفارة جمهورية مصر العربية الشقيقة بالكويت .

صورة من قرار مجلس الوزراء القطري بقطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع جمهورية مصر العربية.. بعد توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل

بسمه الرحمن الرحيم

التي السادسة

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية
إلى السيد فخري محمد الطوبى ، وزير شؤون بوزونة المصرية

تقبولكم بصفحة مجلس أمناءكم ،
وسام الجمهورية من الطبقة الثانية
وإننا بمرور الزمن والجمهورية بأكملها

عمر بغير مصر الجمهورية بالعلمة في اليوم العشرين من شهر رمضان المبارك
سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ١٩٥٦ م

رئيس الجمهورية
أنور السادات

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية من الرئيس أنور السادات

من محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية
إلى فخامة اللواء طيار جيمري جومج روجرز رئيس مجلس الدفاع
الوطني المؤقت لغانا

عزيزي وصديقي الوطني

إن من سريري الخفية في تلك العلاقات التي تربط القوس المطول بيننا
قد انتشرت السيد فتح محمد الويلبي ليكنه كسفير فون، والوزير لوقوع من قبل لي في
إياه من سريري من خلال صدقته، وما لبسته من تفرقة في المناصب العاركة التي
تقلدها، بل كجبارك، والذين انما يراه ليكنه البتة في تصديده في زيارته (التي هي من جهوريتها) فيها
ولا عثماني على خبرته، وجزء ما يسهل من معارفه التي ليكنه (على العطف في منتهى
ومس لغيرها، (الجمهورية) أنه أفضل من قولوه بل ليكنه (التي هي من جهوريتها) في منتهى
الثقة مما يبلغه (التي هي من جمانتي)، ولكن كما انك انكاه (التي هي من جهوريتها) في منتهى
أعز ما استحصل من السواكن، والذلة من من الرغز
والتي ليكنه (التي هي من جهوريتها) في منتهى.

محمد حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

جمهورية مصر العربية القاهرة في
١١ قدي (١٩٥٤) - ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤

في من هام رانك الجمهورية
من الأمانة

في من رانك الجمهورية
من الأمانة

خطاب تفويض من الرئيس محمد حسني مبارك إلى رئيس مجلس الدفاع
الوطني المؤقت لغانا لاختيار السفير فتحى الجويلي سفيراً فوق العادة



Baudouin, Roi des Belges,

A tous, présents et à venir. SALUT

Voulant donner un témoignage particulier de Notre bienveillance à Monsieur Fathi Mohamed EL GEWELY, ancien Conseiller à l'Ambassade de la République Arabe d'Egypte à Bruxelles,

Sur la proposition de Notre Ministre des Affaires Etrangères.

NOUS AVONS ARRÊTÉ ET ARRÊTONS :

Article 1. — Monsieur Fathi Mohamed EL GEWELY est nommé Commandeur de l'Ordre de la Couronne.

Article 2. — Il prendra rang dans l'Ordre à dater de ce jour.

Article 3. — Notre Ministre des Affaires étrangères, ayant l'administration de l'Ordre, est chargé de l'exécution du présent arrêté.

Donné à Bruxelles, le 7 novembre 1974.

PAR LE ROI :

(S.) BAUDOUIN.

Le Ministre des Affaires Etrangères,

(S.) VAN ELSLANDE.

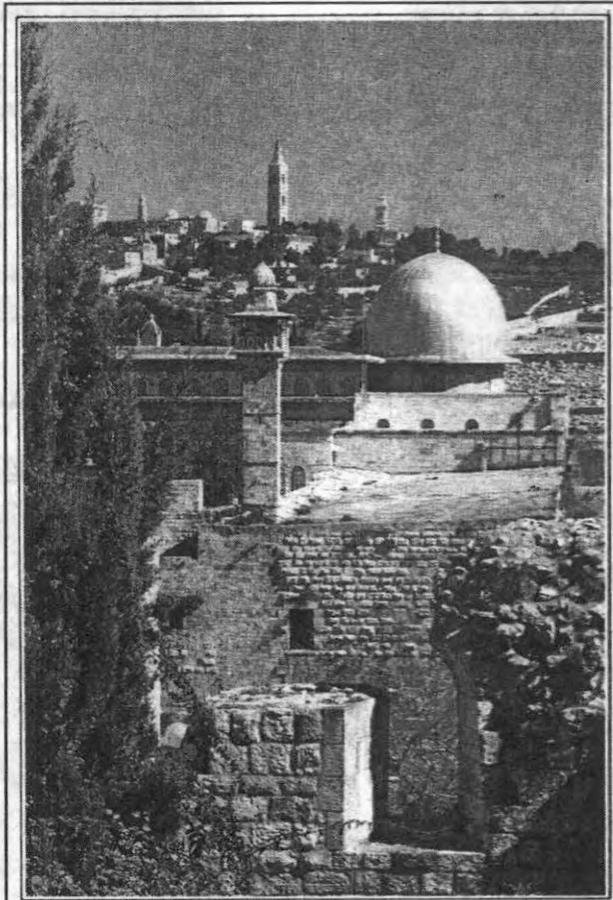
POUR COPIE CONFORME :
Le Chef du Protocole.

E. RITTWEGE de MOOR.



وسام للسفير من بلجيكا

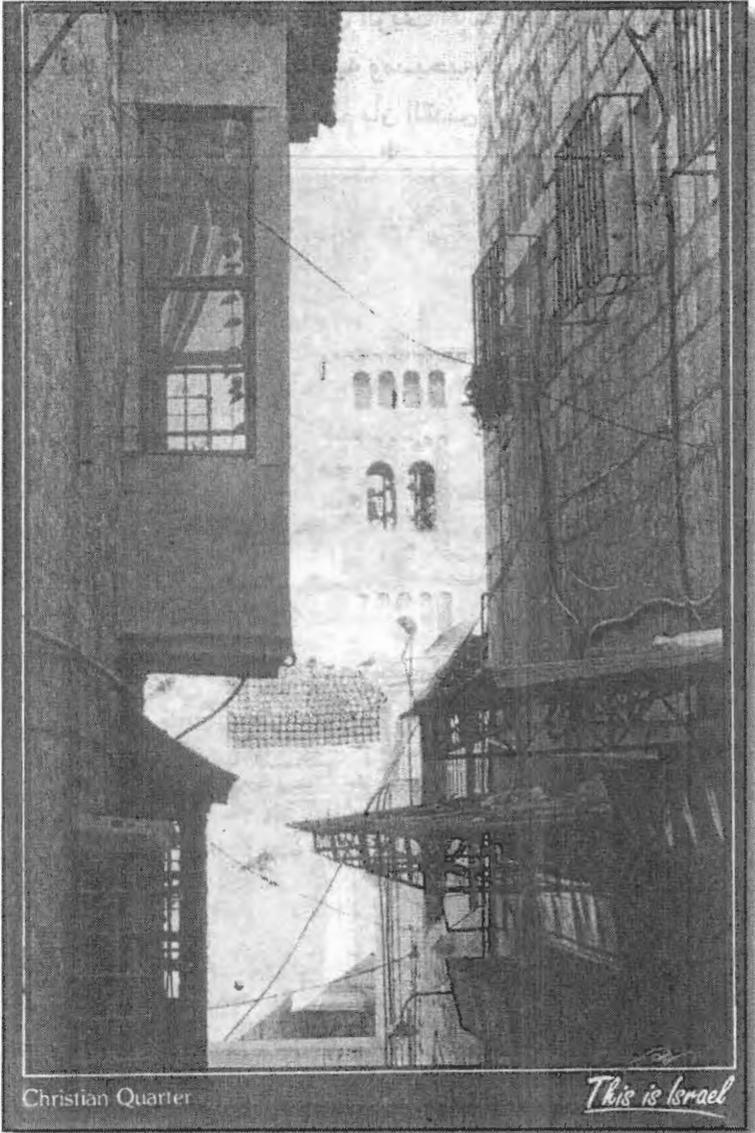
مجموعة من الصور توضح مدى الزيف الإسرائيلي حيث تستغل
إسرائيل الآثار العربية الإسلامية ومسيحية في الدعاية السياحية
لإعطاء انطباع للعالم بأن القدس إسرائيلية



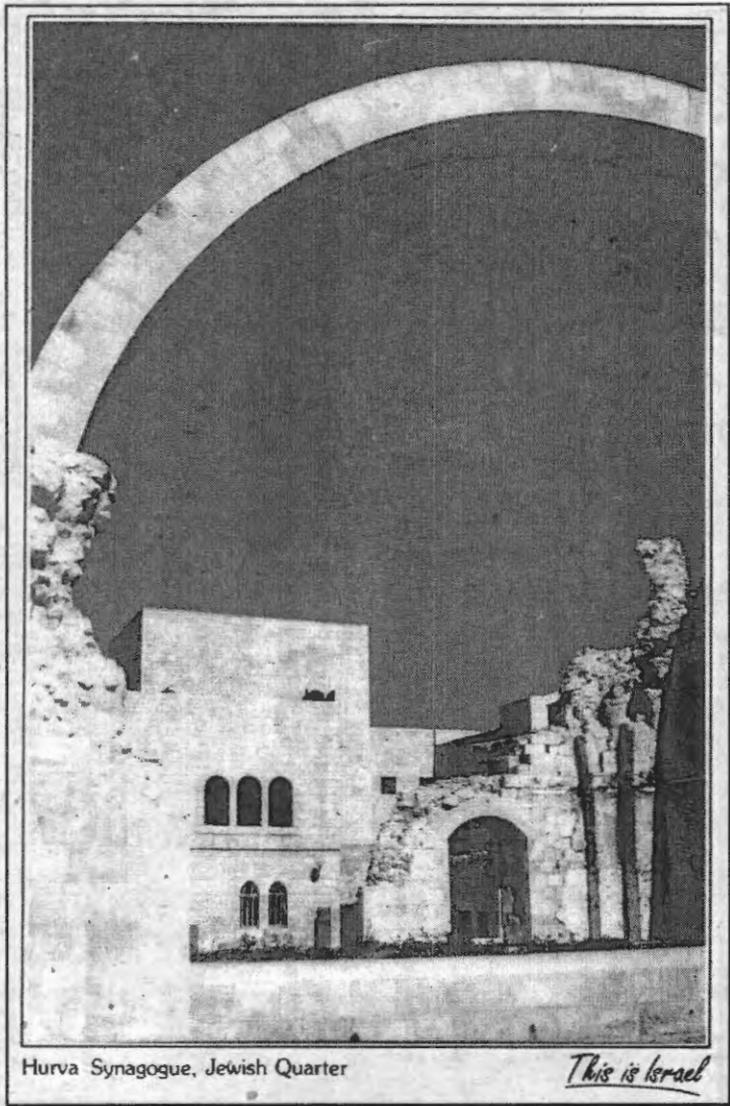
El Aksar Mosque

This is Israel

(أ)



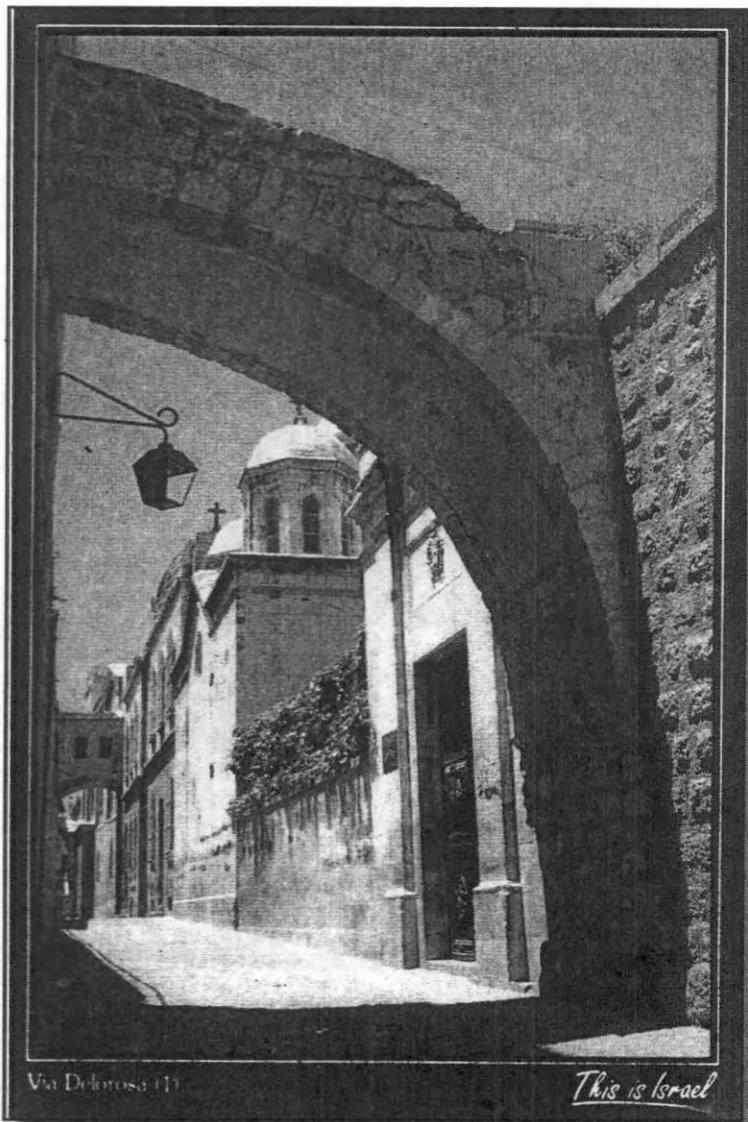
(ب)



Hurva Synagogue, Jewish Quarter

This is Israel

(→)



Via Dolorosa (1)

This is Israel

(٥)